

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

كلية الآداب والحضارة الإسلامية.

قسم التاريخ.



جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية - قسنطينة-

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: .....

## خطاب الحركة الوطنية الجزائرية

### 1954-1919

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ل م د في علوم إنسانية -تاريخ-

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

إشراف الأستاذ الدكتور:

بشير فايد.

من إعداد الطالب:

مراد بن زفور.

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/ أحمد عبدلي	أستاذ تعليم عالي	جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.	رئيسا
أ.د/ بشير فايد	أستاذ تعليم عالي	جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2.	مشرفا ومقررا
أ.د/ صبرينة الواعر	أستاذ تعليم عالي	المدرسة العليا للأستاذة، آسيا جبار، قسنطينة.	عضوا
أ.د/ سفيان لوصيف	أستاذ تعليم عالي	جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2.	عضوا
د/حنان لطرش	أستاذ محاضر-أ-	جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.	عضوا
د/محمد أوجرتني	أستاذ محاضر-أ-	جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.	عضوا

السنة الجامعية 1443-1444هـ/2022-2023م

جامعة الامم المتحدة  
بالتعاون مع  
الجامعة العربية  
الاسلامية



# شكر وامتنان

الحمد لله سبحانه وتعالى الذي من عليّ بنعمه الكثيرة وآلأنه العظيمة وأجلها كلها  
حبه طلب العلم ، كما أحمده على توفيقه إياي وتسديده لخطاي ومنحي القوة اللازمة  
لإتمام هذا العمل.

أسدي خالص شكري وامتناني وتقديري للأستاذ المشرف  
" أ.د بشير فايد" الذي اجتمعت في شخصه كل معاني الأخوة  
والأستاذية، فكان لي نعم السند، فلا أملك سوى الاعتراف له بجميل  
علمه.

وفي مقام الاعتراف بالجميل، أشكر مشرفي السابق "أ.د أحمد  
عميراي" نظير صبره معي طيلة السنوات الماضية.  
كما لا أنسى كل من كان له أثر في إتمام هذا البحث، وأخص  
بالذكر هنا " أ.د نور الدين ثنيو" و "د. جوليان ويديمان" لما  
أحفاني به من مساعدة واهتمام.





# إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا،

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما،

عرفانا و تقديرا، و إلى كل أفراد عائلتي،

وإلى كل معلم وأستاذ علمني،

و إلى كل الأصدقاء الذين جمعني معهم كلمة الوفاء،

و إلى كل من كان له أثر في هذا البحث.



جامعة الأمير سعود  
الاسلامية  
للعلوم



## المختصرات.

أولاً: بالعربية.

- د ت: دون سنة.
- ط: الطبعة.
- ع: العدد.
- س: السنة.
- تر: ترجمة.
- ج: الجزء.
- د م ج: ديوان المطبوعات الجامعية.
- موفم: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
- ش و ن ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- م و ك: المؤسسة الوطنية للكتاب.

ثانياً: بالأجنبية.

- **RV : revue.**
- **N : numéro**
- **ANEP : agence nationale d'édition et de publicité.**
- **A.N.O.M : archives nationales d'outre-mer.**



حفظكم الله

جامعة الأميرة ربيعة  
عبد القادر  
العلوم الإسلامية

## مقدمة

عمل الاحتلال الفرنسي منذ احتلاله الجزائر بكل الوسائل المتاحة لديه إلى بسط نفوذه عليها وطبق استعمارًا استيطانيًا استهدف من خلاله كل المؤسسات الوطنية خلال فترة هيمنته عليها، فخلف على إثره تغييرا جذريا في مفاهيم النضال الوطني، ويعود ذلك في الأساس إلى طبيعة المضاعفات الناجمة عن الوسائل التي اعتمدها هذا الاستعمار وطبيعة وجوده.

ومما لا شك فيه فقد شكلت الجزائر طرفا مهما ضمن مخططات ومشاريع الإدارة الفرنسية الاستعمارية لدرجة أنها في وقت من الأوقات تم اعتبارها امتدادًا لفرنسا، هذه التصورات هي من حوّلت لفرنسا بتطوير وسائلها ونظمها الاستدمارية، وعلى هذا الأساس فقد لجأت إلى اتخاذ النظم الفكرية والثقافية إطارا مرجعيًا سطرّت من خلالها سياستها وأهدافها المرجوة بأبعادها المختلفة سواءً كانت عرقية أو طبقية أو حتى عنصرية، فركزت في خطابها الاستعماري إلى تفعيل الخطاب الاثنوغرافي الذي من خلاله هدفت إلى خلق مجال إيديولوجي يتمشى ومخططاتها، وتوجيه الخطاب السيسولوجي بما يتوافق وطروحات المدرسة الفرنسية التي اتخذت من التعليم سلاحًا إيديولوجيا بهدف ضرب الشخصية الوطنية للجزائر.

في ضل هذه الأوضاع، وكنتيجة طبيعية لهذه التراكمات الاستعمارية التي أصابت الجزائر وشعبها برزت وجوه وطنية نخبوية وأفكار تنويرية ومدارس محافظة، اتخذت من حسها الوطني ووعيتها الفكري سلاحًا تصدت من خلاله للمشاريع الفرنسية وكذا مواجهة السياسة الاستعمارية الرامية إلى محو كل ما هو جزائري.

## أهمية الموضوع.

لعلّ الدارس لتطور الحركة الوطنية الجزائرية في الفترة الممتدة بين 1919م-1954م لا يجد إشارات مستفيضة عن الجهود الفكرية الذي بذله زعماء الحركة الوطنية بمختلف اتجاهاتها، ومن هنا جاء اهتمامنا بهذا البحث في سياق موضوع لم يحض في نظرنا بقدر كاف من البحث والدراسة، خاصة في مرحلة كانت مليئة بالأحداث بدءًا بظهور الأحزاب السياسية وتباين أفكار أطرافها، سواءً من حيث

منطلقاتها الأيديولوجية أو توجهاتها السياسية والنضالية، وكلها تصورات أتت وفق طروحات فكرية تضمنتها برامج ومشاريع اتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية، لذلك جاء عنوان هذه الدراسة ب: **خطاب الحركة الوطنية الجزائرية 1919م - 1954م. حدود الدراسة.**

فيما يتعلق بالسياق الزمني لهذا البحث، فقد حصر الفترة الممتدة من 1919م إلى 1954م وهي الفترة المحددة تاريخياً بمرحلة بداية نشاط الحركة الوطنية الجزائرية 1919م واندلاع الثورة التحريرية 1954م، وبالعودة إلى المجال الزمني فيعدّ طويلاً نسبياً، نظراً لتراكم الأحداث وتشعبها، إضافة إلى عدّة متغيرات حدثت بالجزائر لاسيما ما تعلق بالتحوّلات الفكرية والثقافية رافقها بداية الوعي بمكانة الهوية في فكر اتجاهات الحركة الوطنية، أما من الجانب المنهجي فتعتبر من أنحصب الفترات، فمن خلالها تتيح للباحث الإمام بتاريخ الحركة الوطنية ثم تتبع أهم التحوّلات الفكرية التي جسدها برامج ومشاريع مختلف الاتجاهات، إلى غاية منتصف خمسينيات القرن الماضي، أين أشرت تراكمات تلك الفترة لبداية مرحلة جديدة، والتي يمكن أن نصنفها بمرحلة إعادة ترتيب الأولويات.

### أسباب اختيار الموضوع:

تعود أسباب اختيارنا لهذا الموضوع إلى الأسباب التالية:

**أولاً:** جاء اهتمامنا بهذه الدراسة كون أن البحث خلال هذه المرحلة بالذات (1919م- 1954م) شهدت تراكمًا وزحمًا وفيرًا في أبعادها السياسية والثقافية والفكرية، ومن جهة أخرى مثلت مرحلة مفصلية في مسار النضال الوطني، فكان هذا سببا في حد ذاته لاختيار موضوع "خطاب الحركة الوطنية الجزائرية 1919- 1954" إضافة إلى هذا فإنه هناك أسباب أخرى تمثلت في:

**ثانياً:** يعتبر البحث في الجانب الفكري كميدان دراسة في الحركة الوطنية الجزائرية حوضاً لتجربة جديدة تسمح لصاحبها إثراء زاده المعرفي، فتتفتح مداركته وآفاقه، كما تساعد هذه الدراسات صاحبها على الفهم العميق لأفكار وتوجهات مختلف تيارات الحركة الوطنية الجزائرية، وهذا كان سببا مباشرا في اختيارنا لهذا الموضوع



ثالثا: إن أغلب ما كتب عن تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية كان عبارة عن وصف للنضال السياسي الذي قاده رواد الحركة الوطنية الجزائرية في إطار المواجهة مع سلطة الاحتلال، وعليه فالبحث في الجانب الفكري منها لم ينل نصيباً وافراً من البحث، إذا ما استثنينا بعض الدراسات التي طرقت جوانب أخرى غير التي خضناها.

رابعا: الشغف المعرفي علنا نساهم ولو بنزر قليل في تقديم بحث عاجل جانبا مهما من جوانب نضال الحركة الوطنية الجزائرية، خاصة وأن تلك الفترة كانت مليئة بالتحويلات السياسية والثقافية والاجتماعية، وما صاحبها من تطورات فكرية على الساحة الوطنية.

### إشكالية البحث:

تروم هذه الدراسة إلى محاولة إبراز المجهود الفكري والأيدولوجي لاتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية في الفترة الممتدة بين 1919م و1954م وكذا مساهمة أطرافها في معركة الوعي التي قادتها لمجابهة الخطاب الاستعماري، الكل حسب منطلقاته وتوجهاته الفكرية التي أسهمت مخرجاتها في ميلاد أفكار ومشاريع تحررية واستقلالية.

وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية تمثلت في:

- 1) ما المقصود بالخطاب؟ وهل مفهوم الخطاب في اللغة والفلسفة وبقية التخصصات نفسه في التاريخ؟ وما هي أنواعه؟
- 2) ما هو مفهوم الحركة الوطنية الجزائرية؟ وما هو التاريخ الفعلي لبدايتها؟
- 3) فيما تمثلت أهم المؤسسات - مصادر التلقي - التي تحكمت في التكوين الفكري والأيدولوجي لدى أطراف اتجاهات الحركة الوطنية؟ وفيها تمثلت مرجعياتهم الثقافية وتوجهاتهم السياسية والفكرية؟
- 4) ما هي أهم الأفكار التي ناضل ورافع لأجلها اتجاهات وأطراف الحركة للوطنية الجزائرية؟
- 5) إلى أي مدى ساهم الخطاب الاستعماري وممارسته في بث وإذكاء روح النضال الوطني لدى الاتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية؟ وهل كان سببا مباشراً في بروز خطاب وطني؛ سواءً كان سياسيا أو فكريا أو إصلاحيا مضاد اتخذ من الكامن الفكري سلاحاً لمواجهة؟

6) ما هي مواقف اتجاهات الحركة الوطنية من قضية الهوية الجزائرية؟ وكيف تم توظيفها ضمن حلبة الصراع من طرف الجانبين؟

### خطة البحث:

نظرا لما أملته علينا إشكالية البحث والتساؤلات الفرعية المنضوية تحتها، اقتضت طبيعة الدراسة أن تشمل على أربعة فصول، بدءًا بمقدمة ومفضية إلى خاتمة، مدعمة ببعض الملاحق التوضيحية التي لها علاقة مباشرة لما تم استعراضه.

**مقدمة:** هي طرح الموضوع من جوانبه المتعددة ووضعه في سياقه المنهجي والتاريخي، فاحتوت على التعريف بموضوع الدراسة وأهميتها كما تضمنت إشكالية البحث وأهم التساؤلات الفرعية، وكذا شرح خطة الدراسة ومناهجها، بالإضافة إلى شرح مبسط للدراسات السابقة وأهم المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث.

تناولنا في **الفصل الأول** الإطار المفاهيمي لمصطلحات الدراسة، الذي حاولنا من خلاله استعراض أهم المصطلحات وضبط مفاهيمها، حتى نرفع بعض الغموض الذي يكتنف عنوان هذا البحث ذلك أن مفهوم الخطاب يختلف من علم لآخر، وانطلاقاً من ضبط مفهوم الخطاب قمنا ببناء دراستنا فعمدنا على تبيان أنواعه، ولنجاح أي خطاب في أداء رسالته لابد من توفر وسائل فعّالة للوصول إلى أهدافه المسطرة مسبقاً، وانطلاقاً من هنا عرّجنا على تلك الوسائل التي اعتمد عليها كل اتجاه نشط ضمن الحركة الوطنية الجزائرية فكان أنجمعها الصحف لذلك ركزنا بالحديث عنها وأبرزنا صحف كل اتجاه على حدى، إضافة إلى ذلك ونظراً لطبيعة الموضوع فكان علينا لزاماً أن نقوم بإعادة النظر مفهوم الحركة الوطنية الجزائرية لأنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع الدراسة، فقمنا بضبط مفهوم المصطلح وحددنا التاريخ الفعلي لبداية نشاط الحركة الوطنية الجزائرية.

أما **الفصل الثاني** فقد عالج خطاب الاتجاه الاستقلالي الذي انضوى تحته أربعة مباحث، فمن خلاله قمنا بتحديد المرجعيات الثقافية والتوجهات السياسية والفكرية لدى رواد هذا الاتجاه وأهم المؤسسات التي تحكمت في التكوين الفكري لديهم، ثم تطرقنا للفكر السياسي عند هذا التيار وأهم المبادئ التي ناضل لأجلها منذ تأسيس حزب نجم شمال إفريقيا وتتبع مراحل تطوره وتطور أفكاره، في

حين خصصنا المبحث الثالث لمسألة الهوية باعتبارها مسألة محورية ضمن اهتمامات هذا التيار، ذلك أن هذا الأخير كان أكثر الاتجاهات تعرضاً للمشاكل والأزمات بسبب مواقفه وإيمانه الراسخ بالهوية العربية الإسلامية للجزائر، أما المبحث الرابع فقد تحدثنا فيه عن النزعة الاستقلالية في خطاب هذا الاتجاه، وحاولنا إبراز وتتبع تطور الفكر الاستقلالي من خلال استقراء برامج ومطالب الحزب منذ 1926م وحتى مطلع الخمسينيات.

في حين يتناول **الفصل الثالث** الحديث عن الاتجاه الليبرالي وخطاب الحركة الوطنية الجزائرية الذي حاولنا من خلاله تحديد مرجعيته وإبراز أهم العوامل والمؤسسات التي تحكمت في التكوين الفكري لدى هذا الاتجاه، ثم عرجنا على الجهود الفكرية والأيدولوجية لدي تيارات هذا الاتجاه بعد أن قمنا بتصنيفهم حسب أفكارهم وآرائهم حول بعض القضايا والمسائل وأهم المبادئ والمطالب التي كانوا يؤمنون ويطالبون بها، هذا وخصصنا كذلك مبحثاً لعنصر الهوية، فقد قمنا بإبراز رؤية تيارات هذا الاتجاه من قضية الهوية وأهم المقومات والأسس التي تقوم عنها لديهم.

أما **الفصل الرابع** فتناولنا فيه الجهود الإصلاحية والفكرية لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين تسلحوا بالعلم ليقودوا مشروعهم الإصلاحي، فبدؤوا في تطبيق أفكارهم التي تهدف إلى بناء الفرد وتكوينه وتربيته تربية صحيحة، وهي الإستراتيجية التي اتبعها رجال الإصلاح الجزائريين لمجابهة ومواجهة الاحتلال الفرنسي، وختمنا هذا الفصل بموقف هذا الاتجاه من الهوية الجزائرية، والدور الذي أداه في إطار الحفاظ على مقوماتها التأكيد على أبعادها من خلال الكتابات التاريخية من طرف مؤرخي الجمعية.

أنهينا هذا البحث **بخاتمة** والتي تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها بعد دراسة هذا الموضوع كما ذيلناه بملاحق توضيحية ذات علاقة مباشرة لما تم استعراضه.

### مناهج البحث:

في إطار بحث ومناقشة إشكالية البحث وللإجابة عن التساؤلات المدرجة تحتها، بما يضمن الإلمام بجوانب الموضوع ونسقه الكرونولوجي ارتأينا الاعتماد على:

أولاً: المنهج التاريخي الوصفي: والذي اعتمدنا عليه حين تتبع الأحداث ووصفها واستعراضها ضمن سياقها الزمني والتسلسلي، مع مراعاة كل ما له علاقة بالموضوع الموصوف.

ثانياً: المنهج التحليلي: والذي استعنا به في تحليل المواقف المختلفة لأطراف الحركة الوطنية الجزائرية ومناقشتها، والتي أردنا من خلالها الوصول إلى استنتاجات علّها تضيء بعض التصورات والمعطيات العلمية خلال تلك المرحلة.

ثالثاً: المنهج المقارن: اعتمدنا عليه من خلال استقراء ما كتب حول بعض القضايا خاصة فيما يتعلق بمسألة الهوية بين مختلف الاتجاهات ومقارنة أهم المواقف منها.

### الدراسات السابقة:

قمنا بدراسة مسحية خلصنا من خلالها إلى الاطلاع على ما كتب عن المجهود الفكري الأيديولوجي لاتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية، فعثرنا على بعض الأطارح التي لها تقاطعات مع موضوعنا وإن كانت قليلة، لذلك فقد ارتأينا الاعتماد على عينة منها لأسباب تخص طبيعة الموضوع وعناصره لذلك فقد وقفنا عند دراسة "د. الطاهر عمري" وهي أطروحة دكتوراه تحت عنوان "النخبة الجزائرية و مشروع المجتمع 1900-1940" و التي كانت دراسة جادة وعميقة استفدنا منها كثيرا، كما وقفنا على دراسة "د. سلوى لهلاي" وهي كذلك أطروحة دكتوراه تحت عنوان " المسألة الثقافية في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1954" والحق أنها أفادتنا كثيرا وكنا نعود إليها كثيرا نظراً لأهميتها.

إلى جانب هذا توجد مجموعة من الدراسات التي طرقت موضوع المجهود الفكري والأيديولوجي لدى تيارات الحركة الوطنية الجزائرية، وكان من أبرزها مؤلف "أ.د. عميرايوي أمحمد" بعنوان " الأمير خالد وخطاب الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1930" والحقيقة أن هذا الكتاب أفادنا كثيرا واعتبرناه القاعدة التي انطلقنا منها وبنينا عناصر بحثنا عليه، بالإضافة إلى مؤلف "د. رابح لونيسي" بعنوان " التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة 1920-1954"، الذي اعتمدنا عليه خاصة في الجزء الذي تناول موضوع الاتجاه الليبرالي ومختلف تياراته، وكذلك مؤلف "أ.د. نور الدين ثنيو" المعنون بـ " إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية" وهو كتاب مهم جدا لأي باحث في ميدان خطاب الحركة الوطنية الجزائرية ومختلف اتجاهاتها.

وصف أهم مصادر البحث و مراجعه:

للإلمام بجوانب البحث اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي تختلف أهميتها باختلاف قربها أو بعدها عن الأحداث، ومن جهة أخرى حسب صلتها المباشرة بالأحداث فكان أهمها:

### 1/ المصادر:

و تتميز بالتنوع فاعتمدنا على:

#### أولاً: الوثائق و التقارير الأرشيفية:

اعتمدنا على بعض الوثائق والتقارير الأرشيفية رغم قلتها، منها تقرير الشريف سيسبان المستخرج من أرشيف ولاية قسنطينة، كما حصلنا على بعض الوثائق والتقارير المستخرجة من أرشيف ما وراء البحار (آكس أون بروفانس) وقمنا بتوظيفها وفق ما يتماشى وبجئنا.

#### ثانياً: صحف اتجاهات الحركة الوطنية:

تكتسي صحف اتجاهات الحركة الوطنية أهمية بالغة، كونها لسان حال هذه الاتجاهات والمعبر الرئيسي عن أفكار وآراء ومبادئ كل اتجاه، وعليه فقد اعتمدنا على بعض أعداد جريدة الأمة بالنسبة للاتجاه الاستقلالي، أما عن الاتجاه الليبرالي باختلاف تياراته فاعتمدنا كذلك على بعض أعداد "صوت الأهالي" وجريدة الوفاق، في حين اعتمدنا على مجلة الشهاب وجريدة البصائر في سلسلتها الأولى والثانية بالنسبة لجمعية العلماء المسلمين.

#### ثالثاً: الكتب المصدرية:

اعتمدنا على العديد من الكتب المصدرية التي تتراوح بين مذكرات كتبها أصحابها وبعض المؤلفات الأخرى التي عاصرت الحدث ونجد منها:

- مذكرات مصالي الحاج، وهي مذكرات شخصية كتبها مصالي الحاج، وكنا قد اعتمدنا عليها حين حديثنا عن مرجعية الرعيل الأول لمؤسسي نجم شمال إفريقيا إضافة إلى تركيبته الاجتماعية وعلاقته بالاتجاهات الأخرى بالإضافة إلى استخراج منها بعض المبادئ التي ناضل لأجلها الاتجاه الاستقلالي بقيادة مصالي الحاج.

- مؤلفات فرحات عباس والتي اعتمدنا على كتابي " الشباب الجزائري " و"ليل الاستعمار" ذلك لأنها تكتسي أهمية بالغة، باعتبارهما أحسن من عبّر عن آراء وتوجّه هذا التيار، كما عكست مواقفه الصريحة في العديد من المسائل، إضافة إلى هذا فقد اعتمدنا على مؤلف آخر لا يقل أهمية عن الكتب التي ذكرناها وكان بعنوان "نظرات في حاضر الجزائر ومستقبلها" وهو عبارة عن تقرير خاص بحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي انعقد في سطيف سنة 1948م، والذي جمع في شكل كتاب، استطعنا من خلاله أن نقف على التطور الفكري الحاصل لهذا الاتجاه، وأهم مواقفه خاصة بعد مرحلة 1945م.
- آثار عبد الحميد بن باديس: والتي حققها عمار طالي التي اعتمدنا عليها بمختلف أجزائها في دراسة الفكر الإصلاحية الذي يتمتع به الإمام و إبراز مختلف القضايا الثقافية والوطنية التي طرحها.
- آثار البشير الإبراهيمي: والتي حققها نجله أحمد طالب الإبراهيمي، كذلك استفدنا منها كثيراً حين حديثنا عن بعض القضايا التي عالجتها الحركة الإصلاحية ضمن مشروعها.

#### رابعاً: المراجع:

- كتاب "الأمير خالد وخطاب الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1930" لأحميدة عميراي، ويعتبر من الدراسات الأساسية التي اعتمدنا عليها كثيراً خاصة في البناء العام لخطة هذه الدراسة .
- كتاب " إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية"، للأستاذ نور الدين ثنيو الذي اعتمدنا عليه هو كذلك وذلك لتناوله لأهم الأفكار السياسية وتطورها خلال فترة الحركة الوطنية الجزائرية.
- كتاب "التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة 1920-1954"، واعتمدنا على هذا الكتاب خاصة في الفصل الثالث، ومن خلاله وقفنا على أهم التيارات المشكّلة للاتجاه الليبرالي وأفكار كل تيار على حدى.
- كتاب "منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس" لصاحبه يوسف حميطوش، استفدنا كثيراً من هذا الكتاب خاصة حين حديثنا عن أهم العوامل والمؤسسات التي تحكمت في التكوين الفكري والسياسي لدى زعميي الاتجاه الاستقلالي والليبرالي على التوالي.
- كتاب "مع الفكر السياسي الحديث" لعبد الله شريط، وكنا قد اعتمد على هذا المؤلف بدرجة كبيرة حين تتبع تطور المجهود الفكري والأيدولوجي لدى اتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية.



### خامسا: الرسائل الجامعية:

- اعتمدنا على مجموعة من الرسائل والأطاريح الأكاديمية وكانت أهمها:
- أطروحة دكتوراه بعنوان " النخبة الجزائرية ومشروع المجتمع 1900-1940" لدكتور الطاهر عمري.
  - أطروحة دكتوراه بعنوان " المسألة الثقافية في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1954" للدكتورة سلوى لهلاي.
  - أطروحة دكتوراه بعنوان " حركة الشبان الجزائريين و التونسيين 1900-1930" ج 1 و ج 2 لدكتور الجمعي خمري.

### سادسًا: المقالات:

استعنا بمجموعة من المقالات المنشورة في دوريات مختلفة، والتي لها علاقة بالموضوع، خاصة تلك التي كتبت بأقلام باحثين ومختصين في المجال ومن أهمها "مجلة الأصالة" و"المجلة التاريخية المغاربية" و"مجلة الثقافية" وغيرها من المجلات التي لا يسعنا المجال للحديث عنها كلها.

### صعوبات البحث:

**أولاً:** كشأن أي بحث أو دراسة جديدة في مجال التاريخ، فإنجازها لا يخلو من النقص ولا يتجاوز الكمال، فذلك لما يواجهه الباحث من صعوبات وعراقيل، وهو يحاول سير أغوار موضوعه، وهذا ما أرقنا كثيراً ونحن ننقب عن الدراسات تناولت مواضيع ضمن ميدان بحثنا بين المكتبات العامة والخاصة، حيث لم نجد ما يلي رغباتنا ويسد حاجتنا إلا ما جمعناه من شتات المادة العلمية المتفرقة في المراكز التي قصدناها، والتي حاولنا من خلالها الإلمام بعناصر موضوعنا ومعالجة إشكالياته.

**ثانياً:** نقص المعلومات في الدراسات التي عاجلت موضوع الحركة الوطنية الجزائرية في ميدانها الفكري، وهذا ما انعكس على حيّز البحث الذي اتسم بالدقة.

**ثالثاً:** إن البحث في موضوع خطاب الحركة الوطنية الجزائرية ليس بالموضوع الهين، وهذا راجع لصعوبة تحديد وتوجيه الدراسة نظراً لتشعبها كونها تضم عناصر عديدة، لا يمكن بأي حال الوصول إلى الكمال في الانجاز العلمي، لكن وبالرغم من هذا حاولنا قدر استطاعتنا وبما توفر لدينا أن نغطي حدود دراستنا على أمل تقديم الإضافة المرجوة من هذا البحث.

رابعاً: الوضع الصحي المتردي الذي عانت منه الجزائر على غرار بقية بلدان العالم، والذي انعكست نتائجه وآثاره علينا جميعاً، فكانت له علاقة مباشرة في تأخر إنجازنا وإنهاء هذه الدراسة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل الأول:

دراسة تفصيلية لمفاهيم الدراسة.

المبحث الأول: الخطاب المفهوم والتطور.

المبحث الثاني: وسائل الخطاب عند زعماء اتجاهات الحركة الوطنية.

المبحث الثالث: مفهوم الحركة الوطنية (قراءة في جدلية المفهوم).

خاتمة الفصل.

## المبحث الأول: الخطاب المفهوم والتطور:

### 1- مفهوم الخطاب:

تنامي الاهتمام بالخطاب الإسلامي والخطاب السياسي العربي في الفترة المعاصرة، خاصة مع انتشار الوسائط الإعلامية، وكان للخطاب الإصلاحي والسياسي أهمية استثنائية في ظروف تاريخية معينة، مثل المقاومة الشعبية الساعية للاستقلال، والحروب والصراع على السلطة السياسية، فقد أدت حركات الاحتجاج ضد الاحتلال إلى نشوء خطابات إصلاحية، سياسية، قومية، ووطنية، استطاعت جذب اهتمام شرائح واسعة من الشعوب، وعليه فقد كان الخطاب الإصلاحي والخطاب السياسي المنطوق والمكتوب وسيلة لحشد الجمهور عند كُُلِّ زعماء تيارات الحركة الوطنية الجزائرية (مصالي الحاج، عبد الحميد بن باديس، فرحات عباس)، وبذلك تصاعدت شعبية هذه الخطابات، واتسع تأثيرها مع تصاعد موجة الوطنية لديهم.<sup>(1)</sup>

إن مصطلح الخطاب قد انتشر في كثير من الدراسات المعاصرة، لانتشار العديد من البحوث الألسنية والاتصالية والبنوية التي طوّرت النظرة إلى اللغة الإنسانية، وتوصلت من خلالها إلى نتائج هامة في مجال الدراسة المعرفية، وعليه فقد تطرق لتعريف الخطاب العديد من المدارس والمذاهب الفكرية منها التعاريف المعجمية والتعاريف الألسنية والتعاريف البنوية والتعاريف الأسلوبية.

### 1.1- الخطاب لغةً:

جاء في لسان العرب، الخطاب والمخاطبة: مُراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً، وهما يتخاطبان، وفصل الخطاب: أن يفصل بين الحقّ والباطل، وتُميّز بين الحكم وضده.

<sup>1</sup> عماد عبد اللطيف: "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي التاريخ والمناهج والآفاق"، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع6، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2015، ص123.

الخطاب والمخاطبة هي مُراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مُخاطبةً وخطاباً، وهما يتخاطبان، والمُخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطِبُ على المنبر، واختطب يخطبُ خطاباً، واسم الكلام الخطبة، وذهب أبو إسحاق إلى أنّ الخُطبة عند العرب الكلام المنثور، والخطبة مثل الرّسالة التي لها أوّل وآخر.<sup>(1)</sup> كما وردت لفظة الخطاب في "المنجد في اللغة العربية المعاصرة" بمعنى: "الكلام الموجه إلى الجمهور من المستمعين في مُناسبةٍ من المناسبات"، ويُعرف أسلوب الخطاب بأنّه: "أسلوب يعتمد على المحسّنات اللفظية والتأثير العاطفي".<sup>(2)</sup>

أمّا في المعاجم الأجنبية فإنّ الخطاب: مصطلح نسبي حديث يعني في الفرنسية (Discours) وفي الإنجليزية (Discourse)<sup>(3)</sup>، ويعني الخطاب حسب معجم ميكرو روبير (micro robert): "حديث، مُحاضرة، خطاب، خاطب، حَدَث، حَاضَرَ، ألقى مُحاضرةً، وتحدّث إلى"<sup>(4)</sup>.

والخطابُ رسالة ذات هدف ودلالة، وهو كلاماً منظوقاً أو مكتوباً، يمثّل وجهة نظر مُحدّدة من الجهة التي توجّه الخطاب، ويفترض فيه التأثير في السّامع والقارئ على حدٍ سواء، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف والملابسات التي صُنِع فيها الخطاب بدلالة الزّمان والمكان، وما يؤكّد هذا الكلام المفهوم الاصطلاحي الذي سوف نستعرضه.

## 1.2 - الخطاب اصطلاحاً:

يعتبر مُصطلح الخطاب من المصطلحات التي شاع استعمالها وكثُر تداولها في وقتنا الحالي، تعرّض له الكثير من المتخصّصين الأصوليين منهم والنّقاد الأدبيين واللّسانيين على وجه الخصوص والرّوائيين، الغربيين منهم والعرب، تتقاطع تعاريفهم وتتداخل في أنّه: مُرادف للكلام سواءً أكان مكتوباً أو ملفوظاً. جاء في مُعجم المصطلحات الأدبية المعاصرة الخطاب على أنّه: "مجموع التّعابير الخاصّة التي تتحدّد بوظائفها الاجتماعية ومشروعها الإيديولوجي"<sup>(5)</sup>، وأورد الدكتور طه عبد الرّحمان تعريفاً

<sup>1</sup> إبن منظور: لسان العرب، ج 1، "مادة خطب"، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر، (د ت)، ص ص 1194-1195.

<sup>2</sup> المنجد في اللغة العربية المعاصرة: دار المشرق، بيروت، 2000، ص 396.

<sup>3</sup> إلياس أنطوان إلياس: قاموس إلياس العصري، دار الجليل، بيروت، 1972، ص 191.

<sup>4</sup> Micro Robert: dictionnaire de la langue française, 1985, pp 312 313.

<sup>5</sup> سعد علّوش: مُعجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدّار البيضاء، المغرب، 1985، ص 83.

اصطلاحياً للخطاب فقال: "إنَّ المنطوق به - أي الخطاب- الذي يصلح أن يكون كلاماً: هو الذي ينهض بتمام المقتضيات التواصلية الواجبة في حقِّ ما يُسمَّى خطاباً، إذْ حدُّ الخطاب أنه كُـلُّ منطوقٍ به مُوجَّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً".<sup>(1)</sup>

هذا وعرّف محمود شمال حسن الخطاب بأنه: "عبارةٌ عن لُغةٍ يتمُّ من خلالها الاتّصال بالآخر، وقد يتّخذ الاتّصال اللغوي الصيغة التحريرية، كما هو الحال في الكتاب والصحيفة، أو يتّخذ الصيغة الشفوية، كما هو الحال في الاتّصال الحادث بين شخصين اثنين أو أكثر، أو شخص واحد وجماعة، يهدف من وراء هذه العملية إخبار أو تبليغ المستقبل بشيء ما، أو بحدثٍ ما، أو بفكرة بغرض إقناعه بوجهة نظره".<sup>(2)</sup>

وجاء في "معجم لاروس" أنّ الخطاب اسمٌ مُذكر يدلُّ على المعاني التالية:

- 1) الخطاب تطوُّر شفهي حول موضوع مُحدّد مُعلن أمام الجمهور أو مُوجَّه للعامة.
- 2) أنّ الخطاب مجموعةٌ من المظاهر اللفظية الشفهية أو الكتابية، لها معاني أيديولوجية لعصر ما خاصةٌ بمجال مُعيّن.<sup>(3)</sup> وهذا في معناها العام للدلالة على ظاهرة فعلية أو قولية، أو كتابية لتحديد أيديولوجيا مُعيّنة، أو لتحديد حالة عقلية في ظرف مُهمّ بالنسبة لمجال مُعيّن.

وجاء في "المعجم الفرنسي" أنّ الخطاب يدلُّ على أربع معان:

- 1) أنّ الخطاب تعبيرٌ عن الفكر بواسطة الكلام.
- 2) أنّ الخطاب تعبيرٌ عن الفكر سواء كان شفهي أو مكتوب، وأنّ أجزاء الخطاب هي مقولات الكلمات الملاحظة بواسطة النحو التقليدي.
- 3) أنّ الخطاب عرضٌ شفهي مُوجَّه نحو جمهورٍ بِحُصوص موضوعٍ مُحدّد.
- 4) أنّ الخطاب يكون عبارةً عن عرضٍ كتابي.<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> طه عبد الرّحمان: اللّسان والميزان، طبعة المركز العربي التقاني، الدّار البيضاء، المغرب، 1998، ص15.

<sup>2</sup> محمود شمال حسن: خطاب الأزمة ومحنة الآخر، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، مصر، 2006، ص7.

<sup>3</sup> Nouveau : Larousse Encyclopédique dictionnaire : Volume 1/A- KONDO, Pais, P 476.

<sup>4</sup> Dictionnaire de Français : direction : Philippe Amiel : Assiste de Hervé Dubourjal et Brigitte Vienne : Ed : Hachette 1987, nouvelle édition, P 340.



بينما يرى الفيلسوف ميشيل فوكو الخطاب على أنه: مجموعة من الملفوظات بوصفها تنتمي إلى نفس التشكيل الخطابي، فهو ليس وحدةً بلاغيةً أو صورية قابلة لأن تتكرر إلى ما لا نهاية، بل هو عبارة عن عدد محصور من الملفوظات التي نستطيع تحديد شروط وجودها، إنه تاريخي ومن جهةٍ أخرى جزءٌ من الزمن، ووحدة وانفصال في التاريخ ذاته، يطرح مشكلة حُدوده الخاصة. (1)

وفي موقعٍ آخر، اعتبر فوكو الأرشيف هو الخطاب في حد ذاته: "الأرشيف هو مجموع الخطابات التي يتم التلقُّظ بها فعلياً، تلك الخطابات التي لا يتمُّ تصورها فقط بوصفها مجموعةً من الأحداث التي قد تكون وقعت مرةً واحدةً إلى الأبد، والتي تبقى محلَّ لبسٍ في صفحة التاريخ، أو في مظهره"، وحدد "فوكو" مفهومه للأرشيف بقوله: "أعني بالأرشيف أولاً جملة الأشياء التي قيلت عن ثقافةٍ ما، وعُني الناس بحفظها، وارتفع قدرها عندهم، واستعملوها من جديد". (2)

بعبارةٍ أخرى، إنَّ الأرشيف عند فوكو هو تراثٌ من الملفوظات والمكتوبات الخطابية التي تراكمت في ثقافةٍ مُعيَّنة، يقع في الماضي، ترجع إليها الأجيال بغرض التعرف على الهوية والأصل، الموغلين في غياهب الماضي.

من مُميّزات الخطاب أنه غالباً ما يلجأ صاحبه إلى التركيز على تحسين الكلام، وعليه يستعمل مختلف وسائل المحسّنات اللغوية والبلاغية للتأثير على المتلقّي، والغاية من هذا القيام بوظيفة أيديولوجية، وهذا ما يؤكّد أنّ الخطاب يقوم على ثنائية (الخطاب - السُلطة). فالخطاب اقترن بالسُلطة مباشرةً في الثقافة العربية، وقد شاع استعمال الخطاب بمعنى الدلالة على الكلام، ويصدر عن هيئة رسميةٍ عليا أو قائدٍ سواءً على مُستوى الدولة أو المجتمع. (3)

ما يمكن أن نخلص إليه أنّ الخطاب قد يكون شفهيّاً عن طريق الحوار أو كتابياً بالاعتماد على وسائط كالصُّحف وغيرها، وعليه فمفهوم الخطاب كثيراً ما يرتبط وبنحوٍ مُتساوٍ بين كليهما، فنتيجةً لارتباط المفهوم أصلاً بعلاقات التواصل والتفاعل الخارجي مع الآخر.

<sup>1</sup> الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2000، ص 95.

<sup>2</sup> عبد السلام حيمر: في سوسيولوجيا الخطاب، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، (د ت)، ص 180.

<sup>3</sup> الطّاوس أغضابنة: الخطاب الديني عند محمد أركون من خلال مشروعه الفكري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، إشراف د عبد الحفيظ عصام، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010/2011، ص ص 63، 64.

انطلاقاً من هنا فإذا عرجنا على الساحة الجزائرية، فإن الموروث الكتابي والشفهي قد أوجد للكلمة -الخطاب- استعمالاً واسعاً، واكتسبت انتشاراً شعبياً هاماً حيث توسع استعمالها لتشمل كل مصدر من مصادر التلقي والاستقبال بالنسبة لأوسع فئة من الشعب، ونجد أن هذا المصطلح في المناسبات الوطنية والدينية والاجتماعية قد اقترن بعمليات التعبئة الفكرية والروحية لمواجهة الصعوبات والمشاكل.

بالعودة إلى المفهوم الذي جاء به "المعجم الفرنسي" الذي اعتبر أن الخطاب تعبير عن الفكر بالكلمات، وعليه فما يمكننا أن نقف عليه، تعدد المفاهيم الخاصة به، فكل تخصص يراه من الزاوية التي تحصر ذلك التخصص "فالخطاب في اللغة يختلف عن الخطاب في التاريخ"<sup>(1)</sup>.

وعليه فمفهوم الخطاب في التاريخ يحصره الأستاذ "أحميدة عميراوي" في التفكير العقلي، الذي يكون وفق إطار منهجي أيديولوجي، ويتحدد بملفوظات خطابية تتم عن اتجاهات فكرية، في أشكال خطابية كلامية، وفي ممارسة نظيرية، وكلها مشدودة إلى مرجعية ثقافية، ومطبقة بمنهجية علمية، وساعية إلى تحقيق أهداف مستقبلية، وعليه فمعنى الخطاب الذي يعنى بالحركة الوطنية هو الممارسة والإبداع بأكثر من مضمون، والذي قد يكون فكرياً أو سياسياً أو إصلاحياً، والذي يختلف عن مفهوم الخطاب اللسانيات وفي اللغة<sup>(2)</sup>.

إن الخطاب كممارسة لم يكن بمعزل عن الفعل الفكري في المسار التاريخي، بل يكون ملتصقاً بالموقف الإيديولوجي، وانطلاقاً من هنا تتضح مهام هذا الخطاب في تكريس الرهان السياسي المتفاعل مع محيطه الاجتماعي، ولهذا تتجلى مظاهره في التنظير لتطوير الواقع، أو في الضغط الرافض للهيمنة والمصادرة<sup>(3)</sup>.

ما يمكن أن نخلص إليه فهذا الخطاب يتعدّد من مستوى لآخر، فقد يكون خطاباً مدركاً للواقع الذي يعيش فيه من دون أن يكون قادراً على تغيير ذلك الواقع، كما قد يكون خطاباً آخر مدركاً

<sup>1</sup> أحميدة عميراوي: "عمر راسم وخطاب الحركة الوطنية الجزائرية"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع24، ص1، الجزائر، 2009، ص 333.

<sup>2</sup> أحميدة عميراوي: مواقف فضائية وإصلاحية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 104، 105.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 105.

للواقع ومنظرا له، في حين قد يكون نوعا ثالثا يجمع بين الإدراك والتنظير ومنه يستطيع التغيير، وبهذا الفعل يكون قادرا على حل المشاكل التي يتخبط فيها مجتمع ما أي بتغيير واقعه<sup>(1)</sup>.

## 2- أنواع الخطاب الأيديولوجي الجزائري:

لكي نتعرف على أنواع هذا الخطاب ينبغي أن نلّم بالأبعاد التاريخية التي نشأ فيها وتطور ضمن سياقها العام هذا الخطاب وشعاراته الإيديولوجية، والقراءة الأولية تشير إلى أنه برز في مرحلة محدّدة زمنيا تميزت بالمد الاستعماري العنيف والصدمة الحضارية الحديثة ومظهرها الغربي التسلطي، والتي تزامنت معها العديد من الأحداث الخارجية ساهمت في بلورة فكره الإيديولوجي.

### 1.2- واقع الجزائر مطلع القرن العشرين:

شهد العالم مطلع القرن العشرين تحولات كثيرة أدت إلى تغيير موازين القوى، ومهدت لظهور أحداث أخرى، فقد كان من نتائج الحرب العالمية الأولى، الثورة البلشفية في روسيا التي أطاحت بالعهد القيصري وعززت الفكر الثوري، ومبادئ ولسون في السلم الخاصة بتقرير المصير بعد عقد مؤتمر فيرساي بفرنسا سنة 1919، ثم الروح النضالية الجديدة التي بدأت تظهر على الساحة العالمية فمن الثورة الكمالية إلى حرب الريف ثم احتلال دمشق من قبل فرنسا<sup>(2)</sup>.

في خضم هذا الحراك العالمي، كانت الجزائر تعيش استعماراً استيطانياً مُستبدّاً من طرف فرنسا لأزيد من ثمانين سنة خلت، اتّسمت هذه الفترة بالسيطرة السياسية والعسكرية لإدارة الاحتلال من ناحية، وبنفوذ المستوطنين على حساب الجزائريين الذين أُطلق عليهم تسمية "الأهالي"، أي مواطنين من الدرجة الثانية، دون حقوق ودون اكتساب المواطنة، ناهيك عن التسلُّط والعُنف وانتهاك الحريات الأساسية وتدنيس المقدّسات ومُحاولة القضاء على الهوية.

لم يكن الجزائريون مطلع القرن العشرين عن معزلٍ من هذه الأحداث العالمية، بالإضافة إلى هذا نجدُ فئةً منهم كانوا متأثرين بأفكار الجامعة الإسلامية في المشرق، والفكر السياسي والاشتراكي في أوروبا

<sup>1</sup> أحمدية عميراي: مواقف نضالية وإصلاحية، مرجع سابق، ص 105.

<sup>2</sup> محمد قنانش: المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945، منشورات دحلب، الجزائر، (د ت)، ص 38.

— بحكم الثقافة والتعليم الفرنسي الذي تلقته فئة من الجزائريين في المدارس الفرنسية<sup>(1)</sup>— كما ساهمت العديد من العوامل الأخرى سواءً على المستوى الخارجي أو داخلياً في تشكّل الفكر الإصلاحى منها: الحركة الفكرية التي برزت في شتى أنحاء العالم أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها والتي كان لها دوراً كبيراً في ظهور هذا الخطاب.<sup>(2)</sup>

تصاعد حركة المد الإصلاحى التي قادها جمال الدين الأفغانى (1838م-1897م) والشيخ محمد عبده (1849م-1905م) إضافة إلى زيارة محمد عبده للجزائر سنة 1903م، بحيث كانت لتلك الزيارة الأثر البالغ في نفوس الجزائريين، إضافة إلى عودة أبناء الجزائر المخلصين من الحجاز منبع الإسلام، ومنبت الدعوة إلى الإصلاح الدينى بعد أن تشبعوا بالأفكار الإصلاحية هناك، هذا ومن ناحية أخرى الدور الكبير الذي مثله جامع الزيتونة والأزهر وباقي الحواضر الإسلامية والتي كان لها فضل كبير على الحركة العلمية في الجزائر، كما كان لتأسيس الصحافة وظهور النوادي والجمعيات الأثر البالغ انطلاقاً من الدور الذي قامت به توعوياً وثقافياً<sup>(3)</sup>.

تركزت السياسة الاستعمارية في الجزائر على أربعة محاور رئيسية: التنصير والفرنسة والإدماج والتفرقة بين العرب والأمازيغ<sup>(4)</sup>، لذلك فقد هدف الاحتلال الفرنسي إلى محاولته القضاء على الثقافة العربية والإسلامية في البلاد، زد على ذلك الحقد الصليبي الذي رافقته الحملات التبشيرية، بهدف القضاء على الدين، هذا ما حرّ كثيراً في نفوس الجزائريين وحرّكهم للحد من هذه التجاوزات.

لقد شكل بعد الدفاع عن الهوية الهدف المركزي الذي تمحور حوله نضال الشعب الجزائري، ووفق توضيح أحد الكتاب فإن المكانة التي احتلتها الهوية هي التي فرضت وحدت التوجهات الأساسية للعمل السياسي والإصلاحى في بلاد المغرب العربي (الجزائر)، بحيث نجد أن هناك ثلاث مواضيع شكلت الأرضية النضالية في الجزائر ونجد منها:

<sup>1</sup> Charles Robert Ageron: Les Algériens musulmans et la France (1871-1919), T2, P4, Paris, France, 1968, P1025.

<sup>2</sup> عبد الملك مرتاض: نخبة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954)، ش و ن ت، ط2، الجزائر، 1983، ص54.

<sup>3</sup> سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، (د ت)، ص 37 38.

<sup>4</sup> نازلي أحمد معوض: التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1986، ص64.

- 1) الموقف الوطني من الاستعمار وسياساته وممارساته التي كانت تستهدف المساس بالقيم والمقومات الوطنية وعلى رأسها اللغة العربية والتي هي لغة القرآن الكريم.
- 2) فكرة الأمة التي سكنت أفئدة الجزائريين وأصبحت بالنسبة لهم اعتقاداً مقدساً.
- 3) الرغبات الوطنية التحررية لأجل مواجهة الحيف والاستبداد الفرنسي.<sup>(1)</sup>

لقد شكل هذا الواقع الأرضية الأساس التي انطلق منها زعماء الحركة الوطنية، في نضالهم في سبيل تحقيق مطالبهم التي احتوتها برامجهم، والتي كانت تهدف إلى خدمة الجزائر وشعبها، الكل حسب مرجعياته الثقافية الفكرية والسياسية، وانطلاقاً من هنا كان الاختلاف في نوع خطاب اتجاهات الحركة الوطنية.

## 2.2- أنواع الخطاب:

### الخطاب الإصلاحية:

الإصلاح في اللغة كلمة مشتقة من الفعل "أصلَحَ، وصلَّحَ وصلح"، وكلها كلمات تدل على تفسير حالة الفساد، أي إزالة الفساد عن الشيء، و الإصلاح بالمعنى المقصود في بحثنا هذا، فيظهر أنه يدل على يقظة الوعي الذي اكتسبه أغلبية زعماء الإصلاح، لأنهم كانوا يشعرون بالآلام شعوبهم ويدركون الأخطار المحيطة بهم، ويفكرون بعمق في أسباب الداء ووصف الدواء، ويبدو أن كل مصلح يُنظر إلى إصلاحه من زاويته وحسب مفهومه، فكان بذلك مصلحون دعوا إلى الإصلاح حسب بيئتهم وثقافتهم وعقليتهم أمثال عبد الحميد بن باديس (1889م-1940م)، وضلت آرائهم تعمل عملها في حياتهم وبعد موتهم.<sup>(2)</sup>

كان أول من دشن الخطاب الإصلاحية في المشرق العربي رفاة رافع الطهطاوي (1801م-1873م) إثر احتكاكه بالغرب، غير أن هذا الخطاب تطوّر وبلغ ذروته على أيدي الرعيل الأول من زعماء حركة الإصلاح أمثال جمال الدين الأفغاني (1838م-1897م) ومحمد عبده (1849م-1905م) ورشيد رضا (1865م-1935م) والأمير شكيب أرسلان (1869م-1946م)، انعكس

<sup>1</sup> زبير محمد: صفحات مطوية من الوطنية المغربية من الثورة الريفية إلى الحركة الوطنية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1990، ص58.

<sup>2</sup> محمد طهاري: مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، م و ك، ط2، الجزائر، 1992، ص ص 11-14.

هذا على الجزائر فنجدته تطور بها عن طريق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث كانت شعاراتها تعني دائما التوجه نحو المستقبل فعبارات التقدم والنهضة والرقي كانت ملازمة لكل توجه خطابي أو كتابي نحو الشعب، كما كانت هذه العبارات تطلق على المؤسسات الاجتماعية والثقافية<sup>(1)</sup>.

لقد ظهرت فئة من العلماء الجزائريين الذين حملوا على عاتقهم هذا المشروع، فقد كان خطابهم الإصلاحية يستهدف دراسة المجتمع الجزائري من جوانبه المختلفة، وبذلك هيأت جمعية العلماء المسلمين حياة جديدة يستأنف فيها الشعب الجزائري رسالته وتحيي أجماده وتاريخه<sup>(2)</sup>، هذا واعتبر العلماء أن برنامجهم الإصلاحية ما هو إلا امتداد للحركات الإصلاحية والإسلامية التي دعت إليها تيارات الجامعة الإسلامية، وأن حركتهم لا تتجزأ من صحوة العالم الإسلامي التي خدموها بل وعاش بعضهم حيثياتها في المشرق الإسلامي كما سبق لنا وأن قلنا.

### الخطاب الاندماجي:

ظهر هذا الخطاب نتيجة العديد من الظروف التي عاش في خضمها المجتمع الجزائري نتيجة الظاهرة الاستعمارية، لذلك فإنه إفراز فعلي للغزو الاستعماري، الأخير الذي عمل على تكوين نخبة من الجزائريين في مدارس الاستعمار لأغراض شتى أرادها الاستعمار من ضمها إيجاد الوسطاء بين الأهالي والإدارة الاستعمارية.

والحديث عن الخطاب الاندماجي يجرنا إلى الحديث عن منتجي هذا الخطاب، وهم الجزائريون الذين درسوا وتخرجوا من المدارس الفرنسية، لكنهم وبناء على ما تلقوه خلال سنين الدراسة ظلوا على قطيعة مع التراث الثقافي - الحضاري - ذلك كونهم نتاج المدرسة اللائكية الفرنسية المعدة للأهالي وليس الفرنسيين<sup>(3)</sup>.

إن أهم ميزة لهذا الخطاب أنه ينطلق باقتناع وإيمان من فكرة التجنس كوسيلة وحيدة لإنقاذ الإنسان الجزائري من الجهل والأمية والتخلف من جهة وللحصول على بعض الحقوق المدنية من جهة

<sup>1</sup> إبراهيم مياسي: مقاربات في تاريخ الجزائر 1830 1962، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 258 259.

<sup>2</sup> مالك بن نبي: شروط النهضة، تر: عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، 3، دمشق، سوريا، 1986، ص ص 25، 26.

<sup>3</sup> أحمد حمدي: جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، دار القصب، الجزائر، 2001، ص ص 88-91.



ثانية، وهكذا جاءت أسطورة دمج الجزائر بالوطن الأم أي فرنسا باعتبار أن الأراضي الجزائرية إنما هي امتداد للأراضي الفرنسية، ويقدمون لذلك التشبيه البليغ الآتي: " البحر الأبيض المتوسط يشق فرنسا مثلما يشق نهر السين باريس"<sup>(1)</sup>، وأي مقارنة هذه؟

يشكل الخطاب الإندماجي نتيجة منطقية ومنتظرة لأطروحة الفرنسية والتجنيس، التي آمنت بها هذه الفئة، إذ أنهم نهلوا من ثقافة المستعمر دون أن يتعرفوا على ثقافتهم الأمر الذي جعلهم مستلبين وغير قادرين على تلمس أحاسيس شعبهم، وهم ثمرة جهود المدارس المحدودة التي أنشأتها فرنسا وسمحت لفئة من الأهالي بدخولها.

ويبدو أن الخطاب الإندماجي قد تبلور على يدي الشريف سيسبان والدكتور محمد الصالح بن جلول(1896م-1986م) والصيدلي فرحات عباس(1899م-1985م) الذي يصيغ عناصر الخطاب الإيديولوجي ابتداء من سنة 1927م إثر نشره سلسلة من المقالات في جريدة "التقدم" التي يشرف عليها بلقاسم بن تامي ثم جمعها سنة 1931م في كتابه المشهور الشباب الجزائري<sup>(2)</sup>.

إن الانتقال من شكل النظام الاستعماري القديم والذي يقوم على سياسة الإخضاع بالقوة إلى الأشكال الجديدة من الاستعمار والقائمة على الاستغلال الاقتصادي والامبريالية الثقافية وتشكيل جماعات الضغط الكفيلة بتوجيه السياسات المختلفة (اقتصادية - ثقافية - اجتماعية) ضمن المنظور الحضاري الفرنسي، تلك هي الغايات الجديدة للاستعمار، بحيث يحرص على تكوين نخب على إنتاج خطاب إيديولوجي متشيع برؤى فكرية لا تتعارض والمشروع الاستعماري الجديد<sup>(3)</sup>.

### الخطاب الاستقلالي الثوري:

يشكل هذا الخطاب إحدى دعائم الخطاب الوطني، إذ يعود سبب وجوده على الساحة السياسية إلى الهامش القانوني الذي تم تحقيقه بفضل الكفاح المرير الذي خاضه الشعب الجزائري منذ

<sup>1</sup> أحمد حمدي، المرجع السابق، ص 92، 93.

<sup>2</sup> إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 260.

<sup>3</sup> أحمد حمدي، المرجع السابق، ص 101.

بداية الاحتلال سنة 1830م إلى بداية تشكيل النواة الأولى للكفاح السياسي الذي جاء كبديل طبيعي للكفاح المسلح<sup>(1)</sup>.

أسهمت العديد من العوامل في تشكّل الخطاب الاستقلالي الذي استمد فكره انطلاقاً من عدة مرجعيات، ساهمت في نهاية المطاف في إدراكهم حقيقة الأمة الجزائرية، وكان إيمانهم بها دافعاً مباشراً للدفاع عنها في سبيل تقرير مصيرها وتحقيق الاستقلال التام عن فرنسا، فالاستقلال كان شعارهم منذ تأسيس أول حزب سنة 1926، وما ميّز هذا الخطاب أنه كان ضد الأفكار والطروحات التي جاء بها أصحاب التيار الاندماجي الذين كانوا يطالبون بدمج الجزائر بفرنسا<sup>(2)</sup>.

يتحکم في نجاح أي خطاب مهما كان نوعه واتجاهه، ضرورة حسن اختيار الوسائل اللازمة لذلك. وهذا ما دفعنا لطرح هذا السؤال: ما هي أهم الوسائل التي اعتمد عليها زعماء تيارات الحركة الوطنية؟.

<sup>1</sup> إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 261.

<sup>2</sup> أحمد حمدي، المرجع السابق، ص 103.

## المبحث الثاني: وسائل الخطاب عند اتجاهات الحركة الوطنية:

لقد تنوعت وسائل الخطاب عند زعماء تيارات الحركة الوطنية بحسب تنوع توجهاتهم وميولاتهم السياسية والثقافية ومرجعياتهم وحتى أماكن تواجدهم، ومن جملة تلك الوسائل نجد الصحف التي كان يصدرها هؤلاء الزعماء متخذين منها لسان حال أحزابهم، لأنها تكتسي أهمية بالغة بالنسبة لهم من جهة، كما يمكننا أن نعتبرها من المصادر الهامة والأولية لدراسة مواضيع مثل هذه الدراسة التي نحن بصدد إنجازها.

### 1- الصحافة ودورها في إبراز خطاب الحركة الوطنية الجزائرية:

تشكّل الصحف سجلاً هاماً للأحداث ومرجعاً يعتمد عليه المؤرخون والدارسون، ذلك لاعتبارها مصدراً تاريخياً هاماً، تقدم مادة ذات أهمية كبيرة بالنسبة لهم، فكل جريدة من الجرائد التي سنتحدث عنها تعبر عن أفكار الحزب الذي تمثله، وعن اهتمامات زعماء التيارات الذين يكتبون في المواضيع السياسية والإصلاحية والاجتماعية التي تلهمهم، وهذا يدل على أنها مصدراً غنياً وخصباً ذو أهمية كبيرة بالنسبة.

إنّ الهدف الأساسي من وراء إصدار هذه الصحف يتجسد في المقال الذي كتبه "محمد الخروبي" ونشره في جريدة الإقدام حيث قال: "الجرائد فيها سر عظيم، وخيرٌ كثيرٌ لا يعد، ومن خصائصها هي محامي من لا محامي له، ونائب من لا نائب له، وأستاذ من لا أستاذ له، تربّي الصغير وتهذب الكبير، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر... ترهب الظالم و تفضح المنافق... الصحافة الآن هي من اللوازم الواجبة".<sup>(1)</sup>

إنّ الجهد الذي كانت تبذله تلك الجرائد، فرغم اختلاف توجهاتها، فإنها تشترك في العمر القصير، فقد كانت تتعرض في غالب الأحيان إلى المصادرة، والغلق والحجر، بسبب سياسة الإدارة الفرنسية التي كانت تضيق على أي نشاط تشتم فيه رائحة الحث عن الوطنية أو التنديد بالوجود الفرنسي.<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> جريدة الإقدام: ع 10، س 1، 12 نوفمبر 1920.

<sup>2</sup> رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ط5، الجزائر، 2001، ص ص

بالرغم من ذلك فقد نجحت الصحافة الجزائرية الناطقة بالعربية وبالفرنسية في أن تعكس أهم ما ميّز الحياة الجزائرية في الفترة الممتدة من 1919-1954م، سواء في الميدان السياسي أو الإصلاحي أو الاجتماعي وحتى الثقافي، كما استطاعت الصحافة الفرنسية بفرعها العربي والفرنسي أن تعكس الولاء المزدوج للحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، والصراع الذي يعيشه المجتمع الجزائري بين جذوره العربية والإسلامية، وامتداده المتأثر بالحضارة الغربية.<sup>(1)</sup>

إذا لقد استطاعت الصحافة الجزائرية طيلة القرن العشرين أن تؤدي دوراً هاماً في تغطية الأحداث السياسية، وفي تكوين الفكر السياسي الجزائري، لكن ما يجب التنويه به أنه وحتى الحرب العالمية الثانية كانت كل الصحافة الجزائرية تقريباً كلها ذات اتجاه واحد في لهجتها، والتي كانت مسالمة نوعاً ما، فقد كان أبرز مطالبها تحصيل بعض الحقوق، ومن جهة أخرى تقوم بكشف بعض الممارسات العدوانية التي كانت تقوم بها سلطات الاحتلال، والراجح في لهجتها السلمية يعود بدون شك إلى أنّ الظروف هي من حتمت إتباع ذلك، وفي ضل هذه الأوضاع فقد كانت تبدو الصحف التي كان يصدرها الاتجاه الاستقلالي أنّ لهجتها كانت شديدة نوعاً ما، وهذا ما عرّض صحافة هذا الاتجاه إلى الغلق في أكثر من مرة.

لقد عرفت فترات ما بعد ثلاثينيات القرن العشرين وما كانت تعيشه الجزائر وقتها عصراً جديداً للكتابة الصحفية، والذي بدأ مع ظهور جريدة "الأمة" التي كانت تصدر باللغة الفرنسية وكانت توزع سرياً، الأمر الذي جعل من هذه المرحلة تعرف تحولاً كبيراً في التفكير وفي الوعي الوطني وكذلك في المواقف، كما ساهمت تراكمات تلك المرحلة بروز الشعب كقوة سياسية عوض النخبة التي بدأت في التراجع، ولقد نقلت صحافة تلك المرحلة بصدق الصراع القائم بين الجزائريين والفرنسيين، كما أدت دوراً لا يستهان به في تغطية الأحداث السياسية، وبذلك يمكن اعتبارها سجلاً للأحداث السياسية والتي ساعدت في تكوين الفكر السياسي والإصلاحي.

<sup>1</sup> عواطف عبد الرحمان: الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية (1954-1962)، معهد البحوث والدراسات، القاهرة، مصر، 1978، ص42.

## 2- وسائل الخطاب عند الاتجاه الاستقلالي:

كانت النوادي والمقاهي فضاءات واسعةً لمناقشة بعض القضايا المتعلقة بالأوضاع التي كانت تعيشها الطبقة العاملة بالمهجر، وكذا الظروف العربية والإسلامية وحقوق العمال ومسلمي الجزائر، فكان البحث على الأطر السياسية لها بدايةً الطريق نحو بناء مشروع سياسي قادر على حلحلة الأفكار والآراء التي من شأنها أن ترفي مستوى التحدي.

لقد استعمل النجم التّشاط الصحفي أسلوباً أمثل للدعاية ونشر أفكار الحزب وأهدافه وإظهار الحقائق، وبذلك تمّ إصدار "جريدة الإقدام الباريسي" *L'ikdam de paris* سنة 1927م، وهي عبارة عن امتدادٍ للجريدة التي أدارها الأمير خالد من قبل، فقد كانت تصدر باللغتين وبمظهر مختلف تفادياً لكل الضغوطات، فقد عملت هذه الجريدة على إبراز وتأييد كل المبادئ التي أقرتها اجتماعات الحزب خاصةً استقلال شمال إفريقيا وتشكيل حكومة ثورية، فكانت نداءات الثورة حقاً من خلال تلك الصحيفة، مما أدى إلى توقيف صدورها بقرار مجلس الوزراء المؤرخ في 1 فيفري 1927م<sup>(1)</sup>، بعد صدور ثلاث أعدادٍ منها فقط.

تم استبدال "الإقدام الباريسي" بجريدة "إقدام الشمال الإفريقي" *L'ikdam nord-africane* والتي اضطلعت بالمهمة نفسها والأدوار المنوطة بها، لكنها عرفت تقطعاً في الصدور، قبل أن تجمد هي كذلك بعد صدور ثلاث أعداد لتستبدل مرةً أخرى بجريدة "إقدام نجم الشمال الإفريقي" *L'ikdam de l'etoile nord-africane* والتي عملت على تعميق التكوين السياسي للوطنيين والمناضلين الجزائريين.<sup>(2)</sup>

عملت الجرائد التي سبق لنا وأن ذكرنا على محاولة الإفصاح عن برنامج عمل الاتجاه، فقد جاء في العدد الثالث من إقدام باريس في فيفري 1927م، جوهر برنامج الحزب في أربع صفحات منها اثنان باللغة العربية، حيث يعرض المقال الرئيس ويفصل في الشعار المركزي للنجم حول التحرر من نير الإمبريالية، فتحت عنوان: "هدفنا الوحيد"، الاستقلال الوطني أملنا الأعلى وقمة خلاصنا، يذكر رئيس النجم بأنّ النجم الجامع لكل المسلمين التونسيين والجزائريين والمغاربة الذين لا يرضيهم وضع بلدانهم

<sup>1</sup> إبراهيم مهديد: نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري (1926-1939)، منشورات دار الأديب، الجزائر، 2007، ص22.

<sup>2</sup> كمال بوقصة: مصادر الوطنية الجزائرية إلى منابع الوطنية الجزائرية الشعبية، دار القصة، الجزائر، 2005، ص382.

الثلاثة في شمال إفريقيا، مصمم بوضوح على قيادة النضال حتى النهاية لأجل الاستقلال، وهذا يوضح لنا حدة الخطاب الذي كان يصدر عن رئيس التيار.<sup>(1)</sup>

بعد أن تم غلق كل الجرائد التي أصدرها التيار الاستقلالي في كل مرة، عمل على تأسيس جريدة تحت مسمى آخر هذه المرة أطلق عليها اسم جريدة "الأمة El ouma"، التي صدر منها أول عدد في أكتوبر 1930م باللغة الفرنسية، ولم يرد فيها بالعربية سوى الآية القرآنية المكتوبة داخل الهلال، كان المدير السياسي للجريدة السيد مصالي الحاج (1898-1974م)، ورئيس تحريرها عمار عيماش (؟-1953م)، والمدير المسؤول محمد السعيد سي الجيلالي (؟-1955) الذي أعتقل في 24 جويلية 1938م، فحل محله علي شعبان الكاتب العام وعضو المكتب السياسي لحزب الشعب، وعندما أعتقل هذا الأخير كذلك، حل محله محمد العروي، الذي استمر في إدارة الجريدة إلى أن توقّف صُورها، وكانت جريدة الأمة تصدر مرّة في الشهر، وقد لاقت نجاحاً كبيراً وسريعاً في التوزيع، حيث تطورت من 12000 نسخة عام 1932م إلى 44000 نسخة عام 1934م، لذلك أعرب المشرفون عليها عن رغبتهم في إصدارها أسبوعياً حتى تتصدى للهجمات التي يتعرض لها حزبهم يومياً، لكنها عرفت تذبذباً في الصدور هي كذلك، وتعرض مقرها في أكثر من مرة للمداهمات البوليسية، واعتقال مسؤوليها، وبقيت على هذا الحال إلى أن مُنعت نهائياً في 29 سبتمبر 1939م.<sup>(2)</sup>

امتازت جريدة الأمة بأسلوب حماسي، ولهجة عنيفة في تعليقها على الأحداث، وكانت تهدف من وراء ذلك إلى إلهاب الحماس الوطني لدى الجزائريين واستعدادهم للتضحية، والوقوف وراء النجم أو حزب الشعب بعد ذلك، كما عملت على بثّ روح الثبات في نفوس مناضلي الحزب ورفع معنوياتهم باستمرار، ودعوتهم للصمود أمام عمليات القمع البوليسية، وكانت تدعم دعوتها بأقوال مأثورة مثل قول كمال أتاتورك: "بإمكانكم هدم القسطنطينية، لكنكم لن تقووا على هدم الشعور القومي لدى الشعب"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> كمال بوقصة، المرجع السابق، ص 382.

<sup>2</sup> أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، ج 1، م و ك، الجزائر، 1986، ص 249.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 250، 251.

كما أصدر التيار الاستقلالي جريدةً أُطلق عليها "جريدة الشعب"، والتي تُعتبر هي الأولى من نوعها للحزب التي تصدر في الجزائر بعد أن نقل نشاطه من بلاد المهجر إلى هنالك، كما أنّها كانت الأولى من نوعها تصدر باللغة العربية كاملةً، وقد تم إصدارها نتيجة لرغبة زعماء الحزب في تنشيط الإعلام الوطني في الجزائر، فتكونت الهيئة التي تشرف عليها من مصالي الحاج مديراً سياسياً، علي بن الأمين صاحب الامتياز، ومفدي زكريا رئيس قسم التحرير، ومحمد مسطول أمين المال، وكان مقرها بالجزائر العاصمة، اعتبرت "الشعب" نفسها لسان الحركة الوطنية بالجزائر المسلمة العربية، إلا أنّها لم تعمر طويلاً، فقد صدر منها عددان فقط<sup>(1)</sup>.

في 18 ماي 1939م، تمّ إصدار جريدةٍ أُخرى تحت اسم "البرلمان الجزائري le parlement algérien" باللغة الفرنسية، شعارها الدِّفاع لتحرير الشعب الجزائري، غير أنّها كذلك تعرضت للغلق بعد صدور سبعة أعدادٍ منها فقط، في 27 أوت 1939م.<sup>(2)</sup>

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية واصل أعضاء التيار في مساعيهم، خاصةً بعد تأكدهم من ضرورة مواصلة العمل الصحفي باعتباره ركيزةً من ركائز العمل الوطني، فأصدروا جريدة "الأمة الجزائرية" وهي صحيفةٌ شهريّةٌ باللغة الفرنسية، صدر أول عددٍ منها في جويلية 1946م، تمحورت أهدافها في الدفاع عن أفكار الحزب، كما كانت تدعو للاستقلال التام عن فرنسا. وظلّت إلى غاية 1953م.<sup>(3)</sup>

جريدة "المغرب العربي"، وهي جريدة أسبوعية، أصدرها نخبةٌ من الجزائريين، يديرها ويحررها "محمد السعيد الزاهري"، وكانت تصدر بالعربية وبالفرنسية، صدر أول عدد منها يوم 13 جوان 1947م، تمحورت مواضيعها حول المطالبة بالحرية والديمقراطية، والسعي نحو الاستقلال التام، كما انتهجت طريقةً واضحةً، من خلال رفض مساعي الاندماج والفرنسة، والمطالبة بإلغاء النظام الاستعماري، وتمكين الشعب من ممارسة السيادة بواسطة الاقتراع والتمثيل النيابي، كما اهتمت بنقل أخبار الحركات الوطنية المغاربية، إلى أن توقفت الجريدة سنة 1949م.<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ص ص 268، 269.

<sup>2</sup> أحمد الخطيب: حزب الشعب...، ج1، مرجع سابق، ص ص 251-254.

<sup>3</sup> زهير إحدادن: مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، د م ج، الجزائر، 2002، ص93.

<sup>4</sup> عواطف عبد الرحمان: المرجع السابق، ص44.



كما أصدر الحزب "جريدة الجزائر الحرة L'algerie liber" بتاريخ 18 أوت 1949م، وهي جريدة نصف شهرية بعد توقف جريدة المغرب العربي، كانت تصدر باللغة الفرنسية، وهي لسان حال حركة الانتصار والحريات الديمقراطية، أما عن غايتها فقد كتب جريدة "المنار" مقالا جاء فيه: "...وها هي اليوم تعود من جديد إلى وطنها باللّهجة نفسها والمبدأ نفسه الذي أعلنته حين أنشأتها والصرحة والشجاعة نفسها اللتين تميّزت بهما".<sup>(1)</sup> وقد واصلت الجريدة عملها واستمرت في الصدور إلى غاية اندلاع الثورة سنة 1954م.

### 3- وسائل الخطاب عند الاتجاه الليبرالي:

عمل أعضاء هذا التيار كذلك على إصدار الصحف السياسية، من أجل تبني أفكارهم ومواقفهم السياسية على الساحة الوطنية، وكسب الجهات التي تعمل على استمالتها، لكن ما يميّز هذا الاتجاه أنه يضم ثلاث تيارات متباينة الأفكار والأهداف، منها التيار الإندماجي الفرنكوفيلي (المتطرف) والتيار الإندماجي الفرنكولائكو بربري (الإنفصالي)، والتيار الإندماجي الفرنكواسلامي (المعتدل)،- سنتحدث عنهم بشيء من التفصيل في الفصل الخاص بهذا الاتجاه- فعمل كل فريق منهم على إصدار صحافته الخاصة التي من خلالها يسهل عليه ممارسة نشاطه في إطار ما يسمى بالنضال الوطني.

أصدر التيار الاندماجي المتطرف العديد من الصحف وكان أبرزها صحيفة "صوت المستضعفين la voix de humbres" سنة 1922م علي يد رابح زناقي(1873م-1952م) و التي كان شعارها ترقية الأهالي عن طريق الثقافة الفرنسية، كما أصدر جريدةً أخرى أطلق عليها "صوت الأهالي la voix indigène" سنة 1929م، وكان شعارها "جريدة الاتحاد الفرنسي-الإسلامي"، وعليه فقد كانت هاتان الجريدتان أفضل المنابر للتعبير عن أفكارهم وطروحاتهم<sup>(2)</sup>.

إلى جانب هذا التيار، نشط التيار الإندماجي المعتدل وأفضل من مثله "فدرالية المنتخبين المسلمين" التي تأسست في 11 ديسمبر 1927م، التي انطلق نشاطها فعليًا بعد 1930م ببروز العديد من الشخصيات التي اتسمت بالفكر الليبرالي وكانت أكثر نشاطا وتنظيم ، ومثلهم محمد الصالح بن جلول وفرحات عباس وغيرهم، الذين اتخذوا من جريدة الوفاق لسان حال حزهم.

<sup>1</sup> جريدة المنار: ع6، س1، 30 جويلية 1951، ص2.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص ص 266، 267.

لقد أصدر هذا الاتجاه جريدة الوفاق والتي كان شعارها "الوفاق الفرنسي الإسلامي l'entente"، ظهرت بقسنطينة في 12 سبتمبر 1935م برئاسة محمد الصالح بن جلول، وكانت الناطق الرسمي ولسان حال فدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين، وعليه فقد اعتبرت هذه الجريدة بمثابة انعكاس للنخبة باعتبارها كانت تعبر عن أفكار وطروحات النخبة الجزائرية المفرنسة، والتي كانت في الأساس موجهة لهم.<sup>(1)</sup>

لقد تم إصدار هذه الجريدة من طرف أعضاء التيار الاندماجي المعتدل والتي ارتبطت بشخصية بن جلول، هذا الأخير الذي عُدد حسب أحد التقارير الفرنسية الرجل الجديد الذي يمثل الجيل الجديد للشبان الجزائريون وقائدهم والذي سبق له وأن خاض تجربة صحفية في جريدة "صوت الأهالي"، الأمر الذي مكنه من اكتساب خبرة سياسية ولب من خلالها الساحة السياسية من أوسع أبوابها، ليصمم على مكانته في المجال الذي سار فيه في منحى تصاعدي في غاية السرعة، وجاء في هذا التقرير على أنه: "... أصبح يمتلك السمات والتصرفات التي يتصف بها القائد، نظرا لحركيته الدائمة وشغفه السياسي".<sup>(2)</sup>

بالرغم من نشأة هذه الفئة وسط المدارس الفرنسية، إلا أنها في كتاباتها ومقالاتها الصحفية لم تنتكر لأصولها، إذ لم تبدي رفضها للإسلام أو التنازل عن الأحوال الشخصية، بل حملت على عاتقها قبل نظيراتها من زعماء الحركة الوطنية عناء الدفاع عنها، فكان محور تقاطعها مع باقي الاتجاهات الوطنية حول مسألة الوطنية ومرجعياتها الذي وجدت حله في ضرورة الإدماج.

بعد تصفح بعض الأعداد من جريدة الوفاق، نجد أن اهتماماتها كانت منصباً على المسائل السياسية وبالرغم من كون أعضاء هذا الاتجاه ذوو تنشئة فرنسية، كونهم ترعرعوا ونهلوا من العلوم التي كانت تدرس في المدارس الفرنسية، إلا أننا عند تصفحنا لكتاباتهم، نجد أنهم لم ينتكروا لا عن الإسلام ولم ينسلخوا عن مجتمعهم كلية، رغم أفكارهم التقدمية.

لقد كانت العلاقة التي تربط الجزائر وفرنسا من بين القضايا التي ناقشها بن جلول في مقالاته فالتصفح لكتاباته سيلاحظ حتما الفكر الإدماجي الذي يروج له، كتب قائلاً في إحدى المقالات

<sup>1</sup> Haddad Mostafa: l'émergence de l'Algérie moderne, T1, 1er Ed, I. Guerfi, Batna, 2001, PP 454-455.

<sup>2</sup> A.N.O.M : note individuel des renseignements (ben jaloul), 25 septembre 1942.

المنشورة في جريدة الوفاق: "توجد العديد من المسائل والقضايا بين فرنسا ونحن، لكنها مسائل أسرة واحدة، ولا نسمح لأحد بالتدخل بيننا، ببساطة لكونها مسائل عائلة واحدة".<sup>(1)</sup>

أما القضايا التي اهتم بطرحها فرحات عباس، فنجد أن كل كتاباته لا تنكر الدين الإسلامي والشخصية الإسلامية، وقد جمع كل مقالاته التي نشرها من قبل في كتاب أطلق عليه "الشباب الجزائري"، فملتصيح لكتاباته يجده يعبر بعقلانية عن احترامه وانجذابه للإسلام، فكان قد أفصح من خلالها عن مرجعيته، وبالرغم من الفائدة التي اعترف بها لما قدمته له الحضارة الفرنسية والتكوين من عقلانية وتفاسير علمية، إلا أنه اعتبر الإسلام عقيدته الخاصة التي أوجدت لحياته معنى (الوطن الروحي).

هذا وعالجت "الوفاق" في العديد من المقالات المسائل التي تخص القضايا الثقافية والسياسية مهللة في مراتٍ ومستنكرةً في مراتٍ أخرى، فنجدها قد رفضت كل الخطابات العنصرية ضد الإسلام ومعلمه، ورفضوا جملة وتفصيلا فكرة تطرف الأديان، هذا وعبروا عن رفضهم القاطع الإنضواء تحت لواء الصليب وجاء في العدد 24: "أنا على تم الاستعداد أن نرتدي الخوذة ونكون تحت العلم الفرنسي، لكن لا نقبل الوقوف تحت الصليب، فمطلبنا يجب أن تكون أسماء المسلمين خالدة".<sup>(2)</sup>

هذا ومن جهة أخرى فقد أنشأ فرحات عباس جريدة أخرى، أطلق عليها اسم "المساواة Egalité"، والذي اقترن ظهورها أساساً بحركة أحباب البيان والحرية، التي تأسست بعد رفض بيان الشعب، هذا الأخير الذي شغل تفكير فرحات عباس السياسي وشغل لديه قضية حقيقية.

بالعودة إلى جريدة "المساواة" فقد تم إصدارها لأول مرة في مارس 1944م باللغة الفرنسية، والتي دعت إلى تحقيق المساواة بين الجزائريين والفرنسيين، لكنها صُودرت بعد أمر الاعتقال الذي نفذته السلطات الفرنسية ضد فرحات عباس وباقي الوطنيين، لكنها استأنفت نشاطها الصحافي ابتداءً من 2 جوان 1946م.<sup>(3)</sup>

حملت شعار "المساواة بين الرجال وبين الشعوب و الأجناس"، فقد تم اعتبار هذه الجريدة بمثابة الوسيلة للأهالي فهي تعبر عن تفكير الجزائريين، فدافعت عن الأهالي الجزائريين باعتباره إنسانا، وكذلك

<sup>1</sup>A.N.O.M : BMPIA, l'entente, 13avril 1939.

<sup>2</sup> L'entente: N°24, 27 Février 1936.

<sup>3</sup> أحمد بن مرسللي: ثورة أول نوفمبر في صحافة حزب الأتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري: جريدة الجزائر الجمهورية نموذجاً، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007، ص42.

باعتباره شعباً موجوداً، له خصائصه الشخصية والمعنوية كبقية شعوب الإنسانية، وهذا لمحو الدونية الملصقة بالشعب الجزائري، وتأكيد جذورهم المعنوية والمادية في التاريخ<sup>(1)</sup>.

لقد اهتمت جريدة المساواة بالقضايا السياسية ومسألة الوحدة بين الاتجاهات السياسية بصفة عامة خاصة بعد التحولات التي عرفت الجزائر آنذاك، فكانت طريقة طرحها للمواضيع السياسية أكثر حدةً، مقارنةً بنوعية وطريقة طرح هذه المواضيع في جريدة الوفاق، ولعلّ أبرز سبب عجّل في تغيير المواقف، خصائص تلك المرحلة التي عرفت بدايةً تحول أيديولوجي هام عند النخبة، والتي تخلت عن أفكارها وطروحاتها السابقة لتطرق مرحلة جديدة بيّنت من خلالها المواضيع السياسية التي عبرت عنها بأفكارها بداية لفهم الواقع الاستعماري، وأنّ الحزب دخل في مرحلة الوعي بالحرية الذاتية للجزائر، وهذا ما انفرد به فرحات عباس في كتابه ليل الاستعمار الذي يقول بخصوص ذلك: "لقد وصلنا إلى حدّ حقّ لنا أن نرتاب في رشد الفكر الفرنسي نفسه... إنّ المسألة مسألة امتحانٍ، فإنّ من كان وراء اضطهاد جماهيرنا الشعبية، إنّنا لم نُطق صبراً لتحمل هذه الإهانة"<sup>(2)</sup>.

في 25 ماي 1948م وبدايةً من العدد 132، كتب فرحات عباس تحت عنوان "الجمهورية الجزائرية جريدة الشعب"<sup>(3)</sup>، حيث أكد رسمياً أنّ جريدة المساواة أصبحت تحت اسم "الجمهورية الجزائرية"<sup>(4)</sup>، وعن سبب تغيير الاسم كتب قائلاً: "فجعلنا من عنوان جريدتنا برنامج وحامل لواء، و ذلك حسماً لكل التباس، نعم إنّ الجزائر في حقيقة الأمر كانت تطالب بحقها في تشييد جمهورية جزائرية ديمقراطية واجتماعية في ثراها متشاركةً على قد المساواة مع الجمهورية الفرنسية"<sup>(5)</sup>.

وفي هذا الصدد فقد عبّر الأستاذ أبو القاسم سعد الله بخصوص هذه الجريدة انطلاقاً من كلام فرحات عباس أن الجريدة مثلت انعكاساً لما يحدث من تطورات في هذه المرحلة، فكانت تعبر عن فكر سياسي جديد من خلال اهتماماتها السياسية المطالبة بالاستقلال الذاتي وتأسيس جمهورية جزائرية<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، تر: أحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2011، ص ص 958 959.

<sup>2</sup> فرحات عباس: ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المهديّة، المغرب، (د ت)، ص 139.

<sup>3</sup> نفس المصدر، ص 137.

<sup>4</sup> أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص 270.

<sup>5</sup> فرحات عباس: ليل الإستعمار، مصدر سابق، ص 138.

<sup>6</sup> أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص 270.

#### 4- وسائل الخطاب عند الاتجاه الإصلاحى:

تعددت وسائل الخطاب عند زعماء التيار الإصلاحى، الذين باشرُوا نشاطهم رسمياً خلال القرن العشرين، من مساجد ومدارس والنوادي والجمعيات الثقافية والدينية، وكذا تأسيس المجالات والصحف. لقد اعتمد هذا الاتجاه على المجالات والصحف والتي اعتبرت أبرز الوسائل التي اعتمد عليها لأجل تمرير رسائله وطرح مشروعه للجمهور، خاصة وأنها ساهمت وبقسطٍ كبير في الحفاظ ونشر الثقافة العربية، كما أنها أعطت دفعةً قوياً للحركة الإصلاحية في الأوساط العامة، ومن هذا المنطلق كان إيمان أبو يقضان (1888م-1973م) أكثر من أي وقت مضى بالدور الذي ستؤديه الصحافة في المساهمة في النهضة للأمة الجزائرية، فنظم شعراً عن قيمة الصحافة، وقال فيها:

إنّ الصحافة للشعوب حياةً  
فهي اللسان الفصيح الذلق  
والشعب من غير اللسان أموات  
الذي بيانه تدارك الغايات  
فهي الوسيلة للسعادة والهناء  
إلى الفضائل والعلا مرقاة<sup>(1)</sup>

إذا تمعنا في هذه الأبيات نجدُه ينوّه بالدور الكبير الذي تمثله الصحافة في تمرير الخطاب ليصل إلى كل فئات المجتمع، فاعتبرها اللسان الفصيح، والوسيلة التي من خلالها ترتقي الأمم نحو الأعلى، وهذا ما يتماشى وهدف العلماء المصلحين، الذين اتخذوا من الصحافة وسيلةً أساسيةً منذ 1925م لنشر أفكارهم الجديدة، وتهديم جدار البؤس والجهل الذي دبّ في المجتمع وسيطر على المسلمين الجزائريين قرابة القرن من الزمن.

الشيء نفسه نجدُه بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م، فقد تكلم الشيخ مبارك الميلي (1898م-1954م) ونوّه بدور الصحف وقيمتها وأهميتها ودورها في كل حركة إصلاحية، وكتب في هذا الصدد مقالاً نُشر على صفحات جريدة البصائر فقال: "...وإنّ من أهم الخُطط وأهم الوسائل لتحقيق الغايات، ونشر الدعوات، إنشاء الصحف السيّارة التي تحفظ جيداً الأقوال، وتسديد

<sup>1</sup> محمد ناصر: أبو يقضان وجهاد الكلمة، م و ك، الجزائر، 1983، ص20.

النظريات...وما وُجدت فكرة الإصلاح الديني بأرض الجزائر حتى وجدت لها صحف تعبر عنها، وتبشر بها، وتدافع عنها"<sup>(1)</sup>.

صدرت أول جريدة أُطلق عليها اسم "المنتقد" بمدينة قسنطينة، وظهر أول عددٍ منها في 2 جويلية 1925م، وهي جريدةٌ سياسية تَهديبية انتقادية شعارها: "الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء"<sup>(2)</sup>، أسَّسها الشيخ عبد الحميد بن باديس (1889م-1940م)، وأسند إدارتها إلى الأستاذ أحمد بوشمال (1899م-1958م)، أدت دوراً كبيراً في بناء المجتمع وتوعية المواطنين، كما عملت على فضح أساليب الاحتلال الفرنسي وأذنابه الذين يخدمون مصالحه، فقادت حملةً ضد البدع والخرافات والضلالات، وهذا ما عرَّضها للغلق بعد صدور 18 عدد فقط بسبب لهجتها الانتقادية.

**الشهاب:** وهي جريدةٌ صدرت بمدينة قسنطينة في 12 نوفمبر 1925م، وهي بمثابة امتدادٍ لجريدة المنتقد، حملت الشعار نفسه مع اصطناع شيءٍ من المرونة السياسية التي برع فيها مؤسسها بن باديس خلال عقدين من الزمن، لكنه خفَّف اللهجة، في المقابل سار على خطى جريدة المنتقد إذا تعلق الأمر بمحاربة الطرق الصوفية المنحرفة والمخالفة لروح الشريعة الإسلامية، وفي نشر فكرة الإصلاح، وكان لهذه المرونة التي تميزت بها الشَّهاب دورٌ في الاحتفاظ بها حتى أواخر سنة 1939م.<sup>(3)</sup>

المتصفح لجريدة "الشهاب" يجدها مجلةً إصلاحيةً بامتياز، تهدف إلى علاج المشاكل التي كان يعاني منها المجتمع في ذلك العصر وهذا ما عمله القائمون عليها، فقد أعطت لتلك المشاكل الحلول اللازمة، عمل على ذلك جمع من علماء الإصلاح الجزائريين في سبيل تلك الغاية، أمثال العلامة عبد الحميد بن باديس والشيخ مبارك الميلي (1898م-1954م)، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي (1889م-1965م) والسعيد الزاهري (1899م-1956م) وغيرهم.

بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين في 1931م قام العلماء بإصدار "جريدة السنة النبوية" واعتبروها الناطق الرسمي لحركتهم ولسان حال جمعية العلماء المسلمين سنة 1933م، وكان شعارها

<sup>1</sup> جريدة البصائر: ع 84، ج 4، س 2، 29 أكتوبر 1937.

<sup>2</sup> جريدة المنتقد: ع 1، 2 جويلية 1925. ينظر الملحق رقم (1)

<sup>3</sup> عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1945)، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1996، ص 141.



"ولكم في رسول الله أسوة حسنة، من رغب عن سنتي فليس مني"، أشرف عليها الإمام عبد الحميد بن باديس، ويرأس تحريرها الطيب العقبي (1889م-1960م) والشيخ السعيد الزاهري<sup>(1)</sup>، لكنها لم تعمّر طويلاً وتعرضت للغلق بعد صدور ثلاثة عشر عددا فقط بمقتضى قرار وزير الخارجية الفرنسي "كامي شوطان chautemps camille" الصادر في 23 ديسمبر 1933م، وكان السبب في ذلك حسب هذا الأخير أن الجريدة كانت مواضيع مقالاتها مخالفة للنظام العام في الأوساط الأهلية بالجزائر، وقد علقت جريدة البصائر عن هذا القرار، على أنّ السلطات الفرنسية كانت تمنع كل دعوة إلى العلم الصحيح والدين الخالص.<sup>(2)</sup>

بالإضافة إلى هذا فقد تم إصدار جريدة أخرى أطلق عليها اسم "الشيعة المحمدية"، والتي عُدت كامتداداً لجريدة السنة النبوية<sup>(3)</sup>، كان رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس ورئيس تحريرها كذلك كان الطيب العقبي والسعيد الزاهري، لكنها تعرضت بدورها للتوقيف بسبب التعطيل الذي فرضته السلطات الفرنسية عليها، بعد أن صدر منها سبعة أعداد فقط.<sup>(4)</sup>

بعد عناء وجهد كبير بذله العلماء الجزائريون، تمكّنوا في الأخير من الحصول على رخصة من الحكومة الفرنسية، تسمح لهم إصدار جريدة رسمية لجمعية العلماء المسلمين، تكون لسان حال حركتهم دون التعرض للمتابعة والإيقاف، وبالفعل تم ذلك ففي 27 سبتمبر 1935، فأصدرت جمعية العلماء المسلمين جريدة أطلقت عليها اسم "البصائر"<sup>(5)</sup>، والتي كان شعارها عبارة عن آية من القرآن الكريم تمثلت في قوله تعالى: (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ)<sup>(6)</sup> في أول الأمر كان مديرها ورئيس تحريرها الشيخ الطيب العقبي ويساعده السعيد الزاهري، لكن بعد صدور ثلاثة وثمانون عدد انتقل مقرها إلى قسنطينة بعدما كانت في العاصمة وهنا أسندت إدارتها للشيخ مبارك الملي إلى أن توقفت بتاريخ 25 أوت 1939م بعد قرار السلطات

<sup>1</sup> جريدة السنة النبوية المحمدية: ع1، 3 أبريل 1933.

<sup>2</sup> جريدة البصائر: ع94، 7 جانفي 1938.

<sup>3</sup> ينظر الملحق رقم (4) بقرية رسمية حول حجز جريدة السنة وتأسيس جريدة الشيعة.

<sup>4</sup> جريدة الشيعة النبوية المحمدية: ع1، 17 جويلية 1933.

<sup>5</sup> ينظر الملحق رقم (2) بخصوص تقرير الإدارة الفرنسية حول صدور الجريدة في سلسلتها الأولى سنة 1935.

<sup>6</sup> سورة الأنعام: الآية 104. أنظر شعار الجريدة الملحق رقم (3)



الفرنسية القاضي بتعليق كل الأنشطة على الساحة الوطنية، لكن وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية عادت مرةً أخرى للنشاط برئاسة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، واستمرت في الصدور إلى غاية 1956م وبذلك عدت هذه الجريدة بمثابة لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، باعتبارها كانت تحمل على عاتقها راية البيان العربي في شمال إفريقيا، وتناضل من أجل إحياء اللغة العربية، والدفاع عن الإسلام بغية إرجاعه لعهوده الأولى، وتتصارع مع الإدارة الفرنسية دفاعاً عن مؤسسات الجمعية ومبادئها.<sup>(1)</sup>

إنّ الحق الذي لا يمكن نكرانه أنّ دور صحافة الجمعية لم يقتصر على نشر فكرة الإصلاح الديني فحسب، بل كان من بين أهدافها الأساسية محاربة الطرق الصوفية المنحرفة والإدارة الفرنسية، والعمل على إحياء الشخصية الجزائرية وربطها بالوطن العربي الإسلامي، وإبراز معالم التاريخ الوطني، والمتصفح لجرائد الجمعية خلال ثلاثينيات القرن العشرين يجد فصلاً كاملاً من كتب ومقالات العلماء المسلمين، وكانت تنشرها الصحافة المذكورة لقراء العربية مستهدفةً إطلاع الجمهور على مراحل الكفاح الذي سجله الأجداد، و بذلك نالت تأييداً وتشجيعاً ومساندةً من طرف القراء، لأنّ الأمر يتعلق بمصير الوطن والعروبة والإسلام، بالرغم من الحصار الذي فرضته السلطات الفرنسية.<sup>(2)</sup>

صفوة القول أنّ الصحافة أدت دوراً كبيراً في تفعيل الخطاب الإصلاحي، وإيصال الأفكار الإصلاحية لجمهور عريض من القراء والمتابعين، فعن طريق الصحف وأعمدتها، كان الدفاع عن الدين وقيمه السّمحة، وعن اللغة العربية التي اعتبرتها فرنسا غريبةً عن الجزائر، وعن الوطن فمن خلال الصحافة كانت الدعوة إلى التضامن والوحدة الوطنية، وعن طريقها كان التصدي لكل المشاريع الفرنسية التي تهدد قيم المجتمع الجزائري، كما كانت الصحافة سلاحاً لمواجهة الآفات الاجتماعية والبدع و الضلالات.

<sup>1</sup> جريدة البصائر: ع78، 2ماي 1949.

<sup>2</sup> عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين...، مرجع سابق، ص143.

### المبحث الثالث: مفهوم الحركة الوطنية الجزائرية (قراءة في جدلية المفهوم).

إنّ التّأصيل لميلاد الحركة الوطنية الجزائرية يعتمد بالأساس على ضبط مفهوميها، وتحديد منبتها: فالحركة بمعناها اللغوي يعني النشاط والعمل<sup>(1)</sup>، أمّا اصطلاحاً فهي تعني التيار السياسي العام الذي يدافع عن طبقة من الطبقات أو فئة اجتماعية معينة، وتنظيم حقوقها بهدف القيام بعمل موحد لتحسين حالتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، أو تحسينها جميعاً.<sup>(2)</sup>

أمّا الوطنية فهي تتعلق بمقومات الأمة، دخلت عليها عناصر الشعور بها، فالأمة هي مجموعة من الأفراد تجمعهم ثقافة مشتركة تستند إلى وحدة الأصل واللغة والدين والحدود والجغرافيا، ويربط بينهم التاريخ المشترك، وتحكم بينهم ضوابط وقوانين وأعراف، أمّا الوطنية فهي شعور الفرد بحبّه لأمته، ووفائه لها واستعداده للدفاع عنها.<sup>(3)</sup>

وفي تعريفٍ آخر، اعتبر الأستاذ مانتشيني<sup>(4)</sup> الأمة على أنّها: "الأمة بما يلي الأمة مجتمع طبيعي من البشر يرتبط بعضها ببعض بوجود الأرض والأصل والعادات واللغة... من جراء الاشتراك في الحياة وفي الشعور الاجتماعي"<sup>(5)</sup>، وعليه فالأمة هي وحدة طبيعية بين مجموعة من البشر، نتجت بفضل مجموعة من العوامل الموضوعية، التي بدورها أنتجت عند تلك الجماعة شعوراً داخلياً عميقاً بالانتماء والتقارب، هذا الشعور بالانتماء تعيشه تلك الجماعة داخل الدولة الواحدة في ظل النظام السياسي السائد.

وبالتالي فالحركة الوطنية هي حركة أشخاص أدركوا ضرورة تكوين مجموعة أساسها الروابط العرقية واللغوية والثقافية، وهي تنطلق من إيديولوجية ترمي إلى تمكين الأمة من حق ممارسة سياسة لا تأخذ بالاعتبارات الخاصة، وترفض كل ما من شأنه الحدّ من حريتها في العمل.<sup>(6)</sup>

<sup>1</sup> القاموس السياسي ومصطلحات المؤتمرات الدولية: دار الكُتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، ص246.

<sup>2</sup> عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة، المؤسسة العمومية للدراسات، ج2، دار الهدى، لبنان، 1994، ص222.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط4، لبنان، 1992، ص68.

\* مانتشيني: من أصل إيطالي، أستاذ بجامعة تورينو، عندما كانت المدينة المذكورة عاصمة مملكة سردينيا قبل الوحدة الإيطالية، وقد جعل موضوع درسه الاجتماعي في 22 جانفي 1851م بعنوان الأمة كأساس لحقوق الدولة.

<sup>5</sup> ساطع الحصري: ما هي القومية، أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات، 1959، ص30.

<sup>6</sup> محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص8.

وفي مفهوم آخر عرّف الأستاذ "هاينز غولوتز Heinz gollwitzer" في كتابه الذي عالج فيه موضوع الإمبريالية الأوروبية في الفترة الممتدة بين 1880م و 1919م بأن الحركة الوطنية نشاطٌ يسعى إلى تحقيق الاستقلال أو الإصلاح.<sup>(1)</sup>

وفي السياق ذاته، جاء في "موسوعة السياسة" على أن الحركة الوطنية: "هي حركة الأفراد الذين يدركون ضرورة تشكيل مجموعة أساسها الروابط العرقية واللغوية والثقافية، وهي تنطلق من أيديولوجية تهدف إلى تمكين الأمة من حقها في ممارسة السياسة لا تأخذ بعين الاعتبار سوى قدراتها الخاصة، وترفض كل ما من شأنه الحد من حريتها في العمل."<sup>(2)</sup>

أما الحركة الوطنية الجزائرية فلا يقف المؤرخون على مفهوم واحد، وهذا راجع إلى اختلافهم في استعمال وإسقاط مفاهيم الوطنية والحركة الوطنية على الحالة الجزائرية من جهة، وإلى الفترة التي ظهر فيها نشاط الحركة الوطنية.

بالرغم من الاتفاق بصواب هذه التعريفات النظرية، والتي ينطلق أصحابها من زوايا مختلفة، ومرجعيات فكرية متنوعة، وبذلك فإن الدارس يجد نفسه في تناقض مع جل المؤرخين الغربيين في ادعائهم بأن ميلاد الحركة الوطنية الجزائرية يرجع فقط إلى القرن العشرين، لكن وعلى عكس ذلك هذا وبعودتنا إلى ذات التعاريف، فإن كل من التنظيمات التي قادت بطريقة أو بأخرى أنواعاً من المقاومة لتخليص بلدانها من الاحتلال وإنما هي حركاتٌ وطنية<sup>(3)</sup>.

وعليه، فإذا اعتمدنا عن المفاهيم السابقة، يمكن لنا أن نقف على أن تاريخ ومفهوم الحركة الوطنية الجزائرية قد عولج من طرف مدرستين مختلفتين: المدرسة التاريخية الاستعمارية، والتي حملت على عاتقها خلال فترة الاحتلال مهمة الكتابة التاريخية وإعادة الكتابة وفق ما يتماشى ومخططات الإدارة الفرنسية، أما المدرسة الثانية فهي المدرسة التاريخية الوطنية، والتي كانت حديثة العهد إذا ما قارناها بنظيرتها الاستعمارية، والتي اضطلعت بمهمة إعادة تصحيح وتصويب ما كانت تروج له المدرسة التاريخية

<sup>1</sup> Heinz gollwitzer: l'impérialisme de 1880 à 1918, traduit de l'anglais par Anne Joha, Paris, 1970, P43.

<sup>2</sup> عبد الوهاب الكيالي وآخرون: ج2، مرجع سابق، ص470.

<sup>3</sup> بوجليدة يمينة: الحركة الوطنية الجزائرية (1950-1954) مسار وتصور، رسالة ماجستير في تاريخ الثورة، إشراف محمد العربي الزبيري، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008/2007، ص11.

الاستعمارية، ووقفت أمام كل التشويهات التي ألحقت بتاريخنا الوطني وتصحيحها، وقد ازداد هذا الاهتمام منذ تأسيس المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م<sup>(1)</sup>. إن الدور الذي أدته المدرسة التاريخية الاستعمارية كان في غاية الوضوح، والذي تمثل في تقديم كل ما يعزز عملية الاستيلاء على الجزائر، خاصةً الكتابات التي كانت تقدم للمسؤولين الفرنسيين سواء السياسيين أو العسكريين من معلومات بأدق تفاصيلها عن المجتمع الجزائري ومقوماته الدينية والثقافية والاجتماعية (الدين، اللغة، العادات والتقاليد...)، واستمر عبث هؤلاء المؤرخين في أعمالهم المخزية ضارين الموضوعية والحيادية عرض الحائط، والذين انتقلت أعمالهم واهتماماتهم إلى عملية تشويه التاريخ وتزييف الحقائق -والأمثلة كثيرة- وكان هدفهم واضحاً فمن جهة كما قلنا تعزيز عملية الاستيلاء ومن جهة أخرى حمل الجزائريين على النفور من ماضيهم.

لقد سخرت الإدارة الفرنسية كل الإمكانيات والوسائل لهؤلاء المؤرخين الذين أصابوا في مراتٍ وجانبوا الحيادية في أكثرها، والدليل على ذلك فقد كان إنتاج هذه المدرسة هدفه استعمارياً بالدرجة الأولى، عن طريق انتقاء بعض المسائل التي يراد الخوض فيها والتي من شأنها تسهيل إرساء عمليتي الاحتلال والاستيلاء، وتمكين سلطات الاحتلال من إيجاد السبل الناجعة لإخضاع الجزائريين، انطلاقاً من التعرف على حقيقته والسعي بكل الطرق لريح ود الأهالي وإقناعهم بالتخلي والتراجع عن فكرة المقاومة، التي اشتعل فتيلها في مناطق وفتراتٍ مختلفة بأرض الوطن.

لقد اعتمد أنصار هذه المدرسة في مواقفهم على نفي وجود كيان جزائري سياسي يعي بحق قضية الجزائر أو شعور وطني قبل القرن العشرين، والأخطر من ذلك عاجلوا قضايا التاريخ الجزائري على اختلاف مراحلها، بالكيفية التي تخدم الاحتلال وتجرّد الجزائريين من مقومات شخصيتهم، وبذلك عمد

(\*) تأسس المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 في 24 أوت 1995، يوجد مقره بالجزائر العاصمة وبالضبط في الأبيار، وكانت المهام الموكلة إليه هي:

- إعداد الدراسات والبحوث المتعلقة بالحركة الوطنية الجزائرية وثورة أول نوفمبر 1954.
- المشاركة في نشر الأبحاث والمعارف المتعلقة بميدان اختصاصه.
- نشر الدراسات المتعلقة بالميدان.

يحتوي المركز على مجلس علمي، وأكلت له مهمة مراقبة المادة التاريخية حتى تبقى علميةً بالمفهوم الصحيح، بالإضافة إلى مطبعة خاصة والعديد من المجلات التي تنقل دراسات المؤرخين، أبرزها مجلة الرؤية ومجلة المصادر. أنظر: الرؤية: ع1، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، جانفي/فيفري 1996، ص ص 247-255.

هؤلاء المؤرخين إلى صنع المفاهيم والمصطلحات التي تشكل مفاتيح الفهم والكتابة واجتهدوا كل الاجتهاد كي يرسّخوها في أذهان المؤرخين الفرنسيين والجزائريين على حد سواء، ومن هذا المنطلق صارت فكرة الاحتلال تعرف بالوجود الفرنسي في الجزائر، توصف المقاومات المسلحة بالتمرد أو بالعمل الإرهابي أو الانتفاضة في أحسن الظروف.<sup>(1)</sup>

وفي هذا السياق فقد حدّد المؤرخين الفرنسيين "كلود كولو Claude Collot" و "جون روبير هنري Jean-Robert Henry" أنّ ميلاد الحركة الوطنية الجزائرية بالسنوات الواقعة بين 1912م-1939م، واستدلا في ذلك بإعتبار أن التاريخ الأول هو التاريخ الذي أقدم فيه "الشبان الجزائريون" وحركتهم التي تعرف بحركة الجزائر الفتاة<sup>(2)</sup> على تقديم عريضة مطلبية لرئيس الحكومة الفرنسي في المقابل يتوجب على الأهالي قبول التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي، أمّا التاريخ الثّاني فصادف عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية وما أقدمت عليه الإدارة الفرنسية بالجزائر من تجميد كل الأنشطة السياسية على المستوى الوطني التي طالت كل الناشطين السياسيين أنذلك وعلى وجه الخصوص حزب الشعب الجزائري.

ويرى ذات المؤرخين أن ما ميّز فترة ميلاد الحركة الوطنية الجزائرية كان بظهور تيارين سياسيين أولهما: حركة الجزائر الفتاة التي قادها الشبان الجزائريون والتي ظهرت مباشرة بعد صدور قانون التجنيد الإجباري في 03 فيفري 1912م، والتي سوف يقودها الأمير خالد (1875م-1936م) مباشرةً بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، والذي جعل من اهتماماته وبدرجة أكبر كانت مطالبه الأساسية في تطبيق

<sup>1</sup> محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، مرجع سابق، ص13.

\* ظهرت الحركة في أوائل القرن العشرين، ولكنها تطورت وصارت ظاهرةً من مكوّنات الحياة السياسية بالجزائر ابتداء من 1912، واستمرّت في تطوّرها وظهورها إلى 1923، يعود أصل تسمية الشبان إلى تركيا، فهناك ظهرت وانتقلت بالتقليد إلى تونس التي كان بها أيضاً حركة الشّباب التونسي، وبعدها إلى الجزائر. ففي تركيا كانت عبارة الشّباب التّركي تدلّ على أتباع حركة تركيا الفتية، وهي لجنة شكّلها مدحت باشا سنة 1868، بهدف إصلاح المؤسسات العثمانية، وإقامة دستور يضمّن حريّات التعبير والاجتماع، وبعدها اتّسع استعمال العبارة، فصارت تُطلق على العناصر الثّورية في مختلف الأحزاب السياسية. وبالعودة إلى حركة الجزائر الفتاة ونشاطها في الفترة الممتدة بين سنتي 1912-1923، قام الشّباب الجزائري بدور المنشّط للحياة السّياسية الأهلية فقد كانت محلّ مطالبها تحدف إلى إصلاح الحياة الاجتماعية الاقتصادية، أو بالأحرى إلغاء الفوارق بين الجزائريين والأوروبيين، فالمطلب الأساسي كان المساواة. للمزيد يُنظر إلى: صالح بلحاج: الحركة الوطنية الجزائرية بين الحريين (1910-1939)، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2015، ص ص 130-150.

إصلاحات فيفري الذي جسدها قانون 1919م.<sup>(1)</sup> أما التيار الثاني فقد تبلور بعد التصريحات التي أدلى بها الرئيس الأمريكي "ولسن wilson" في عصبة الأمم أثناء الجلسة التي عقدت في مؤتمر "فيرساي versailles" والخاص بحق الشعوب في تقرير مصيرها، وتمثل هذا التيار في "المجلس الجزائري التونسي" الذي أرسل في شهر جانفي 1919م، عريضة وجاء فيها "أنّ الشعب الجزائري والتونسي يطالبان باستقلالهما الكامل".<sup>(2)</sup>

وسار على نهج كلود كولو المؤرخ الفرنسي الآخر "شارل أندري جوليان charles andré julien"، الذي أقرّ بأنّ الوطنية الجزائرية لم تظهر إلا بعد تقريبا القرن من الزمن منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر، واعتبر أن الأمير خالد وحركته التي ظهرت 1919م أكبر على دليل كلامه، ويضيف بخصوص هذا بأن أول من مثل الجزائر كانوا أصحاب المهنة الحرّة الذين ناضلوا من أجل تحقيق بعض الحقوق والمطالبة بالمساواة.<sup>(3)</sup>

وفي السياق ذاته، نجد أن بعض الآراء إلى ذهبت إلى أبعد من ذلك مثل ما يزعم المؤرخ الفرنسي "شارل روبير أجيرون charles robert ageron" الذي يقول بأنّ: "النزعة القومية الجزائرية بدأت في الظهور خلال الثلاثينيات"<sup>(4)</sup>، واعتبر ظهور الحركة الوطنية كان مرتبطاً بظهور الأحزاب السياسية التي كانت لها أهداف واضحة، وتقريبا نفس الرأي الذي نجده عند المؤرخ "جون سوردون" الذي يقول: "أنّ الجزائر سنة 1830م لم تكن تشكّل دولة، فما بالك بأمة، ولم تكن لها حدود".<sup>(5)</sup>

بعد استعراضنا لتلك الآراء وقفنا على تتناقضها مع التعريف العلمي للحركة الوطنية، إذ أجمع كل هؤلاء المؤرخين على عدم وجود أمة جزائرية، وعدم شعورها بذاتها سياسيا، ويتضح هذا عندما عالج

<sup>1</sup> Claude Collot et Jean-Robert Henry: Le mouvement national Algérien textes 1912-1939, office des publications universitaires, 2ème édition, Alger, 1981, P P 18-21.

<sup>2</sup> محمد قنانش ومحفوظ قداش: نجم الشمال الإفريقي (1926-1937)، وثائق وشهادات لدراسة الحركات الوطنية، د م ج، الجزائر، 2002، ص 15.

<sup>3</sup> شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، تر: المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، ش و ن ت، ط 3، تونس، الجزائر، 1976، ص ص 65-66.

<sup>4</sup> شارل روبير أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ج 2، دار الأمة، ط 1، الجزائر، 2008، ص 140.

<sup>5</sup> أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)، ج 1، دار الغرب الإسلامي، ط 4، لبنان، 1992، ص 73.



المستشرق الفرنسي "بوسكي bousquet" الموضوع الذي قال: "أن فرنسا هي التي صنعت اسماً للجزائر".<sup>(1)</sup>

على النقيض من هذا، أكد فرحات عباس لاحقاً عكس كل ما تروج له المدرسة التاريخية الفرنسية التي كانت تقريباً جُل أعمالهم تستخدم لأغراض استعمارية بالدرجة الأولى، فقال بشأن ذلك: "في سنة 1830م كانت الجزائر ذات سيادة، لا جدوى من إنكار هذا الواقع، نعلم أنّ تحطيم هذه الدولة يظهر قوة فرنسا، لكن ليس معناه عدم وجود الدولة الجزائرية، إنّ هذه الدولة بحدودها الحالية تعود إلى سنة 1515م، ولم يكن نظامها لا أقل ولا أكثر إحكاماً من دول أخرى، وكانت لهذه الدولة حياة الوطنية والدولية، وكان يعترف بها عدد كبير من الدول الأوروبية منها فرنسا ذاتها وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية وهولندا، وقد أبرمت معها اتفاقيات عديدة، أما في الميدان العسكري فقد كان لها جيشٌ منظم... إنّ حدود الجزائر كانت مُحددةً تحديداً دقيقاً شرقاً وغرباً، كانت تعترف بها جميع الدول سواء فرنسا أو الدول المتاخمة لها".<sup>(2)</sup>

انطلاقاً من هذا الطرح رأت المدرسة الوطنية، رغم حداثتها وقلة إنتاجها، أنّ الحركة الوطنية الجزائرية إنما هي جميع المقاومات العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، التي خاضها الجزائريين طيلة مائة واثنين وثلاثين سنة في سبيل استرجاع السيادة الوطنية، وهي بذلك بكل بساطة كانت وطناً قائماً بذاته يحظى بكل مقومات السيادة - التي تحدثنا عنها عندما استعرضنا قول فرحات عباس - اعتدى عليه، ومن ثمّ فإنّ لكل عملٍ مهما كان نوعه يصبح من مكونات الحركة الوطنية شريطة أن يستهدف محاربة العدو وتقويض أركان الاحتلال.<sup>(3)</sup>

وفي السياق ذاته، وعلى عكس ما روجت له المدرسة التاريخية الفرنسية، نرجّح أن تكون سنة 1830م هي التاريخ الفعلي لميلاد الحركة الوطنية الجزائرية، ويبدو أنّ بعض الأقلام الوطنية قد أكدت قبلنا على هذه الحقيقة، واعتبروا أنّ المقاومة التي بدأها الجزائريين اتخذت شكلين، مسلحاً وسلمياً، حيث اعتمدوا في ذلك على عناصر مقوّمات الأمة، وأكّدوا على أن المجتمع الجزائري آنذاك كان يمثل أُمَّة لها

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، مرجع سابق، ص73.

<sup>2</sup> شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية...، مرجع سابق، ص374.

<sup>3</sup> بوجليدة يمينة، المرجع السابق، ص21.



استقلالها، ولها لغتها الرسمية، ودينها الموحد، وحدودها الجغرافية والسياسية، وانتماءً قومي عربي، كما اعتمدوا على عامل التاريخ الذي يظهر المكانة والعلاقات الدولية والدبلوماسية التي كانت تتمتع بها الجزائر، خاصةً خلال العهد العثماني، ومنها مختلف العلاقات السياسية والاقتصادية، والمراسلات الدبلوماسية، التي كانت تتم بين الجزائر والدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، كذلك الروابط الثقافية والاجتماعية الإقليمية والعربية، وامتلاكها لقوة عسكرية بحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، كما اعتمدوا في طرحهم على أنّ المقاومات الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي كانت نتاجاً للوعي بمقومات الأمة، والسعي للحفاظ عليها وعلى سيادتها، كون المقاومة جهاداً في سبيل الله لتحرير الوطن، وهي قضية دينية في الأساس، كما أنّ العمل السياسي المتزامن مع المقاومات الشعبية يُعتبر أيضاً نشاطاً يُراد به رفض السياسات الاستعمارية والسعي للحفاظ على الأمة الجزائرية بجميع مقوماتها. وفي هذا الصدد يقول محمد العربي الزبيري: "إنّ الحركة الوطنية الجزائرية لم تشكل في أوساط المغتربين الجزائريين في فرنسا... بل أنّ منبتها أصيل يرجع إلى لحظات الاحتلال الأولى... وكان جميع روادها من المثقفين ثقافةً عالية، والتمسكين من اللغة العربية، والمتشبعين بالحضارة الإسلامية، ومنهم من يجيد لغاتٍ أجنبية أُخرى".<sup>(1)</sup>

هذا وتناول الأستاذ أبو القاسم سعد الله الموضوع بكل جدية، فيعد كتابه المعنون بالحركة الوطنية الجزائرية النموذج الأفضل الذي يقدم موضوعها في سياقه التاريخي، منذ بداية الاحتلال إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية، فهذه الدراسة تتضمن الإشارة إلى جميع مراحل تطور الكفاح الجزائري، وزُودت الفعل الجزائرية على الاحتلال الفرنسي، بدأً بالنخبة الحضرية الصّغيرة التي تزعمت المقاومة السياسية أمثال حمدان خوجة<sup>(\*)</sup>، الذي عرّف الحركة الوطنية تعريفاً حديثاً بقوله: "هي عاطفة شهامة لدى

<sup>1</sup> محمد العربي الزبيري: ج 1، مرجع سابق، ص ص 13 15.

\* بعد اتفاق 5 جويلية 1830م الخاص بتسليم مدينة الجزائر للفرنسيين، بدأت المقاومة الوطنية الجزائرية، فقد نظم الجزائريون بزعامة حمدان خوجة أول حزب سياسي وطني عُرف "بلجنة المغاربة"، الذي كان مُكوّناً من الأعيان والبرجوازيين الجزائريين الذين كانوا على وعي بدورهم السياسي والوطني، إذ كان هذا الحزب مؤيداً من الشعب، الذي عبّر عن عواطفه بمؤتمرات تلقائية قرّر خلالها ضرورة المقاومة وازداد نشاط حزب المقاومة خاصةً بعد نفي زعيمه خارج الوطن، فنقل نشاطه إلى باريس واسطنبول، وصعدوا من جهودهم إلى حدّ عقد المؤتمرات الصحفية والرسائل الشخصية والعرائض الرسمية، وطالبوا بأن: "يجكّم الشعب الجزائري نفسه بنفسه، وإعادة القومية الجزائرية من جديد، وإقامة حكومة حرة، وتحرير دستور يتفق وعاداتهم وتقاليدهم".

الجماعة الجزائرية التي تحركت عندما أصبحت تشعر بالاستبداد من طرف أمة أجنبية<sup>(1)</sup>، ومروراً بالمقاومات الشعبية المنظمة والعفوية.

لا تتوقف الحركة الوطنية حسب سعد الله عند النضال السياسي والمقاومة المسلحة خلال القرن التاسع عشر، وإنما ضمّت إلى ذلك الهجرة كتعبير عن رفض البقاء تحت تسيير الحكم الفرنسي، فتجربة العمل الصحفي كأداة ومنبراً للمطالبة ثم المغالبة، والنوادي والجمعيات التي تشكلت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ما يُشبه الفترة الجينية لتيارات الحركة الوطنية السياسية التي ظهرت في أعقاب نهاية الحرب العالمية الأولى.

عبر أبو القاسم سعد الله على أنّ الحركة الوطنية كان تاريخ مولدها مباشرة بعد الاحتلال الفرنسي سنة 1830م، بناءً على المعطيات التي تم استعراضها، والمفهوم الذي يقول بأنّ الحركة الوطنية هي مجمل ردود الأفعال المباشرة والغير مباشرة، المنظمة والغير منظمة، التي ثارت ضدّ الاحتلال الفرنسي متخذتا عدة أشكال (مقاومة عسكرية، مقاومة ثقافية، نضال سياسي) وفي ظل الظروف التي كانت تُحيط بالجزائريين والأوضاع التي عرفت بها البلاد آنذاك، فقد لاقت الحركة الوطنية حسب العديد من الصعوبات التي حالت دون تمكنها من أن تمارس نشاطها علناً، لذلك وجب عليها أن تختار بين الاتجاهات الثلاث:

- العمل في الخارج، وقد سلك هذا الاتجاه بلا خيار زعماء حزب المقاومة الذي أشرنا إليه سابقاً.
- اللجوء إلى المقاومة العسكرية، وقد سلك هذا الطريق الأمير عبد القادر وغيره.
- مواصلة نشاطها في الجزائر، ولكن في الخفاء مستعملةً التعبير الغير مباشر، وقد سلك هذا الطريق الجمعيات الدينية والتي كانت موزعةً في أنحاء الجزائر، ثم الأدب الشعبي.<sup>(2)</sup>

وعلى نهج المؤرخ سعد الله، سار المؤرخ محفوظ قداش ولخص نضال الشعب الجزائري، مشيراً إلى نشاط الحركة الوطنية بقوله: "إن هذا الطموح إلى الأمة و إلى الجماعة الوطنية العربية استمرّ ولم يتقطع أبداً، وكان الحكم الذي كرّسته عدة أجيال حتى بعد الهزائم العسكرية وفشل الكثير من المقاومات

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق، ص116.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص ص 36-39.

والثورات التي يزخر بها تاريخ المقاومة الجزائرية خلال القرن التاسع عشر"، هذا واستمرت الأمة الجزائرية في نضالها ومقاومتها ضد الاحتلال الفرنسي، حيث ظهرت النُخبة التي تعلّمت في المدارس الفرنسية، وأصبحوا يشعرون بانعدام المساواة و بذلك بدأت طلائع الأحزاب في التشكل.<sup>(1)</sup>

ساند الأستاذ عميرايو أحميدة الطرح الذي جاء به كلا من المؤرخ أبو القاسم سعد الله ومحمود قداش بخصوص البدايات الأولى لنشاط الحركة الوطنية الجزائرية، وكانت له وجهة نظر بخصوص ذلك تتفق والطرح الذي قدمه المؤرخين اللذين سبق لي و ذكرتهما، فعرفها قائلاً: "...الحركة الوطنية عبارة عن حركة صادرة عن شعب، هادفة إلى الحفاظ على مقومات هذا الشعب، ساعية إلى تحسين وضعه السياسي والاجتماعي والاقتصادي بالحصول على حقوقه السياسية، كالتمثيل النيابي وحرية الرأي وممارسة أحواله الشخصية، أي رفض الهيمنة الأجنبية، ويكون للحركة الوطنية الحق في تأسيس النوادي والجمعيات والأحزاب، وممارسة التعليم والمظاهرات و المقاطعة"<sup>(2)</sup>، وعليه فقد اعتبر الأستاذ أنّ الحركة الوطنية هي كل نظام فردي أو جماعي، هاوٍ أو محترف، ناضل من أجل الحفاظ على الهوية الجزائرية، وعمل على تطويرها وتصدي إلى القوى الاستعمارية، وبذلك يمكن تحديد بدايتها منذ أن وطئت أقدام الفرنسيين أرض الجزائر.

بعد أن قُمنّا باستعراض كل الآراء التي تتعلق بمفهوم الحركة الوطنية، نرجح الطرح الذي قدّمته المدرسة التاريخية الوطنية، ليس تحيزاً أو ذاتيةً لكن المعطيات التي تم تقديمها تؤكد وجهة نظرهم، انطلاقاً من المفهوم الذي يعبر عن الحركة الوطنية الجزائرية على أنّها جملة ردود الفعل الجزائرية، الجماعية منها والفردية، المنظمة والمعزولة، لأنها كانت تنطلق في مجموعها من قاسم مشترك يتمثل في رفض ومجابهة السياسة الاستعمارية في مستوياتٍ مختلفة، والقصد هنا الإشارة إلى رفض التجنيس والتهجين الثقافي،

<sup>1</sup> محفوظ قداش والجيلالي صاري: الجزائر في تاريخ المقاومة السياسية (1900-1954)، تر: عبد القادر حراث، م و ك، الجزائر، 1987، ص ص 10-13.

<sup>2</sup> أحميدة عميرايو: الأمير خالد وخطاب الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1919)، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص ص 55-57.

ورفض التجنيد الإجباري، المطالبة باسترجاع الأوقاف والدفاع عن القضاء الإسلامي والمطالبة بفصل الدين عن الدولة الفرنسية، وغير ذلك من أشكال الاحتجاج و الصمود.<sup>(1)</sup>

إنّ الحركة الوطنية الجزائرية استفادت من جهاد الأمير عبد القادر كما غنمت من نشاطه السياسي والفكري، وصقلت خلال القرن التاسع عشر بأفكار المفكرين الجزائريين والمثقفين أمثال حمدان خوجة الذي دافع عن الكيان الجزائري حراً ومستقلاً، وعرفه تعريفاً حديثاً -سابق وأن استعرضنا ذلك- كما استفادت من روح المقاومات المسلحة الريفية المتعاقبة 1830م- 1916م، هذه المقاومات حافظت على الصّميم الوطني حياً، ممثلةً لاستمرار الكيان الجزائري الذي حاولت عملية الاحتلال القضاء عليه عن طريق "تخطيم البنى التقليدية لممارسة السلطة أو إفراغها من جوهرها على الأقل".<sup>(2)</sup> كما أنّ الأدب الشعبي الجزائري كذلك غدّى هو الآخر تلك الحركة الوطنية بأشعاره الحماسية، معبّراً عن أجداد الأمة الماضية، مثيراً الفخر الوطني، و مُكسباً ثقة كبيرة للأمة.<sup>(3)</sup>

إنّ الدفاع عن الهوية قد شكّل الأساس الأيديولوجي والنضالي، الذي على أرضيته ستبرز التّوارة الأولى للحركة الوطنية في شقّها السياسي، مدافعةً أولاً عن سيادتها الوطنية وداعية ثانياً إلى استحضر تراثها ومقومات انتمائها إلى العروبة والإسلام، لبلورة وعيٍ جماعيٍّ يهدف التّسيق والوحدة لمواجهة ومقاومة الآخر، وبذلك ظهرت في شكل نضال سياسي مهيكّل ومُنظّم في شكل حركات وأحزاب مطلع عشرينات القرن العشرين.

<sup>1</sup> خثير عبد النور وآخرون: مُنطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007، ص 13.

<sup>2</sup> شوميليه جاندر و كورفوا زيبه: مدخل إلى علم الاجتماع السياسي، تر: إسماعيل الغزال، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005، ص 142.

<sup>3</sup> إبراهيم مهديد: الفكر السياسي النهضوي في الغرب الجزائري مع نهاية القرن 19 وبداية القرن 20، منشورات دار الأديب، الجزائر، 2006، ص ص 10، 11.

## خاتمة الفصل.

خلصنا بعد استعراضنا لمباحث هذا الفصل إلى مجموعة من النتائج تمثلت في:

- أنّ الخطاب يختلف مفهومه من علم لآخر، فالخطاب في التاريخ يعني التفكير العقلي، الذي يكون وفق إطار منهجي أيديولوجي، ويتحدّد بملفوظات خطابية تنم عن اتجاهات فكرية، في أشكال خطابية كلامية، وفي ممارسة نظيرية، وكلها مشدودة إلى مرجعية ثقافية، ومطبقة بمنهجية علمية، وساعية إلى تحقيق أهداف مستقبلية، وعليه فمعنى الخطاب الذي يعنى بالحركة الوطنية هو الممارسة والإبداع بأكثر من مضمون، والذي قد يكون فكريا أو سياسيا أو إصلاحيا، والذي يختلف عن مفهوم الخطاب اللسانيات وفي اللغة.
- لقد تنوعت وسائل الخطاب عند زعماء تيارات الحركة الوطنية بحسب تنوع توجهاتهم وميولاتهم السياسية والثقافية ومرجعياتهم وحتى أماكن تواجدهم، ومن جملة تلك الوسائل نجد الصحف التي كان يصدرها هؤلاء الزعماء متخذين منها لسان حال أحزابهم، لأنها تكتسي أهمية بالغة بالنسبة لهم من جهة، كما يمكننا أن نعتبرها من المصادر الهامة والأولية لدراسة مواضيع مثل هذه الدراسة التي نحن بصدد إنجازها.
- وجود اختلاف جوهري حول مفهوم الحركة الوطنية بين المفهوم الذي روجت له المدرسة التاريخية الفرنسية والمفهوم الذي قدمته المدرسة التاريخية الوطنية رغم حداثتها، ومنه فقد رجحنا الطرح الذي قدمته المدرسة التاريخية الوطنية، ليس تحيزا أو ذاتية، لكن المعطيات التي تم تقديمها تؤكد وجهة نظرها، انطلاقاً من المفهوم الذي يعبر عن الحركة الوطنية الجزائرية على أنّها جملة ردود الفعل الجزائرية، الجماعية منها والفردية، المنظمة والمعزولة، لأنها كانت تنطلق في مجموعها من قاسم مشترك يتمثل في رفض ومجابهة السياسة الاستعمارية في مستويات مختلفة، والقصد هنا الإشارة إلى رفض التحنيس والتهجين الثقافي، ورفض التجنيد الإجباري، المطالبة باسترجاع الأوقاف والدفاع عن القضاء الإسلامي والمطالبة بفصل الدين عن الدولة الفرنسية، وغير ذلك من أشكال الاحتجاج و الصمود.

# الفصل الثاني:

خطاب الاتجاه الاستقلالي.

المبحث الأول: المرجعية الثقافية والسياسية للاتجاه  
الاستقلالي.

المبحث الثاني: ملامح الفكر السياسي عند الاتجاه  
الاستقلالي.

المبحث الثالث: الهوية في خطاب التيار الاستقلالي.

المبحث الرابع: النزعة الاستقلالية في خطاب التيار الثوري.

خاتمة الفصل.

## المبحث الأول: المرجعية الثقافية والسياسية للاتجاه الاستقلالي:

ظهر حزب نجم شمال إفريقيا ونشأ بالمهجر، في أوساط العمال المهاجرين بفرنسا في الفترة الممتدة بين سنوات 1924م- 1926م، وقتها كان النشاط السياسي والنقابي هناك محصورا بين الطبقات العمالية والمجندين الجزائريين الذين خاضوا غمار الحرب العالمية الأولى (1914م-1918م) وفضلوا الاستقرار هناك، ولدراسة المرجعية الثقافية والسياسية لمناضلي الحزب المشكل من الطبقة الشعبية هناك على وجه العموم، والحزب خصوصا، لابد من التركيز على عدة نقاط نعتبرها أساسية، فمن بينها نجد الدور الذي قامت به النقابات العمالية والحزب الشيوعي الفرنسي في تأطير وتكوين العمال المغاربة عموما والجزائريين على وجه الخصوص، هذا بالإضافة إلى الدور البارز الذي أداه مصالي الحاج في الأوساط العمالية بالمهجر، هذا الأخير ساهمت كذلك عدة عوامل في بناء شخصيته الوطنية والسياسية وفكره الإيديولوجي، منها التنشئة الدينية الخاصة التي نشأ عليها، ونشاط الأمير خالد الذي تأثر كثيرا به، بالإضافة إلى أفكار الزعيم العربي الإسلامي شكيب أرسلان<sup>(1)</sup>. ولهذا سنتطرق في هذا المبحث إلى: تأثير المؤسسات النقابية والحزب الشيوعي الفرنسي، وما الدور الذي قاما به في تكوين وتأطير العمال الجزائريين إيديولوجيا؟ وتأثير النزعة الفكرية والوطنية لشخصيه مصالي الحاج العمالية بالمهجر؟.

### 1- الحزب الشيوعي الفرنسي والمؤسسات النقابية ودورهما في التكوين الإيديولوجي وتأطير العمال الجزائريين.

لجأ الجزائريون المهجرة منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م، والتي كان من أسبابها انعدام الحرية وسوء الأحوال الاقتصادية بسبب الضرائب المفروضة عليهم والتي أثقلت كاهلهم، والتجنيد الإجباري وفقدان الحقوق الأساسية ومنها السياسية وغيرها من الأسباب التي أدت إلى هجره الجزائريين إلى دول مختلفة<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> شكيب أرسلان (1869م-1946م): هو ابن حمود بن حسن بن يونس بن فخر الدين بن سليمان سماه أبوه شكيب، ولد بقرية الشويفات جنوب غرب العاصمة بيروت في أسرة أرستقراطية، انتمى إلى مدرسة الحكمة ببيروت سنة 1879م، سافر إلى سوريا بعد وفاة والده سنة 1887م وبعدها إلى مصر، كان خدوما للقضايا العربية الإسلامية، زار العديد من البلدان العربية والغربية، توفي عن عمر ناهز 77 سنة خلفا للعديد من المؤلفات في اللغة والأدب والشعر والفكر والترجمة والتاريخ.

<sup>2</sup> إدريس خضير: البحث في تاريخ الجزائر الحديث (1830-1962)، ج 1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت)، ص 293.



اتفق جميع الذين كتبوا عن الهجرة من الجزائر نحو فرنسا أنها تمت في مرحلتها الأولى دون إثارة الانتباه إليها، لذلك يصعب على الباحث تحديد السنة الأولى لبداية الهجرة نحو فرنسا، لكنها من المؤكد أنها بدأت في سنة 1874م، وهي السنة التي صدر فيها مرسوم يقيد الهجرة بالحصول على إذن سفر، هذا ويذكر "محمود قداش" كذلك ويضيف أن تاريخ الهجرة إلى فرنسا ارتبط بالتشريع الخاص بالتنقل، ويمكن تمييز المرحلة الأولى إلى غاية 1905م، حيث كان هناك غياب كلي خلالها لحرية التنقل بين الجزائر وفرنسا منذ 1833م، وكان على الجزائريين المتوجهين إلى فرنسا إظهار جواز السفر وشروط أكثر مساواة منها ضرورة الحصول على رخصه خاصة من المحافظة تسلم بعد تحقيق ودفع كفالة أو التأسيس لضمان الدفع لتغطيه مصاريف الترحيل المحتمل، وقد ألغيت بمنشور من الحاكم العام بتاريخ 28 جانفي 1905م<sup>(1)</sup>.

وبذلك بدأت الهجرة الجزائرية تبرز مع بداية القرن العشرين، فعند اندلاع الحرب العالمية الأولى وسريان تطبيق قانون التجنيد الإجباري فتح هذا باب الهجرة الجزائرية نحو فرنسا، فعدت هذه الفترة بمثابة مرحله مصيريه في تاريخ الجزائر، فتم تجنيد عدد كبير من الجزائريين في الجيش الفرنسي، بالإضافة إلى هذا، عرفت تلك الفترة تزايداً غير مسبوق في عدد المهاجرين الجزائريين، وذلك راجع لأسباب عديدة حسب الأستاذ "عبد الحميد زوزو" تمثلت أهمها في:

\* رفع القيد على الهجرة بصدور قانون 1914م الذي يلغي مرسوم 16 ماي 1874م الذي يقيد الهجرة.

\* الإشراف على تنظيم الهجرة سنة 1916 من قبل السلطات الفرنسية، حيث أسست مصلحة عمال المستعمرات التي كانت تشرف عليها وزارة الحربية الفرنسية، وكانت هذه المصلحة تولى تسجيل العمال في الجزائر ونقلهم إلى فرنسا ثم توزيعهم هناك.

<sup>1</sup> محمود قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، تر: أحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2011، ص241.

\*إلحاق الشباب بوحدة الجيش الفرنسي قبل مرحلة الخدمة، بحيث أن دفعة سنة 1917 قد أجبرت على اللحاق بالعمل العسكري قبل الأوان بسنة، وفي نفس الوقت كانت السلطة قد جندت عنوة ما يقارب 17000 عامل في الدفاع الوطني<sup>(1)</sup>.

وبذلك ازدادت الهجرة نحو فرنسا بإعداد ضخمة كما يبين الجدول الموالي:

السنة	الذاهبون إلى فرنسا	العائدون إلى الجزائر	الباقي
1914	7444	6000	1444
1915	20092	4970	15122
1916	30755	9044	21711
1917	34985	18849	1636
1918	33340	20489	2851

جدول يبين تطور الهجرة نحو فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى<sup>(2)</sup>.

من خلال الجدول يتضح لنا أنه منذ سنة 1915م ارتفع عدد المهاجرين نحو فرنسا بنحو ثلاثة أضعاف على ما كان عليه سنة 1914م، وذلك بسبب زيادة الطلب على اليد العاملة الجزائرية في معامل الذخيرة والأسلحة، وقد تم توظيفهم كسند للعمال الفرنسيين المجندين في جبهة القتال ضد ألمانيا وقد بلغ عدد المهاجرين الجزائريين منتصف العشرينات حوالي 100 ألف مهاجر، في المقابل عدد المغريين قدر بعشرة آلاف ونفس العدد من المهاجرين التونسيين، وهذا ما انعكس في ما بعد على التركيبة القيادية لحزب نجم شمال إفريقيا، بحيث كانت العناصر الجزائرية تشكل الأغلبية بالمقارنة مع المغريين والتونسيين.

إن هذه الفروقات في عدد المهاجرين يعود أساسا إلى طبيعة الاحتلال في حد ذاته فتونس والمغرب طبقت عليهما فرنسا ما يعرف بالحماية سنتي 1881م-1912م على التوالي، عكس الجزائر

<sup>1</sup> عبد الحميد زوزو: الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914-1939)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص14.

<sup>2</sup> حسين رئيس: "الهجرة من المغرب العربي إلى فرنسا ماضيها وحاضرها"، المستقبل العربي، ع51، بيروت، لبنان، ماي1983، ص84.

التي عرفت احتلالا استيطانيا دمر تقريبا إن لم نقل كل الهياكل التقليدية للمجتمع الجزائري وصادر الأراضي، إذ لم يبقى للجزائريين سوى الفرار نحو كبريات المدن، أو الهجرة مباشرة نحو فرنسا أو غيرها من بلاد المعمورة وما تجدر الإشارة إليه بخصوص الهجرة الجزائرية نحو فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى أنها لم تحدث طواعية، وإنما كانت إجبارية، بحيث اقتضت ظروف الحرب أن تجند السلطة الفرنسية هذه الأعداد للدفاع عن فرنسا، وكذلك لتعويض العمال الفرنسيين المجندين أيضا.

لقد عرفت السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى وأثنائها خاصة موجات واسعة لهجرة الطبقات العمالية من شمال إفريقيا، فشكّلوا بذلك اللبنة الأولى والأساس البنيوي للاتجاه الاستقلالي للجزائر- نجم شمال إفريقيا- وكان السبب الرئيسي في هجرة هذه الفئات نحو فرنسا مختلف السياسات الإستعمارية القمعية، التي أثقلت كثيرا على الجزائريين خاصة الاقتصادية منها، ذلك أن أغلب الجزائريين المهاجرين فلاحين وقرويين انتزعت منهم ملكياتهم غصبا عنهم، فكان من الضروري لهم الهجرة للبحث عن مستوى معيشي أفضل، هذا ومن جهة أخرى فقد تزامنت هذه الحركة وبداية الحرب العالمية الأولى، وبالتالي حركة التجنيد التي فرضتها السلطات الفرنسية على الشباب الجزائري، فحسب المؤرخ الفرنسي "جيلبار ميني Meynier Gilbar" فقد وصل عدد المجندين بين عمال في المصانع الحربية الفرنسية، وجنود في صفوف الجيش ما لا يقل عن ثمانون ألف ومائة وعشرة آلاف على التوالي، وبالتالي فالعملية سواء كانت طواعية أو إجبارية تعد في كلتا الحالتين بمثابة الهروب من الوضع المزري الذي كانت تعيشه الجزائر آنذاك<sup>(1)</sup>.

لقد كان للحياة الديمقراطية التي كانت تزخر بها فرنسا، أثر كبير في اكتساب هؤلاء العمال المهاجرين وسائل العمل السياسي بعيدا عن القمع الفرنسي المطبق في بلدان شمال إفريقيا أو بالأحرى في مستعمراتها إضافة إلى تغلغل الشيوعية في فرنسا، كانت موضة إيديولوجية خاصة في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين (1919م-1939م)، باعتبار أن هذا الاتجاه كان ضد الاستعمار والامبريالية، فاحتكاك العمال المغاربة بهذا الوسط كونهم لم يكونوا بمعزل عن هذه التأثيرات، بعد أن كانوا رعاة

<sup>1</sup> Gilbar Meynier : "les algeriens en france 1914-1918", RV D'histoire maghebine, n 05, janvier, 1976, p47.

وبائعي الزرابي والتحف وعمال ذوي مطالب اجتماعية بسيطة<sup>(1)</sup>، وبذلك اكتشف الجزائريون المهاجرون حياة سياسية واقتصادية واجتماعية هناك غير تلك الموجودة بالجزائر ما جعلهم يوظفونها وعلى رأسهم مصالي الحاج لصالح النضال الوطني في ما بعد.

لقد كانت الأوضاع المأساوية التي كان يعيشها الجزائريون في فرنسا كانت مزرية جداً، من ظروف العمل القاسية وحينئذ للوطن الأم وللأسرة والفقر المدقع الذي كانوا يعيشونه ودفاعهم عن فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى وهي ليست وطنهم، والحيف والاستغلال الذي كانوا يتعرضون إليه أثناء عملهم في المصانع الفرنسية مقابل أجور زهيدة، كل هذا جعل من وعيهم السياسي يزداد وأصبحوا أكثر إحساساً ووعياً بالوطنية، وعلى رأسهم مصالي الحاج الذي استغل ذلك فيما بعد في إيقاظ الوطنية لدى المهاجرين الجزائريين، وهذا ما ينطبق على ما تفضل به الكاتب الجزائري مالك حداد(1927م-1978م) الذي أردف بالقول أن الصعوبات والمصائب الحقيقية التي يصادفها الإنسان في حياته غالباً ما تجعل منه إنساناً أكثر صلابة وذكاء واجتهاداً<sup>(2)</sup>.

إن طبيعة الحياة في فرنسا كانت تحتم على المهاجرين الجزائريين على الفعل والمشاركة، وعلى الاستفسار أحيانا فالتواصل مع الفرنسيين يستوجب عليهم تعلم اللغة الفرنسية، وللدفاع عن حقوقهم يتوجب عليهم الانخراط في النقابات الفرنسية، كما كان عليهم أيضاً ضرورة استيعاب وفهم ما يجري حولهم من تجمعات ومظاهرات وغيرها، والذي كان يحرك حنينهم للوطن ويشير مشاعرهم القومية والوطنية حينما يتم سؤالهم عن جنسيتهم ووطنهم، وكان مفهوم الحرية والديمقراطية والشيوعية ومعنى حق الشعوب في تقرير مصيرها الشغل الشاغل الذي استولى على تفكيرهم، وما إلى ذلك من الشعارات والمفاهيم التي لطالما كانت تتردد على أسماعهم عندئذ يقول الأستاذ "عبد الحميد زوزو" كان الأمر ينتهي بالكثير منهم إلى الانخراط في النقابات العمالية والأحزاب السياسية ذات الاتجاهات التي كانت تجد صدى في نفوسهم، فالرواد أمثال الحاج علي عبد القادر(1883م-1957م) وأحمد بهلول(؟) ومصالي الحاج وشبيلة الجيلالي(؟) ومعروف محمد(؟) وبوقيراط علي(؟) كانوا قد بدأوا حياتهم السياسية

<sup>1</sup> سلوى هلال: المسألة الثقافية في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1954)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د بوعزة بوضرساية، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2، 2017/2016، ص 176.

<sup>2</sup> Malek haddad: l'élève et la leçon, éditions médai-plus, Constantine, 2008, p31.

أعضاء في النقابات العمالية الفرنسية ثم أعضاء بارزين في الحزب الشيوعي الفرنسي، وكان دورهم الصحفي والسياسي في فرنسا مطلع عشرينيات القرن الماضي معروفا في أوساط المهاجرين<sup>(1)</sup>.

وبذلك كانت البروليتاريا (اليد العاملة) التي شكلت هذا الاتجاه في تزايد مستمر، وبالرغم من أن طبيعة هذه الطبقة كان ينطوي تحتها فقط مهاجرو شمال إفريقيا، والتي تتكون غالبا من فلاحين وبائعي زراعي وعمال وزراعيين وتجار صغار انتزعت منهم أملاكهم وأجبروا على الهجرة خاصة نحو فرنسا وصاروا فيها بعد بروليتاريا فزجت بهم فرنسا في مصانعها ومناجمها، وقد كان لضعف مستواهم التقني وجعلهم للغة الفرنسية وعزلتهم، انعكس عليهم ذلك بالسلب وأزاحهم لهامش المجال الاجتماعي الفرنسي، فالتهميش والإستغلال الذي عاشته هذه الفئة ولّد لديها وعيا وطنيا ونضاليا تعزز بالاتصال بمختلف أنواع الصراع الذي خاضته البروليتاريا الفرنسية المنظمة من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي الذي التزم بمناهضة الاستعمار، وخاصة دعمه للأمير عبد الكريم الخطابي، فهذا الأخير الذي أسس سنة 1922م "الاتحاد بين المستعمرات" لإعداد النضال المنسق ضد الاحتلال، وهو العمل الذي أشرك فيه كل الفئات الوافدة من مختلف المستعمرات، هذا وقت أدت الاتحادية العامة للشغل الموحدة (CGTU) دورا كبيرا وبذلت جهدا دعائيا في سبيل التعبئة في الأوساط المهاجرين الجزائريين<sup>(2)</sup>.

وفي هذا الصدد يشير المؤرخ شارل أندري جوليان<sup>(3)</sup> وينوه بالدور الذي أداه الحزب الشيوعي الفرنسي الذي أكد على ارتباط هذا الحزب مباشرة بتأسيس النجم الذي ظهر حسبه مطلع العشرينيات بدفع من الهيئة الإدارية للحزب، وفي ذات السياق دائما نشرت البروليتاريا الفرنسية في ديسمبر 1923م نداء كان شعاره "يا عمال الجزائر اتحدوا" إذ وافق المشاركون في مؤتمر "تور" بفرنسا، على مساعدة الحزب الشيوعي الفرنسي لحركات التحرر في المستعمرات، والمطالبة بطرد الامبرياليين من المستعمرات، وتعزيز الشعور بالأخوة مع عمال مختلف المستعمرات، ومع الوطنيين المضطهدين<sup>(4)</sup>.

1 عبد الحميد زوزو: الدور السياسي...، مرجع سابق، ص 16 17.

2 سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص 177.

3 شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية، مرجع سابق، ص 139.

4 Amanda sakur and tony chafer: promoting the colonial idea propaganda and visions of empire in France, new york polgrave, 2002, p57.

لقد أدت الايدولوجيا الشيوعية -إلى درجه ما- دورا في التحسيس بالوطنية لدى الجزائريين فاعتبرت كل العمال لهم المصالح نفسها، وأن الأوروبيين يجب أن يكونوا بجانب الجزائريين في المطالب فعملت على رد الاعتبار للضعفاء، بالوقوف في وجه الطبقات البرجوازية التي تحتقر هذه الفئات الهشة لذلك كانت مستعمرة الجزائر من بين القضايا التي دافع عنها الحزب الشيوعي الفرنسي، وتحديد طبقة العاملة الجزائرية المهاجرة، والتي تعني في مفهومه الفقراء والمنبوذين والطبقة الهشة والمستضعفين لا العمال كطبقة، فتوعية الفقراء وتعبئتهم وتنظيمهم هي التي ستعيد للجزائر استقلالها الضائع، وللقيام بهذه المهمة وجب على المهاجرين الجزائريين كما يقول "محمد حري" أن يتعاونوا مع طبقة العاملة الفرنسية في حدود الإمكان، وأن يلتفوا ويتضامنوا مع جميع المسحوقين ضحايا الامبريالية لتحقيق هدفهم المنشود<sup>(1)</sup>. وبذلك كان لزاما على العمال الجزائريين الإنضمام إلى التنظيمات النقابية، والحزب الشيوعي الفرنسي الذي قام بتأطير الطبقات العمالية المغاربية عموما، والعمال الجزائريين على وجه الخصوص من خلال زرع أفكار المساواة مع الفرنسيين، وكذا ضرورة تحسينه معاملة الأهالي وهي الأفكار التي تم طرحها في اجتماعات الحزب الشيوعي، واستعملت في ذلك العديد من الوسائل أهمها إرسال المهاجرين للتكوين في مدرسه "بوبيني bobigny" في باريس، كما سمح للعمال باستعمال صحيفة "الباريا paria" المضادة للاستعمار-منبر البروليتاريا الكولونيالية- الأمر الذي انعكس على نشاط المهاجرين وعلى رأسهم مصالي الحاج في التوعية السياسية والثورية<sup>(2)</sup>.

من جهة أخرى فقد أدت الكونفيدرالية العامة الموحدة (CGTU) دورا لا يستهان به، إذ كانت الأكثر نشاطا في الأوساط العمالية خاصة مهاجري شمال إفريقيا، إذا ما قارنا نشاطها مع باقي المنظمات الشيوعية الأخرى، فعملت هذه النقابة التي يمكن اعتبارها المدرسة الأولى لتلقين المهاجرين المبادئ الأساسية الشيوعية، وبذلك عملت على الدفاع عنهم، ورأت أن حصول هذا يتم من خلال الحدث عن تنظيمهم وتجميعهم وتعليمهم العمل في النقابات الثورية، مع إزالة الحدود والعوائق التمييزية

1 محمد حري: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: صالح المثلوثي ونجيب عياد، موفم للنشر، الجزائر، 1994، ص 123.

2 يوسف حميطوش: منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص180.



العنصرية التي وضعها الاستعمار، وتعليمهم المساواة في الحقوق والأخوة، وللعلم فقد قام الشيوعيون الفرنسيون بدورين تمثلا في:

1 حاولوا تعيين الأقلية الجزائرية ضمن التجمع الكولونيالي ( إتحاد ما بين المستعمرات).

2 التنشئة النقابية للعمال الجزائريين المهاجرين على مستوى المصانع.

وفي هذا الشأن وحسب "لوسوفسكي losovsky" منشط النقابة الثورية العالمية، فإنه يجب تنظيم البروليتاريا وخاصة العمال المهاجرين وتنمية الوعي الطبقي لديهم، وتحويل عمال المستعمرات إلى قوة لتحرير شعوب المستعمرات، وقد وجهت لجنة الدراسات التابعة لإتحاد ما بين المستعمرات للجزائريين نداء للثورة في 02 جانفي 1922م، ثم عدلت عن موقفها من خلال ندائها في جريدة "l'humanité" بالتنديد لإستغلال المستعمر لثروات المستعمرات، ولنظام الهيمنة وقانون الأنديجنا وتجنيد الأهالي الجزائريين<sup>(1)</sup>.

بالإضافة إلى الكونفدرالية العامة للعمال الموحدة (CGTU) التي عملت على تكوين المهاجرين ونضالهم، لا يمكن تجاهل دوره الحزب الشيوعي الفرنسي (PCF) الذي عمل على استقطاب هذه الفئة وقام بتنظيمهم وتأطيرهم خاصة جزائريين، وقد استغل جيدا نفى الأمير خالد، ونظرا لأهمية هذه الشخصية في الأوساط العمالية بالمهجر عمل الحزب الشيوعي على تبني دعوته وذلك أملا في كسب ثقة الشعب ومن ثم استمالته<sup>(2)</sup>، كما تبني الحزب الشيوعي لمؤتمرات العمال الشمال إفريقيين، والأكثر من هذا وأثناء عقد أشغال المؤتمر الثالث المنعقد في يوليو 20 إلى 24 جانفي 1924م عرض الحزب الشيوعي الفرنسي مشكلات العمال المغاربة، بما فيها المشكلة الاستعمارية، زيادة على ترشح الحاج علي عبد القادر في باريس- لكنه لم يحصل على الأصوات اللازمة<sup>(3)</sup>.

وفي معرض حديثنا عن الإيديولوجيا التي كان يتبناها الشيوعيون فقد كانت تقوم في الأساس على مطلب الاستقلال، لكن هدفها كان مرحلي أي يقوم على تحقيق الاستقلال الاجتماعي للطبقة الشغيلة عن طريق ثورة إيديولوجية تحت رعاية وتأطير الحزب الشيوعي الفرنسي، وذلك بمساعدة الطبقة

1 يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص ص 175 176.

2 يوسف مناصرية: الإتحاد الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحزبين (1919-1939)، م و ك، الجزائر، 1988، ص 22.

3 كمال بوقصة، المرجع السابق، ص ص 205 206.

الشغيلة والوقوف إلى جانب هؤلاء العمال للدفاع عن مطالب اليد العاملة حسب مبادئ الشيوعية وتحريرهم من حيف واستغلال البرجوازية، لكن ما يمكن ملاحظته وعند تفحصنا لمطالب النجم الذي تم تأسيسه فيما بعد نجد أنها لا تهدف لما كانت تصبوا إليه الشيوعية خاصة مطلب الاستقلال الذي يعتبر بمثابة الهدف الأساسي، وعليه فالقضية هنا لا تنحصر فقط في مطالب اجتماعية واقتصادية للعمال المهاجرين الجزائريين وحسب بل هي قضية شعب برمته<sup>(1)</sup>.

لقد أسهمت مشاركته العمال في هذه التنظيمات (الحزب الشيوعي الفرنسي والنقابات العمالية) وحضورهم الاجتماعات قراءة الجرائد، إلى خلق ذهنية جديدة لديهم وتنمية روح التضامن والتكامل لتحقيق مصالحهم المادية، هذا وبالإضافة إلى ما كان يعيشه المهاجرون من تأثيرات بالمفاهيم والتنظيمات السائدة في فرنسا نفسها، هناك أحداثا أخرى خارج فرنسا كانت أخبارها تجد صدى في نفوسهم ويتبعونها باهتمام، مثل أحداث شمال إفريقيا والمشرق العربي والعالم الإسلامي، ومن بين هذه الأحداث نذكر خاصة حرب الريف بالمغرب الأقصى، التي أدت إلى دعم روح التضامن الواسع لدى عمال شمال إفريقيا.

وكتيجة لهذا ارتسمت معالم العمل الوطني في فرنسا بهجرة الأمير خالد إليها سنة 1923م فكانت التجمعات التي اتصل فيها بعمال شمال إفريقيا سنتي 1923م-1924م بمثابة اللبنة الأولى لهذا العمل الوطني، يضيف "عبد الحميد زوزو" قائلا: "فقد أشرف الأمير خالد هناك على تأسيس لجنة من أبناء شمال إفريقيا ممن كانوا يستمعون إليه وإلى محاضراته، كالحاج علي عبد القادر ومصالي الحاج، وعبد العزيز المنور والسيد علي الحامي المراكشي، وتنظيمهم في شكل "هيئة إغاثة المغاربة"<sup>(2)</sup> والتي اتسمت بسمه دينيه، التي قوامها التعاطف والتعاون بين أعضائها"<sup>(3)</sup>.

لقد بدا واضحا تظاهرات التنشئة الدينية على هؤلاء الزعماء من تسمية هذه الهيئة ونشاطاتها والتي قال المؤرخ أبو القاسم سعد الله فيها: أن هذا التنظيم يبدو عليه التأثير الكبير لعمال شمال إفريقيا

<sup>1</sup> chokri ben fradj: "nationaliste algeriens et communistes francais dans la France du front populaire 1934-1938", RV rawafid, n 07, 2002, p26.

<sup>2</sup> للمزيد حول الموضوع ينظر: علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مطبعة الرسالة، ط1، القاهرة، مصر، 1948، ص13 وما بعدها.

<sup>3</sup> عبد الحميد زوزو: الدور السياسي...، مرجع سابق، ص ص 53 54.

روحيا بالزوايا، والدليل انتظامهم في بلاد المهجر في شكل جمعيات دينية، وتمثل التجربة الأولى لهذا العمل المشترك في أول اجتماع عقد في 7 ديسمبر 1924م، وقد ضم ممثلين عن 75 ألف عامل، وكان هدفه بحث المصالح الاقتصادية والنقابية للعمال المغاربة على الأسس التالية:

\* العمل على إلغاء قانون الأهالي والقوانين الإستثنائية.

\* العمل لنيل حق الاجتماع وحرية الصحافة وحرية الكلمة.

\* تنظيم لقاءات دورية في أوساط الصحافة، وإدراج مشاكلهم في جدول أعمال المؤتمرات العامة، وعبر المؤتمر عن تضامنهم مع الحركات التحريرية في المغرب الأقصى و تونس ومصر ببرقيات تأييد. وكان من بين نتائج هذا المؤتمر ظهور أول جمعيه سياسيه بعنوان نجم الشمال الإفريقي<sup>(1)</sup>.

صحيح أن الحزب الشيوعي الفرنسي تبنى العمال الجزائريين، ووفر لهم إطار النضال ووسائله كما أتاح لهم فرصا بالجملة لفهم ماهية الاحتلال وطرق مواجهته، ووضع تقريبا كل الإمكانيات تحت تصرفهم وهذا ما أكده مصالي الحاج قائلا: "في البداية لم يكن للجمعية محل... وكنا نستعمل المقاهي والمطاعم الشيوعية لنجتمع، ينبغي أن نعترف بأن الشيوعيين كانوا طرفاء معنا وخدمين لنا<sup>(2)</sup>" لكن هذا لا يمنع الاختلاف في الرؤى والأهداف لدرجة انتهاء العلاقة بين الطرفين فيما بعد، فبالرغم من سيطرته الفكرية على بعض الشخصيات أمثال الحاج علي عبد القادر الذي آمن بالأفكار الشيوعية ودافع عنها، والذي كان يهدف من وراء نشاطه إلى تحرير العامل الجزائري من استغلال البرجوازية والإقطاعية والعمل على تحسين وضعه الاقتصادي في فلك الحزب الشيوعي الفرنسي، في المقابل لم يستطع أن يسيطر على شخصيات وطنية أخرى وعلى رأسهم مصالي الحاج، الذي كان يهدف إلى استقلال الجزائر التام وفصلها عن فرنسا<sup>(3)</sup>، إضافة إلى هذا فقد رأى الشيوعيون بأن مصالي الحاج كان مثالا للمناضل الماركسي لولا اعتناقه لفكر شكيب أرسلان الزعيم العربي الإسلامي الذي تأثر كثيرا به، وكان لقاءه به

<sup>1</sup> عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص ص 54 55.

<sup>2</sup> مصالي الحاج: مذكرات مصالي الحاج (1898-1938)، تر: محمد المعراجي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص 135.

<sup>3</sup> يوسف مناصريه، المرجع السابق، ص ص 75 76.

سنة 1935م السبب المباشر الذي ادخله في فكر القومية العربية، وهذا الرأي أيضا أخذ به شارل أندري جوليان حسب ما ذكر "الأستاذ سعد الله"<sup>(1)</sup>.

## 2- النزعة الوطنية لشخصيه مصالي الحاج وتأثيرها في الأوساط العمالية:

يعدّ مصالي الحاج من الشخصيات الجزائرية البارزة، الذي قام بدور كبير في الحركة الوطنية الجزائرية باعتبار أنه كان من الأوائل الذين نادوا بتحرير الشعوب من الاحتلال والامبريالية منذ نهاية عشرينيات القرن الماضي، ومنذ بداية مساره السياسي والنضالي كان يتبنى مطالب الاستقلال والتحرر، هذين الأخيرين كانا بمثابة انعكاس للوسط الاجتماعي والعائلي الذي نشأ فيه من جهة، والوسط التعليمي الذي تلقاه من جهة أخرى، ناهيك عن هجرته التي كان لها دورا بارزا كونها كانت مجالا لاحتكاكه بالعالم الخارجي، الذي من خلاله أضاف جوانب هامة لفكره سواء حين انخرطه بالوسط العمالي والنقابي أو الحزب الشيوعي أو حين التقى بشخصيات إسلامية بارزة آنذاك من ناحية ثالثة.

وفي معرض حديثنا عن النزعة المصالية التي تولدت على إثر المعانات التي خلفتها الأوضاع القاسية بفعل الاحتلال الفرنسي، وعليه لم تكن فكرة الثورة والاستقلال سوى انعكاس للقيم والمبادئ التي تلقاها في المراكز الدينية عموما، والزاوية الدرقاوية على وجه الخصوص والتي وصف توجيهها "شارل روبير أجرون" بأنها "كانت ذات نزعة استقلالية"<sup>(2)</sup> هذا من جهة، ومن جهة أخرى الأحداث التي كانت تجري في العالم لم تكن بمعزل عنهم خاصة ثورة الريف بقياده عبد الكريم الخطابي، التي كان يتابعها العمال الجزائريون باهتمام كبير، بالإضافة إلى أخبار الانتفاضة التي أعلنها مصطفى كمال أتاتورك والتي من دون شك بلغت أيضا مسامع هؤلاء المهاجرين وكانت تهم مشاعرهم.

في الحقيقة تأسس النجم بتضافر جهود الوطنيين المهاجرين، والذي تميّز بفضل زعامة مصالي الحاج له المتأثر بتعاليم المؤسسات الدينية، فانعكس هذا التوجه على مذهب الحزب الذي كان أساسه ذا جوهر ديني وكانت له صفة قومية وشعبية واضحة، وبالرغم من إيمانه الراسخ بحقيقة التفوق الغربي، إلاّ

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1996، ص ص 126  
127.

<sup>2</sup> شارل روبير أجرون: المجتمع الجزائري في مخبر الايدولوجيا الكولونيالية، تر: محمد العربي ولد خليفة، منشورات نالة، ط2، الجزائر،  
2013، ص 93.

أنه اعتبر قيم الحضارة العربية والإسلامية أسمى القيم منها، أما المبدأ الرئيسي الذي استند عليه والذي بني تفكيره السياسي عليه فهو الدفاع عن الشخصية الجزائرية، فالدفاع عن هذا الحق هو الذي سبق التأكيد على وجود أمة جزائرية قبل الاستعمار وليس العكس وهذا الموقف ليس ناتجا عن التفكير حول ماضي الجزائر ومستقبلها، بل هو رد صريح على كل الذين لا يأخذون بعين الاعتبار حرية الشعب الجزائري وسيادته<sup>(1)</sup>.

لقد ساهمت التنشئة الدينية في تحديد توجه مصالي الحاج كثيرا فبالرغم من التنوع الفكري والأيدولوجي الذي زخرت به فرنسا، وعاشه مصالي الحاج في المهجر واحتكاكه بذلك الوسط لم يؤثر في توجهاته وقناعاته، بل والأكثر من ذلك لم يبلغ المكبوت الاجتماعي والسياسي والديني الذي كان يحمله والمتمثل في تراث المؤسسات الدينية، التي كان يتردد عليها ونشأ فيها منذ صغره، وهذه الإيديولوجية الطرقية كانت تغذي الذاكرة الجماعية للشعب الجزائري، وهي السبب المباشر وراء تجمع الجزائريين والشمال إفريقيين في جمعيات، وقد أكد مصالي الحاج في إحدى المناسبات أن العمال الجزائريين كانوا خاضعين للتأثير الروحي للزوايا<sup>(2)</sup>.

لقد تميّزت شخصية مصالي الحاج الذي ارتسمت عليه ملامح القائد، ويعود ذلك أساسا إلى تأثره بالمؤسسات الدينية كما سبق لنا وأن قلنا، فتعاليم هذه الأخيرة "كانت خطيرة حسب الجنرال لامورسيير lamorcière إذ كان التعليم فيها موجها أساسا الحماية الدين<sup>(3)</sup>"، هذا ومن جهة أخرى فقد طبق العبارة التي تقول "الشيخ يطاع ولا يناقش" والتي استلهمها من موروته الديني، الأمر الذي انعكس على شخصيته فصبغت عليه ملامح القائد، وهذا ما ساعده كثيرا في بداية نشاطه، فكانت لهذه التعاليم والمبادئ وقعها ايجابيا عليا وعلى مساره، لأنها جعلت منه رجلا جديا ومسلما طاهرا يؤدي صلواته، ويتعلم دور الشيخ في تلقين مبادئ الطريقة لتلامذته ليصبحوا إخوانا، وخلق التضامن بين المريدين

<sup>1</sup> محمد حرّبي: الثورة الجزائرية...، مصدر سابق، ص 122 123.

<sup>2</sup> الطاهر عمري: النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (1900-1940)، شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د أحمد صاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعه الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2004/2003، ص 452.

<sup>3</sup> إيفون تيران: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، تر: محمد بن عبد الكريم أوزغلة، دار القصبه، 2005، ص 117 وما بعدها.

والصرامة في سلوكهم، واحترام القواعد الأخلاقية<sup>(1)</sup>، وهذه التعاليم التي تلقاها مصالي- في رأينا- كانت قد أثرت على مصالي الحاج خلال ممارسته السياسية خاصة الجانب التنظيمي لحزبه.

لقد برزت هذه التعاليم في سلوكيات مصالح الحاج، فإذا تكلمنا عن مظهره الخارجي وزيه نجد أنه محافظا على اللباس العربي الذي كان يرتديه وكذلك لحيته، فنشاطه بفرنسا لم يؤثر عليه، بل بالعكس من ذلك نجد بقي محافظا على تقاليده ومشدودا لأصوله الاجتماعية، ولأنه يعي جيدا أصله فانتسابه لمجتمع فقير جرد من كل شيء بفعل الاستعمار، جعله ذلك يدرك تمام الإدراك حينها كيفية فرض نفسه وسط الجماهير الشعبية وإقناعهم، وذلك لارتباط مصالي الحاج بالإسلام كمرتكز إيديولوجي، لا يقف عند المظهر الخارجي وحسب، وإنما كان هدفه سياسيا وهو ما صاغه في برنامج حزبه<sup>(2)</sup>.

على العموم فإن الأطر المرجعية الفكرية والأيدولوجية لمصالي الحاج كانت قد تعددت وتشابكت في ما بينها، فهو يراوح بين أكثر من مصدر مرجعي وحقل الإيديولوجي، لتنجز طرفا سياسيا استثنائيا في الحركة الوطنية الجزائرية، فكان مشدوداً إلى موروثه العربي والإسلامي، منبها بمقومات الغرب، متفتحا على الفكر الاشتراكي والأفاق التي فتحتها الثورة البلشفية (أكتوبر 1917م)، وفعلا فإننا حينما نقوم بتتبع المسار الإيديولوجي لمصالي الحاج نلمس تعدد الأطر المرجعية التي حكمت تفكير هذا الزعيم وحددت مسار حركته، فقد كان حريصا على توظيف مفهوم الجهاد، بدعوته إلى المقاومة والدفاع بكل الوسائل عن الشخصية الجزائرية ومقوماتها وكذا عن كرامه الضعفاء من كل الأجناس دون تمييز، وهو مُنطلق كذلك من وجود قيم مشرقة في الفكر العربي، لكنه مُصير على أن تبقى قيم الحضارة العربية الإسلامية هي الأرقى، بالرغم من تفاعله مع الفكر الاشتراكي وبانفعاله مع تجارب اليسار وحركاته<sup>(3)</sup>.

لقد ساهمت هذه العوامل في بروز شخصيه سياسية استثنائية، حققت شعبية واسعة في الأوساط الجماهيرية، فوصف عمار نارون الشعبية التي يحظى بها مصالي الحاج قائلا: "لقد بدأ الشعب يصحوا من غفلته، وبدأ ينجذب نحو مصالي الحاج الذي كان يطالب بالاستقلال الكامل ويعلن توجهه نحو

<sup>1</sup> سلوى لهلال، المرجع السابق، ص 185.

<sup>2</sup> الطاهر عمري، المرجع السابق، ص 453.

<sup>3</sup> أحمد مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، لبنان، 1994، ص 284 285.



العواصم الإسلامية، لقد كان مصالي الحاج يقود النضال الوطني، وقد لعب حماس الجماهير التي كانت تعاني من البؤس والاضطهاد دورا بارزا في استشارته، وحتى عندما كانت السلطات الاستعمارية تحيل مصالي الحاج على المحاكم في باريس والجزائر، وعندما كانت تقوم بحبسه فإنها كانت توسع من دائرة شعبيته، وتجعل منه بطلا وطنيا يحترمه الجميع، وهنا يمكن لنا أن نتصور النتيجة في الأوساط الشعبية بالجزائر، فمن البديهي أن تتحمس الجماهير للرجال الذين يكافحون من أجلهم ومن أجل تقديم أدلة على استقلاليتها عن الإدارة الفرنسية وشجاعتهم السياسية<sup>(1)</sup>.

صحيح أن للحزب الشيوعي الفرنسي دورا هاما في تبني وظهور الاتجاه الاستقلالي بشهادة زعيمه أحمد مصالي الحاج، لكن ما تجدر الإشارة إليه أن النجم فيما بعد نجده قد أنهى مرحله التراوح بين تأثيرات الحزب الشيوعي الفرنسي وبين الانتماء للبنى الأصلية للمجتمع الجزائري، وبدأ بالانفصال تدريجيا، وذلك بسبب تجاوز المطالب الثورية لهذا الاتجاه مطالب الحزب شيوعي نفسه، هذا من جهة ومن جهة أخرى المناقشات التي جمعت مصالي الحاج و شكيب أرسلان التي دارت مواضيعها حول الثقافة الحضارة والسياسة، الأمر الذي جعله يتحرر من انتمائه الشيوعي، وهو الهدف الذي أراده شكيب أرسلان من وراء استقطابه لمصالي الحاج، وذلك بإبعاده عن تأثير الشيوعية وتقريبه من الانتماء العربي الإسلامي وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين<sup>(2)</sup>، وكذا البحث عن أشكال أكثر نجاعة في التعبير عن فكرة الاستقلال.

من الناحية التاريخية يؤكد "بنجامين سطورا benjamin stora" العلاقة التي تربط الزعيمين مصالي الحاج وشكيب أرسلان، واعتمد في تأكيد هذه العلاقة على تقارير الشرطة الفرنسية التي أوعزت بداية الاتصال لسنة 1932م<sup>(3)</sup>، وفي هذا الصدد أكد "محمد قنانش" هذا الكلام، بحيث تحدث عن العلاقة التي تربط مصالي الحاج بشكيب أرسلان وتأثر الأول بالثاني، وهنا ذكر بأن مصالي الحاج كان من أشد المعجبين بشخصية شكيب أرسلان، وقد أرجع جذور هذه العلاقة كذلك لسنة 1932م،

1 amaer naron: ferhat abbas ,ou le chemins de souveraineté, ed donoel, France, 1961, p46.

نقلا عن الطاهر عمري، المرجع السابق، ص 458.

2 الطاهر عمري، المرجع السابق، ص 463.

3 Benjamin stora: messali hadj pionnier du nationalisme Algérien (1898\_1974), Ed l'harmattan, Paris, France, 1982, p110.

وبعد انعقاد مؤتمر جنيف 1935م استفاد مصالي الحاج كثيرا بسبب احتكاكه المباشر، كما تعرّف على شخصيات سياسية أخرى على غرار إسعاد الجابري وعلي الغاياني<sup>(1)</sup>.

وفي هذا الصدد فقد ذكر الأستاذ عبد السلام غازي أن تأثير شكيب أرسلان كان واضحا على مصالي الحاج رئيس حزب نجم شمال إفريقيا، الذي عمل على إبعاده عن الحزب الشيوعي ومحاولة فض الخلاف بين نجم شمال إفريقيا وجمعية العلماء المسلمين في الجزائر<sup>(2)</sup>، وانطلاقا من هنا يوضح الأستاذ "أحمد صاري" طبيعة العلاقة التي كانت تربط شكيب أرسلان مع مصالي الحاج فالأول حسبه كان يراوح بين محورين، فمن جهة حاول إبعاد مصالي الحاج عن فلك الحركة الشيوعية التي لازمها منذ تأسيس نجم شمال إفريقيا، ومن جهة أخرى حاول تقريب وجهات النظر بينه وبين أعضاء جمعية العلماء المسلمين كما سبق لنا وان ذكرنا وذلك بسبب اشتراك مساعيهم، وقد توثقت هذه العلاقة أكثر أثناء لجوء مصالي الحاج إلى جنيف سنة 1935م على إثر الحكم الذي صدر في حقه<sup>(3)</sup>.

لقد كان لتواصل مصالي الحاج بشكيب أرسلان تجرّبه أخرى خطى من خلالها خطوة أخرى في مسار نضاله، خاصة حين لقائه في جنيف واستطاع تدعيم المصدر الإيديولوجي العربي الإسلامي والوطنية الجزائرية، حيث يذكر الباحث الجزائري "حنفي بن عيسى" أنه كان لشكيب أرسلان أثر قوي في إبراز الفكر السياسي الجزائري، وهو الذي أدخل خلال الثلاثينيات مفاهيم جديدة في حقل الإيديولوجية الاستقلالية، وهذه المفاهيم هي العروبة كشعار يرمز إلى مجموعه من القيم الثقافية والسياسية، والأمة العربية ككيان مستقل يجمع العرب أينما كانوا، وأخيرا اللسان العربي كمقوم أساسي للأمة<sup>(4)</sup>، وهذا ما يفسر تركيز مصالي في إيديولوجية حزبه على الانتماء للأمة العربية الإسلامية، وتبنيه مصطلح القومية والوحدة الإسلامية والوعي القومي العربي، زيادة على هذا جعل من اللغة السياسية لمصالي الحاج تصطبغ بالصفة الإسلامية.

1 محمد قنانش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصة، الجزائر، 2007، ص 24.

2 عبد السلام غازي وآخرون: الوحدة المغاربية في ذاكرة الحركات الوطنية والتحريرية، تن: محمد الدرويش، منشورات فكر، تونس، (د ت)، ص 112.

3 أحمد صاري: شخصيات وقضايا تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2004، ص 90.

4 الطاهر عمري، المرجع السابق، ص 467.

تأكيدا على كل الذي تم ذكره سابقا بخصوص تأثير شكيب أرسلان على مصالي الحاج، ما وقفنا عليه في نصوص إحدى الرسائل التي أجاب فيها أرسلان عن مراسلات مصالي، والتي جاء في مضمونها اعتراف شكيب أرسلان ومتابعته باهتمام الحركة التي يقودها مصالي، وأكد له عن دعمه وتشجيعه في قضية الإسلام والثقافة الإسلامية في الجزائر كوسيلة لمقاومة الاحتلال<sup>(1)</sup>.

لقد كان من تمظهرات تأثير شكيب أرسلان على مصالي الحاج أن الأخير انفصل من فلك الأيديولوجية الشيوعية والحزب الشيوعي الفرنسي وجعله هذا يعتمد على التأييد العربي الإسلامي من جهة والعالمي اليساري من جهة أخرى، وهو المبدأ الذي صاغه مصالي الحاج في مطالبه بكون الانتماء الجزائري عربي إسلامي، وبأن الشعب الجزائري يبقى نفسه ولا يذوب في الجنسية الفرنسية، وهذا ما يفسر معارضته للإندماج ودعواته بشدة في العديد من المرات، كما أن مصالي الحاج حين أسس جريدة "الأمة" لسان حال حزبه، كانت مستوحاة جراء تأثيره بجريدة "الأمة العربية" لشكيب أرسلان، زيادة على هذا فمقالات جريدة الأمة المصالية كانت كذلك تستنبط مباشرة وفي أغلب الأحيان من مقالات شكيب أرسلان، وعليه اعتبر هذا الأخير في نظرهم بمثابة الداعية بالنسبة للانفصاليين<sup>(2)</sup>.

ينظر الملحق رقم (5) 1 A.N.O.M : 9H47, lettre de arslan à messali, le26/10/1936.

2 سلوى لهلال، المرجع السابق، ص 189.

## المبحث الثاني: ملامح الفكر السياسي عند الاتجاه الاستقلالي:

قبل التطرق إلى الموضوع الذي نحن بصدد معالجته، يجدر بنا أن نقوم بضبط مفاهيم بعض المصطلحات اللازمة، فقد ارتأينا أنه من الضروري القيام بذلك حتى تتضح الفكرة أكثر، وبالعودة إلى عنوان المبحث نجده مركباً من لفظين "الفكر" و"السياسة".

يختلف النظر إلى الفكر باختلاف المذاهب الفلسفية والاجتماعية المختلفة، فرجحنا المفهوم الذي يتخذ من النظرة العلمية الموضوعية منطلقاً لضبطه، وذلك لتطابقه إلى - حد ما - مع دراستنا، التي تعتبر الفكر ليس مجرد مرآة تعكس الواقع وتصوره، وإنما هو كذلك وسيلة فعّالة لتغيير الواقع وتطوره<sup>(1)</sup>.

هذا ويراه بعض المفكرين على أنه جملة الآراء والأفكار التي يعبر بواسطتها شعب ما عن مشاكله واهتماماته، وعن مثله الأخلاقية، ومعتقداته المذهبية وطموحاته السياسية والاجتماعية، وبذلك يعد الفكر بهذا المعنى هو الايديولوجيا<sup>(2)</sup> بمعناها الواسع العام الذي يشمل الفكر السياسي والاجتماعي والفكر الفني والفلسفي والديني، ولا يخرج عن هذا المعنى العام للايديولوجيا إلا العلم، وهذا الأخير كلي لا وطن له وبالتالي فإنهم يؤكدون بأن الفكر السياسي هو عبارة عن أداة لإنتاج الأفكار سواء منها تلك التي تصنف داخل دائرة الايديولوجيا أو داخل دائرة العلم<sup>(3)</sup>.

وفي مفهوم أدق يعرفه الأستاذ "أحميدة عميراوي" على أن الفكر الذي هو الشيء ذاته الذي يدور حوله التفكير ومهمته معالجة القضايا بالتأمل والمحكمة والتمييز قصد الوصول إلى رأي معين، وبالتالي إلى موقف معين تجاه قضايا خارجية عن الذات<sup>(4)</sup>.

أما السياسة من حيث اللغة والاصطلاح يقال سُنتُ الرعية سياسة أي أمرتها ونهيتها، ونقول ساس يسوس الناس سياسة: إذا تولى أمرهم، وساس الأمر: إذا قام به<sup>(5)</sup>، وعليه فالسياسة مبنية على

<sup>1</sup> عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة، ج4، المؤسسة العمومية للدراسات، دار الهدى، لبنان، 1994، ص 565.

<sup>2</sup> تعني الايديولوجيا مجموعة من المبادئ والقيم المنتظمة التي يلزم بها الإنسان نفسه بتحقيقها في حياته، وقد يتعدى هذا الالتزام الفرد إلى مجموعة من الناس كما في الحزب، للمزيد أنظر: ملحم قربان: المنهجية والسياسة، منشورات دار الطليعة، لبنان، بيروت، 1963، ص 93.

<sup>3</sup> محمد عابد الجابري: إشكالية الفكر العربي المعاصر، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط2، لبنان، بيروت، 1990، ص 51.

<sup>4</sup> أحميدة عميراوي: دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، ط2، الجزائر، 2004، ص108.

<sup>5</sup> علي بن هادية و آخرون، المرجع السابق، ص 443.

إصلاح الشيء مع بيان منبع هذا الإصلاح، وفيما يخص التعريف الاصطلاحي، عرفها بطرس البستاني على أنها: "بيان التدابير اللازمة لإدارة أعمال البشر، بحيث يجري الإنسان عمله على السنن الطبيعية الضابطة لسعيه واجتهاده في ترقية حاله"<sup>(1)</sup>.

هذا وتُشكّل السياسة أهمية بالغة من حيث الممارسة كونها تعني بالجوانب الحيوية التي لها علاقة بالمجتمع مثل تحديد الأولويات وحقوق المواطنة والواجبات، والطروحات الثقافية وغيرها، وتعتبر أيضا مهمة كجانب فكري لأنها تعنى أو بالأحرى تهتم بتوضيح المفاهيم مثل العدالة و الحرية وغيرها. وعليه، ومما سبق طرحه يمكن أن نقدم مفهوم "الفكر السياسي" والذي هو عبارة عن مجموع الأسس والنظم السياسية التي وضعها المفكرون لرسم صورة الدولة، وتنظيم العلاقات بين السلطة الحاكمة وأفراد المجتمع الذي تمارس فيه تلك السلطة<sup>(2)</sup>، وبالتالي يمكن حصر هدف الفكر السياسي في تنظيم الأمة في شتى مجالاتها الحياتية، في السياسة والاجتماع، والاقتصاد والثقافة والدين، وطبقا للقيم التي تحملها الأمة كما يمكن اعتباره مجموعة الأسس و المبادئ التي تقوم عليها دولة ما- أو حزب ما- لإصلاح أحوال الناس، وتحسين ظروفهم، وفقا لمقومات شخصيتهم.

والمتعارف عليه أن هذه المبادئ والمفاهيم ليست فطرية أو غريزية، إنما يكتسبها الإنسان نتيجة إحتكاكه بمحيطه الطبيعي والاجتماعي والثقافي، ومن هنا تكمن أهمية خصوصية هذا المحيط في تشكيل خصوصية الفكر<sup>(3)</sup>، وعليه نجد أن المبادئ التي ارتكز عليها الفكر السياسي لدى الاتجاه الاستقلالي وعلى رأسهم مصالي الحاج تحكمت فيها مجموعة من القيم السياسية التي استمد مرجعياتها من عدة مؤسسات- سبق لنا وأن تناولناها بالدراسة في المبحث السابق- نجدها انعكست انعكاسا مباشرا على توجهات هذا الاتجاه ومواقفه السياسية و نلتبس هذا في المواقف والخطابات السياسية ومطالب الاستقلاليين طيلة فترة نشاطهم السياسي.

1 بطرس البستاني: دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب، مج10، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ص276.

2 محمد عزيز نظيمي سالم: الفكر السياسي في الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1996، ص 21.

3 محمد عبد الجابري، إشكالية الفكر...، مرجع سابق، ص 51.

لقد ارتبط الفعل السياسي لدى جماعة التيار الاستقلالي بظاهرة الهجرة إلى فرنسا، بحيث اعتبر المحيط الفرنسي نطاقا جغرافيا وسياسيا واقتصاديا جلب العديد من الأفراد من جنسيات مختلفة تابعة للمستعمرات الفرنسية، جسدت شتات كثيرا من المهاجرين العمال في مختلف المهن والحرف، وجمع وجودهم بين البحث عن قوت العيش وبناء الذات وتحقيق آمال الشعوب في الحرية والعدالة والاستقلال، وبذلك اعتبرت الهجرة إذا مرتكزا أساسيا في بناء فكر سياسي معاد للاحتلال، يتقاطع بكل تأكيد مع مبادئ وقيم أخرى مناوئة له، وإن كانت لا تمت بصلة إلى مقومات تلك المجتمعات، لكن التقارب بينهما كان من الضروري حدوثه في ظل التغيرات التي شهدتها العالم آنذاك وتسارع الأحداث على الساحة الدولية والحراك السياسي المتصاعد بدءا من الثورة البلشفية سنة 1917<sup>(1)</sup>.

إذا شكل المهاجرون وسطا اجتماعيا واقتصاديا، وقد التفوا حول كل القيم والمبادئ الداعية إلى التخلص من القمع والتجاوزات التي كانت تمارسها إدارة الاحتلال وتحقيق الخلاص التام منها، وبذلك كانوا دعامة أساسية في ولادة أحد التنظيمات السياسية البارزة في الجزائر وتاريخ الحركة الوطنية الجزائرية. بعد أن اكتشف رواد هذا التيار على رأسهم مصالي الحاج، دور التنظيم في تعبئة الطبقة العمالية من خلال الحزب الشيوعي الفرنسي والاتحادية العامة للعمال الموحدة من جهة، تعلم أساليب الدعاية والتحريض والتوعية السياسية من ناحية ثانية، والذاتية الحزبية وتقليده لعمله ولأسلوبه وشعاراته ومطالبه من ناحية ثالثة، ناهيك عن محاولته كيفية التسلح بالسلح الفكري (الإيديولوجي) في تعبئة الجماهير من ناحية رابعة، زيادة عن احتكاكه بالعالم الصناعي الرأسمالي الذي كان يتسم بصراع الطبقات الإيديولوجية، مما سمح له بالتمسك بثقافته السياسية الأصيلة والمتجددة في آن واحد، لذا استمد زعيم هذا الاتجاه جزءا كبيرا- وبكل تحفظ- من ثقافته السياسية من الفكر السياسي الغربي بتوظيف الإيديولوجية الثورية والتنظيم الحزبي في تعبئة المناضلين مع الحرص على الاحتفاظ بالقيم العربية الإسلامية والتأكيد على ركن الجهاد<sup>(2)</sup>.

إن الجهود الإيديولوجي الذي بذله رواد هذا الاتجاه، انطلق بانطلاق الحركة الوطنية الحديثة في هذه الحركة بذل فيها وطنيون جهودا ومعارك، لم يكن أصحابها أنفسهم يتوقعون القيمة التي تكتسبها

1 Charles\_Robert ageron: étoile Nord-Africaine et le mouvement national algérien, ANEP, Alger, 2000, p78.

2 يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص 233.



كما نتصورها ونعيشها نحن اليوم، والمعركة السياسية التي جرت بين الوطنيين الجزائريين وقوة الاحتلال لم تكن فقط معركة سجون وانتخابات وقمع وإضرابات قوانين مجحفة وتمرد صارم عليها، بل كانت أيضا وعلى وجه الخصوص معركة مفاهيم تتصارع فيها الأفكار بين الاحتلال والحركة الوطنية، كما تتصارع فيها عناصر وطنية داخلية (1).

إن دراسة الماضي - وخاصة الميدان الفكري - هي جزء من دراسة الحاضر، وعليه سوف نركز الحديث هنا عن الجانب الأيديولوجي ونبرز أهم الأفكار ومبادئ هذا الاتجاه والصراع الفكري الذي دار رحاه بينه وبين الفكر الاستعماري الفرنسي، فعلى ضوء ما تقدمنا به نطرح سؤالاً مهماً: ما هو المنطلق الفكري والأيديولوجي الذي اتخذته الاتجاه الاستقلالي كمبدأ له في نضاله السياسي؟

نعني بالاتجاه الاستقلالي هو ذلك الاتجاه الذي تبناه نجم شمال إفريقيا، والذي تحول إلى حزب الشعب ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية الذي اتخذ عشية إعلان الثورة المسلحة إسم اللجنة الثورية للوحدة والعمل، وأخيراً جبهة التحرير الوطني (2)، إذاً كل هذه الأسماء هي في الحقيقة لمسمى واحد، أجبر في كل مرة على تغييره كلما تعرض للقمع اتخذ اسماً جديداً، ما عدا تسمية جبهة التحرير الوطني التي فرضها على بقية الحركات لتتخلى عن أسمائها القديمة ويندمج أفرادها في الجبهة كأفراد فقط.

وفي سياق متصل، وفي معرض حديثنا عن التمثيل الشعبي نجد أن هذا الاتجاه له فيه أكثر من نصيب بقية الحركات مجتمعة، بالرغم من أنه - أو ربما سبب ذلك - كان في نشاطه السري معرضاً للأخطار أكثر من بقية الحركات الأخرى، ويرجع الأستاذ "عبد الله شريط" مقدار التمثيل الشعبي في هذا الاتجاه إلى حس هذه الطبقات الشعبية ونباهتها، على أن الحركة المضطهدة أكثر هي الصحيحة أكثر من غيرها، وأن الحركة التي لا تتعرض إلى الاضطهاد دليلاً على أنها لا تشكل الخطر الحقيقي على الاحتلال الفرنسي (3).

ارتأينا أنه من الضروري أن نقوم باستعراض هذه المعطيات في مقدمة هذا العرض لأفكار الاتجاه الاستقلالي قبل أن ندخل في تفاصيلها، فمن المبادئ الأساسية التي نادى بها هذا التيار دائماً ورددها

1 عبد الله شريط: مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الأيديولوجي في الجزائر، م.و.ك، الجزائر، 1986، ص 121 122

2 أبو القاسم سعد الله: أفكار جامحة، م.و.ك، الجزائر، 1988، ص 35.

3 عبد الله شريط: مع الفكر السياسي الحديث...، مرجع سابق، ص 125.

باستمرار هو أن الهدف الذي يصل له قائم على حقوق شعب بأكمله في إطار وطني، هذا وعمل على تحديد هذا الإطار الذي وصف شعبه سنة 1937م بأنه: " شعب يتكلم لغة واحدة ويدين بدين واحد وله ماضٍ مشترك"<sup>(1)</sup>، ويمكن لهذا الشعب تحقيق الاستقلال شرط أن لا يخشى السجن ولا الموت، وأن يعرف كيف يتحدى، والأرضية لهذه الوحدة موجودة وقائمة، وهي أرضية المطالب فكل حزب يحتفظ بإيديولوجيته الخاصة، مع توحيد الجهود في نوع من العمل المشترك لإنقاذ هذا الشعب وتخليصه مما يتخبط فيه<sup>(2)</sup>، وقد وجد هذا المبدأ تجاوبا واسعا من الشباب خاصة هذا من جهة، ومن جهة أخرى مكّنه هذا الاحتكاك لاحقا من التسلح بزمام المبادرة أمام كل حادث جديد، وأن يكون مستعدا للهجوم قبل أن يهاجم<sup>(3)</sup>.

بعد أن تقلد اليسار الفرنسي زمام الحكم أواخر ثلاثينيات القرن العشرين تنكر تماما لمبادئ الثورة الفرنسية، التي طالما دعت إلى الحرية والديمقراطية للشعوب، وأعلن حزب الشعب أنه لا يجد في فرنسا 1939م، مبادئ ثورة 1789م، والأكثر من ذلك حملة الاعتقالات التي طالت الوطنيين الجزائريين وقتها لدرجة أن سجن "الباستيل" لم يعد في باريس، بل أصبح في عاصمة الجزائر، حيث يزج في زنازانتها الوطنيين الجزائريين لأنهم فقط طالبوا بتحقيق المشروع الذي تمثل في التمتع بحقوق الإنسان، هذه الممارسات المحففة جعلتهم يضاعفون من نشاطهم أكثر، فعملوا على تنظيم الحزب تنظيما محكما يخضع لانضباط دقيق<sup>(4)</sup> وهذا ما دعت إليه جريدة الأمة "أيها الشعب الجزائري إذا أردت إن تعيش وتنتصر نظم نفسك"<sup>(5)</sup>، وقد زادتهم معاملة الاحتلال صلابة وتمسكا بمبادئهم رغم ما عانوه في سبيلها من عناء، ومن هذا الوضع استخرج حزب الشعب مبدأ جديدا لعمله السياسي، وسيبقى هذا المبدأ من أهم المبادئ خلال فترة النضال السياسي وبعده العسكري وحتى بعد الاستقلال حسب الأستاذ سعد الله، وهو مبدأ "الاعتماد على النفس"<sup>(6)</sup> فخرج ممثلو هذا الحزب سنة 1939، وأعلنوا بأن حزب

1 El Ouma, 10 Avril 1937, "Déclaration de bureau politique de PPA."

2 عبد الله شريط: مع الفكر السياسي الحديث... مرجع سابق، ص 126.

3 أحمد قناش: "الأيدولوجية الثورية في الحركة الوطنية الجزائرية"، الأصالة، ع 11، ص 2، نوفمبر - ديسمبر 1972، ص 26.

4 عبد الله شريط: مع الفكر السياسي الحديث...، مرجع سابق، ص 26.

5 El Ouma, septembre, octobre 1936.

6 أبو القاسم سعد الله: أفكار جاحمة، مرجع سابق، ص 36.

الشعب الجزائري لا يرى مخرجا إلا في تشديد الكفاح داخل منظماته، وأن العمل التنظيمي للشعب داخل الحزب هو أمر سياسي، فالتنظيم الشعبي هو أساس الكفاح الحقيقي الذي يوصل الحزب إلى القضاء على الفوضى التي عمت المكان، كما دعي الشعب الجزائري للانضمام إليه لأجل تنظيمه والعمل سويا لتحقيق الأهداف<sup>(1)</sup>.

كان لاندلاع الحرب العالمية الثانية أثر بليغ على كل المستعمرات على غرار ما يقع في الجزائر وصاحب هذا تصاعد خطر المد النازي من جهة والفاشي من جهة ثانية، دون نسيان الامبريالية الفرنسية الأمر الذي جعل من حزب الشعب أن يتعامل مع الموقف بحذر شديد، يقابله ذكاء متناهي، وأشار إلى أن المهمة الأساسية التي يعمل عليها تتمثل في الكفاح من أجل تحسين الأوضاع المادية والمعنوية للجزائريين وجاء في مذكرات "مصالي الحاج" الذي قال فيها: "حقيقة لقد كنا ضد الفاشية وضد النازية ولكننا كنا قبل كل شيء ضد الاستعمار وضد الامبريالية"<sup>(2)</sup>.

يتضح المبدأ الجديد الذي انتهجه الحزب على لسان قائده، تمثل في عدم الانحياز ورفض الشرق والغرب - خاصة بعد خيئته في حكم اليسار الفرنسي - وفي ضل هذه الأجواء أعلن حزب الشعب: "أنا لا نريد الحرب، وأنه ليس لدينا أي شأن مع أعداء لا نعرفهم، وإن كانوا يسلكون السياسة نفسها التي يسلكها معنا من يدعون أنهم حماتنا... إن الفاشية الإيطالية والنازية الألمانية والامبريالية الفرنسية يسلكون نفس سياسة الهيمنة القائمة على القوة... وغدا سيتحد كل المضطهدين في إفريقيا وآسيا، غدا سيشكل كل الذين لم يتخلوا عن المطالبة بحريتهم، وكل الذين يتألمون في فرنسا وفي مستعمراتها، وسيشكلون جبهة واحدة ضد القوة العمياء وضد الظلم والتحكم، وعندئذ لن يبقى لكم أيها الطغاة إلا أن ترتعدوا، وأنه لن تكون هناك قوة توقف زحفنا"<sup>(3)</sup>.

إذا لم تكن النزعة الوطنية الجزائرية بعد الحرب العالمية الثانية، خطابا إيديولوجيا مفارقا لواقع الجزائر فلم يغيّر حزب الشعب شيئا من مبادئه الثابتة في تركيز مطالبه على النقطة الأساسية في إيديولوجيته، هي أن قضية الشعب الجزائري ليست قضية حقوق اجتماعية، بل هي "قضية وطن"، هذا

1 عبد الله شريط: مع الفكر السياسي الحديث...، مرجع سابق، ص 126.

2 مصالي الحاج: المذكرات...، مصدر سابق، ص 174.

3 عبد الله شريط: مع الفكر السياسي الحديث...، مرجع سابق، ص 127.

وفي وثيقة - الاعتبارات العامة- التي صدرت عن الحزب، أشار مضمونها في الفصل الأخير إلى أن صراع الوطنية الجزائرية مع الاحتلال الفرنسي مكنها في نهاية من أن تؤسس لشرعية المطالبة بوطن جزائري وجاء فيها "إن الوطنية هي المبدأ الجوهرى للكفاح التحرري الجزائري، فقد واجه الجزائريون النظام الاستعماري من أجل الأمة الجزائرية، وفي إطارها سعوا إلى تحرير الجزائر وازدهارها بكل ما تنطوي عليه من جغرافيا وتاريخ واجتماع واقتصاد وثقافة، وبناء عليه، يمكن تعريف الوطنية بأنها حب الوطن"<sup>(1)</sup>.

هذا وأصدر ذات الحزب منشورا سرىا حسب ما أشار إليه الأستاذ "عبد الله شريط" يعلن فيه ويلحاح إلى ضرورة تكاثف الجهود باعتبار أن حياة هذا الوطن حقيقة دقت ناقوس الخطر، بسبب تزايد اعتداءات الاحتلال الفرنسي أكثر من أي وقت مضى، والذي عمل منذ البداية على تحطيم هذا الوطن ماديا ومعنويا، الأمر الذي جعله عاجزا عن التقدم ولو خطوة للأمام من أجل تسلق سلم الحضارة الحديثة هذا الاحتلال الذي عمل منذ البداية على جعل اللغة العربية غريبة في وطنها، وبسبب ممارساته تقهقرت والإسلام اختفى في عقر داره، ويردّف هذا المنشور إلى نقطة مهمة جدا أنه من أجل نيل أهدافهم لابد من توفر العديد من الشروط، وعليه لا يتم ذلك إلا في إطار جنسية جزائرية ودولة وطنية قائمة على أساس سيادة الشعب الجزائري<sup>(2)</sup>.

من خلال ما تم عرضه في المنشورين السابقين، يظهر مدى وعي هذا التيار الملازم للمضمون السلبي والإيجابي لظاهرة الوطنية، بمعنى أن رفض الاحتلال يقابله وعي بقبول الوجه الإنساني للمدنية الأوروبية الحديثة القائمة على سياسة إقامة السلام والأمن والمحبة بين الأمم والشعوب، فالفكر السياسي الحديث كما يعبر عنه في السياسة الدولية، يتطلب أولا الوعي بحقيقة قيام الأمة فعلا، ومن هنا كشف هذا التيار على أنه يعرف الوطنية التحريرية - المفهوم الايجابي - والوطنية الاضطهادية القمعية - المفهوم السلبي<sup>(3)</sup>.

1 نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، الدوحة، قطر، بيروت، لبنان، 2015، ص 266.

2 عبد الله شريط: مع الفكر السياسي الحديث... مرجع سابق، ص 127.

3 نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة... مرجع سابق، ص 267.

هذا وكأكد على ما تم استعراضه سلفا، نجد أنه وبعد تحول حزب الشعب إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية قد شارك في الانتخابات البلدية، ودائما عمل على المبدأ نفسه وأعلن أن الحزب يشارك في هذه الانتخابات ليؤكد مرة أخرى فكرة الوطنية الجزائرية ذات السيادة، ليفند في المقابل ومن جديد الأكدوبة القائلة بأن الجزائر فرنسية، وليحارب الاضطهاد العبودية التي لطلما فرضتها السلطات الفرنسية<sup>(1)</sup>.

بالرغم دخول هذا التيار تحت اسم جديد-حركة انتصار الحريات الديمقراطية- لم يغير شيئا بالمقارنة مع ما كان عليه حزب الشعب، لا من حيث المبادئ والأهداف ولا من حيث الفكر الإيديولوجي، لكن التغيير حصل في طرائق العمل التي تشكل جزءا من تطور الفكر الإيديولوجي لهذا التيار تحت مسماه الجديد، فيرى الأستاذ "قداش محفوظ" أن-حركة انتصار الحريات الديمقراطية- أصبح في ظرف ثلاث سنوات (1947م-1950م) منظمة أكثر فعالية ودقة، إذ تمست على طرائق من العمل ابتعدت به عن الارتجال، وأصبح جهازا سياسيا في غاية الأهمية، فوضع الأهداف بدقة كما وضع طرائق تحقيق الأهداف وأساليبها بأنواع من العمل التي يرونها تأتي بنتائجها كلما تنوعت، في مختلف الميادين بما في ذلك الميدان القانوني أو السري، على أن يواجه الميادين الأخرى التي أصبح لا بد من مواجهتها<sup>(2)</sup>.

في خضم هذا وأثناء هذه الفترة من النشاط، والذي أصبح به الحزب يشكل خطرا سياسيا كبيرا على مستقبل فرنسا في الجزائر -أكثر من بقية الأحزاب والحركات الأخرى إن لم نبالغ- ظهرت مشكلة إيديولوجية عطلت كثيرا أعمال الحزب وخططه إزاء الاحتلال الفرنسي، أطلق عليها الأزمة البربرية- سنعالج هذا الموضوع في المباحث اللاحقة-، إذ يرى هذا الاتجاه إن السبب في إثارة هذه المشكلة هو الضعف الإيديولوجي للحزب، وعدم طرحه طرحا واضحا، بسبب بعض المشاكل التي كان يعاني منها، وهنا يرى الأستاذ "عبد الله شريط" أن هذه الأزمة لم تظهر بسبب ضعف كيان الحزب، ولكنها كانت

1 عبد الله شريط: مع الفكر السياسي الحديث...، مرجع سابق، ص128.

2 محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق، ص 1149 وما بعدها.

بسبب نموه ونضجه، ثم إن أزمة الحزب مهما كانت لا تعالج بفصل جزء من الوطن عن بقية أجزائه الأخرى في ذروة الكفاح ضد الاحتلال<sup>(1)</sup>.

تعددت أسباب ظهور هذه الأزمة بتعدد الروايات التي عاجلت هذا الموضوع، فيذكر الأستاذ "محموظ قداش" أنه من أسبابها هو أن الفئة التي تبنت ذلك الطرح اكتشفوا أو بالأحرى توهموا أنهم اكتشفوا لأول مرة الماركسية العلمية التي ظنوا عن خطأ أن موقف الحزب الشيوعي الجزائري مطابق لها، ولذلك راح البعض من هؤلاء الشباب يهاجمون هذا التيار الذي احتضنهم ويؤاخذونه على اتجاهه العربي والإسلامي ويثيرون في المقابل وبدلاً من ذلك الأصل البربري للسكان الجزائريين<sup>(2)</sup>.

إن الوعي بالمشكل الأساسي الذي كانت تعيشه الجزائر، والنظرة الشاملة له، هو ما جعل من حركة انتصار الحريات الديمقراطية تنصرف إلى إتباع أساليب عمل محدّدة، فقد عملت على قيادة وتكوين المنظمات الجماهيرية أو المنظمات المؤيدة، تضم العمال والشباب والنساء، فقد عملت على إنشاء بعضها وأخرى أنشأتها عن طريق الاحتراق، متبعا في ذلك سياسة حزب الشعب خاصة في هذا المجال، لكن مع نجاح أكبر في الحصول على العديد من الجمعيات الخاصة لمراقبتها المباشرة فنجد من بينها: المنظمات النقابية والطلابية والحركة الكشفية والمنظمات والفرق الرياضية والمؤسسات الثقافية الشعبية، والجمعيات النسائية، واستطاعت أن تجند كل هذه المنظمات حول مبادئ محدّدة، وتكوينها تكوين إيديولوجيا متينا وهذا من أجل القضاء على السيطرة الامبريالية واستعادة سيادة الشعب الجزائري، وتكوين دولة وطنية مع كل مستلزماتها من السيادة في السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، والتطبيق بكل دقة لمبادئ الديمقراطية المعبر عنها بالشعارات الآتية، الكلمة للشعب والسلطة لمجلس تأسيسي ذي سيادة عن طريق الاقتراع العام المباشر من قبل هيئة ناخبة وحيدة دون تمييز عرقي أو ديني<sup>(3)</sup>.

انطلاقاً من ما تم استعراضه يتضح لنا أنه لا يوجد أي غموض، فحركة انتصار حريات الديمقراطية تناضل من أجل دولة جزائرية، ذات بنية ديمقراطية تضم كل الجزائريين أي أن القضية الجزائرية

1 عبد الله شريط: مع الفكر السياسي الحديث...، مرجع سابق، ص 128.

2 محموظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص 1156.

3 المرجع نفسه: ص 1158-1165.



ليست قضية إصلاح وحسب، بل هي قبل كل شيء قضية سيادة، وهذه الديمقراطية حسب الحركة منذ تأسيسها لا يوجد فيها أي صراع للطبقات، لأن الصراع من أجل السيادة الوطنية يسبق في الأهمية صراع الطبقات<sup>(1)</sup>.

لئن كان تعريف المصطلحات السياسية والوعي بحقائقها ومعانيها المختلفة يعبر عن صلب الخلفية الفكرية، الإيديولوجية والتاريخية التي تساعد في إضفاء الشرعية على حق طلب الاستقلال وإرساء مؤسسات الدولة الحديثة، فالدولة ليست هياكل وهيئات بقدر ما هي خلفيات اجتماعية وتاريخية وسياسية، يجب إدراج جميعها في الكل الذي يعبر عن الوصول إلى بناء الدولة وشرعية استحقاقها، خاصة من حزب وطني استطاع أن يستقطب ضمير المجتمع الجزائري في جزء كبير من تطلعاته وحقائقه، فقد صار الحزب مع مطلع الخمسينيات من القرن الماضي كتلة تاريخية-وقوف جميع الطبقات والفئات الاجتماعية والسياسية والمهنية ليشكلوا كتلة واحدة- تماهت معه جماهير واسعة من الشعب، لتحقيق الأهداف التي رسمها في قوانينه التأسيسية، أو في بياناته وتوصياته ومطالبه<sup>(2)</sup>.

هذا وحدد هذا التيار وبكثير من الوضوح موقفه من قضية الدين، وقضية الجنس البشري أو القضية العنصرية، فيرى أن هذه الأخيرة جائحة إنسانية، باعتبارها تقوم على احتقار الإنسان الذي يختلف عنه في الدم، أو لون البشرة، والوطنية الجزائرية ليست قائمة على هذا الأساس العرقي، ذلك لأن النضال التحرري في الجزائر ليس موجها لعرق آخر فيها، إنما هو كفاح المضطهدين مهما كان عرقهم، ضد الذين يضطهدونهم مهما كانت جنسيتهم، كذلك الوطنية الجزائرية ليست حربا صليبية مضادة، وإنما كانت تناضل من أجل تحرر الدين الإسلامي من سيطرة الاحتلال، وهذا لا يعني أن هذه الحركة جمعية دينية كذلك يجب أن لا نخلط بين الوطنية والدين، كما يجب أن نفرق بين الضمير الوطني والشعور الديني وصفات الإنسان الجزائري لا تتفرع عن الدين ولا على الجنس أو العرق<sup>(3)</sup>.

إن هذا المجهود الإيديولوجي الذي بذله هذا التيار، كان لابد فيه من شجاعة نضالية أيضا، فهو عبارة عن معركة مفاهيم تناضل فيها هذه الحركة عن أن الجزائر أمة متميزة عن فرنسا، وأمة قائمة الذات

1 عبد الله شريط: مع الفكر السياسي الحديث...، مرجع سابق، ص 130.

2 نور الدين ثني: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، ص ص 270 271.

3 عبد الله شريط: مع الفكر السياسي الحديث...، مرجع سابق، ص 131.

بعنصرها البشري، وقيمها الأخلاقية وانتمائها الديني، وهذا الأخير بالخصوص ألحت عليه في هذه المعركة الإيديولوجية إلحاحا خاصا، وبينت أن الإسلام بالرغم من أنه يختلف عن الوطنية، إلا انه كان عاملا حاسما في تمتين هذا التيار، لأنه كان أقوى محرك لتجنيد الجماهير الشعبية، وأن مفهوم الجهاد نفسه في سبيل الوطن متحد مع الجهاد من أجل الإسلام كمنظومة قيمية وتعاليم ومعاملات اجتماعية هي ما ميزت الجزائريين عبر التاريخ، يقول مصالي الحاج في هذا الصدد: " إن حزينا في الجزائر كما في فرنسا هو الحزب الوحيد من نوعه، إنه وطني ويقوده جزائريون عرب ومسلمون، وهو يرى أن يأخذ في الاعتبار ماضيها التاريخي وحضارتها التي تستنبط مادتها من المبادئ الإسلامية<sup>(1)</sup>"، ولهذا فقد كان الدين يغذي الشعور بالوطن والأرض والمجتمع ويعبر عن عادات وتقاليد وأعراف وشريعة وعبارات ومعاملات، وعليه نجد استناد هذا التيار على فكرة الدين والحضارة الإسلامية، الذي اعتمد عليها كوسيلة لاستعادة مقومات الدولة ومؤسساتها الحديثة<sup>(2)</sup>.

وفيما يخص مسألة الديمقراطية في المجهود الإيديولوجي الذي قدم بشأنه هذا التيار توضيحا، فقد جاء في مقرر السياسة العامة للمؤتمر الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية الذي عقد في أبريل سنة 1953: " يعمل الحزب على المستوى الإيديولوجي من أجل إقامة الدولة الجزائرية المستقلة المقبلة، والتي تقوم على الديمقراطية"<sup>(3)</sup> فالحركة تعتبر المبدأ الأول الذي يشكل جوهرها هو مبدأ "الوطنية الجزائرية" نفسها بما فيها من مقومات خاصة، والمبدأ الثاني فيها هو مبدأ "الديمقراطية"، وهذه الأخيرة في ضوء المبدأ الأول هي "حكم الشعب بواسطة الشعب من أجل الشعب" وتؤكد على أن الكفاح من أجل الحرية وحب الديمقراطية كانا دائما طابعين ملازمين لتاريخ الجزائر، هذا وتعلن الحركة أن الديمقراطية المطروحة كمبدأ ثابت تشكل اليوم كفاحا ضد الاحتلال، كما تشكل هذا العمل من أجل رفع مستوى الأمة في الميدان السياسي، وتحديد الديمقراطية هو مشاركة الشعب كله في حكومة البلاد، وهي التسيير العام والمحلي لشؤونه ومراقبته المستمرة لاحترام الحريات الأساسية، أما على الصعيد الاجتماعي، فإن

1 مصالي الحاج: المذكرات...، مصدر سابق، ص ص 195 196.

2 نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، ص 273.

3 المرجع نفسه، ص 288.

الديمقراطية تهدف إلى إرساء نظام عادل، وإلى تشجيع رقي شخصية الشعب، وإظهار العبقرية الشعبية وتطوير جميع المهارات<sup>(1)</sup>.

أما عن آخر مبدأ في إيديولوجية التيار الاستقلالي، هو مبدأ الانتماءات الخارجية التي يهدف إليها فالحيط الأول الذي يحتضن الوطنية الجزائرية هو "تضامن المغرب العربي"<sup>2</sup> وتطبيق المبدأ علنيا، أي لا يقبل أي حزب وطني من الأقطار الثلاثة أن يتفاوض مع فرنسا على إنفراد لتحديد مستقبل المغرب العربي، كما يعني أيضا تحرير المغرب العربي من السيطرة الأجنبية، وانسحاب كل قوات الاحتلال وتحقيق الاستقلال الكامل والتمتع بالسيادة الوطنية الكاملة، فقد حدّد رفقة أحزاب الاستقلال لكل من تونس والمغرب عدة مبادئ تمثلت في:

\*المغرب العربي تكون بالإسلام وعاش بالإسلام وسيطور في المستقبل بفضل الإسلام.

\*المغرب العربي يشكل جزءا من العالم العربي، ويتعاون ضمن الجامعة العربية، على قدم المساواة شأن بقيت البلدان العربية الأخرى.

\*الاستقلال المأمول هو الاستقلال الشامل للبلدان الثلاثة: تونس، الجزائر والمغرب.

\*لا تتفاوض جزئي مع الاحتلال في ظل النظام الحالي، ولا وجود لهدف آخر يجب تحقيقه قبل الاستقلال<sup>(3)</sup>.

هذه المبادئ التي عملت عليها الحركة في إطار المغرب العربي، أما ما وراء المغرب فتتفرغ سياسة الحضور في الشرق والغرب معا<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق، ص 1168.

<sup>2</sup> أنظر الملحق رقم (6) عبارة عن وثيقة أرشيفية توضح إرسال الحزب الدستوري الجديد لمساعدات مالية لحزب الشعب الجزائري في إطار عملية التضامن بين الطرفين، وهنا يظهر بجلاء المبدأ الذي عمل لأجله الاتجاه الاستقلالي.

<sup>3</sup> عبد الله الشريط: مع الفكر السياسي الحديث...، مرجع سابق، ص 132.

<sup>4</sup> شاركت حركة انتصار الحريات الديمقراطية في العديد من المؤتمرات وكان أبرزها المؤتمر المناهض للامبريالية لشعوب آسيا وإفريقيا المنعقد في بروكسل سنة 1948، والذي اعتبر منبرا يسمح بتعريف تطلعات الشعب الجزائري للعالم، كما شاركت في مؤتمر الصلح سنة 1949 وصرحت بوجود "أمة جزائرية"، هذا وشارك طلبة حزب الشعب الجزائري وقياديو الكشافة الإسلامية الجزائرية في المهرجان العالمي للشبيبة بمدينة براغ سنة 1947 وهناك عرضوا وجهة نظر حزب الشعب حول تاريخ الجزائر والقضية الوطنية، وشاركوا أيضا سنة 1949 في مهرجان بودابست وعرضوا من جديد أطروحة حزب الشعب الجزائري ورفعوا العلم الوطني، كما عمدت الحركة إلى مجالبة نشاطها ومواقفها وفق ما تقتضيه الشرعية الدولية، وتوصيات الأمم المتحدة التي توجه مصالي الحاج إليها سنة 1948 بنداء ضمنه مجموعة من الحقائق والاعتبارات التي تستحق بموجبها الجزائر دولتها في ظل الشرعية الدولية، كما أظهر هذا النداء إن ما يجري في الجزائر هو احتلال

### المبحث الثالث: الهوية في خطاب الاتجاه الاستقلالي.

وجب قبل التطرق إلى موضوعنا الوقوف عند بعض المفاهيم والمصطلحات التي تؤسس مبحثنا فإذا تحدثنا عن لفظة "هوية" نجدتها مختلفة في مجالات الاستعمال باعتبار أن مفهومها يختلف من علم لآخر كالفلسفة وعلم النفس والأنثروبولوجيا وغيرها، وهذا ما يصعب تحديد مفهوم دقيق للهوية، لكن وبالرغم من ذلك سوف نقوم باستعراض بعض المفاهيم التي ارتأينا أنها تخدم موضوعنا الذي نحن بصدد معالجته.

فالهوية في اللغة مشتقة من فعل هوى أي: سقط من مكان عال وتعني أيضا قعر البئر العميقة<sup>(1)</sup>، وفي تعريف آخر تعني حقيقة الشيء من حيث تميّزه وتسمى أيا وحدة الذات<sup>(2)</sup>، إن الهوية باللغة الفرنسية: "identité"، وباللغة الإنجليزية: "identity"، وهي لفظة مشتقة من الأصل اللاتيني "idem" والكلمة اللاتينية "identitas" وتعني التماثل أو الشيء نفسه، وهي عكس الاختلاف والتباين<sup>(3)</sup>.

هوية الشيء ثوابته: أي ما تميّز به الإنسان عن غيره، ولا تتجلى الهوية عن مكانتها لغيرها، وإنما هي منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية، فالهوية هي الخصائص الموحدة التي تجعل من الإنسان أو من الأمة أو من بلد هو أو هي ولا شيء غيره، أما هوية الفرد أو الشخص فهي شعوره بالذاتية وأنه ثابت في كل الأوقات، وبالتالي إدراك الفرد نفسيا لذاته، ثم تفرعت إلى هوية اجتماعية وهوية ثقافية التي ترمز إلى توحيد الذات مع الوضع الاجتماعي، وعليه يصبح هذا المصطلح

= بكل دلالاته ومعانيه ومن ثم يقع تحت طائلة الأوضاع التي تنبذها الأمم المتحدة، وتعالج في إطار تصفية الاستعمار، ما دام الأمر يستند إلى شرعية تقرّ بها هيئة أممية، وفيما يخص القضية الفلسطينية رافعت الحركة من أجل "دولة عربية حرة و مستقلة" وأكدت على الطابع السياسي لكفاح الفلسطينيين، واتخذت موقفا ضد قرار الأمم المتحدة وبهذا النشاط وغيره نجد أن التيار قد ساهم في السياسة الخارجية، وهذا ما ساعده في البروز أكثر خارج حدود الجزائر، كما عزّز شعبيته داخل الوطن، فقد كانت تعتبره الجماهير التنظيم الجزائري الوحيد المدافع عن الاستقلال الكامل في المحافل الدولية. ينظر. محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق، ص ص 1172 - 1179.

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، ج 8، عامر أحمد حيدر، دار الكتاب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2005، ص 793

<sup>2</sup> مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 2000، ص 208.

<sup>3</sup> Fathi Triki : la stratégie de l'identité, essai, arcantères, Paris, France, 1998, p 14.

جامعا بين انتماءات متكاملة تمنح الفرد أو أفراد المجتمع مشاعر الأمن والاستقرار، وهذا يجلنا إلى فهم نوعين من الهوية (هوية فردية شخصية وهوية وطنية قومية)<sup>(1)</sup>.

فالهوية الشخصية حسب علماء علم التربية وعلم النفس، هي مجموعة الخصائص الجسمية والخلقية والنفسية والوجدانية والمزاجية التي يتصف بها الإنسان على المستوى الفردي وكذلك على المستوى الاجتماعي، وتميّزه عن غيره من الناس، وبهذا فإن الشخصية هي جميع ما لدى الإنسان من صفات جسمية وصفات عقلية وصفات خلقية وصفات نفسية ومزاجية، سواء كانت مورثة عن الآباء والأجداد أو مكتسبة من البيئة المحلية<sup>(2)</sup>.

أما الهوية الوطنية أو القومية فتعني مجموعة الخصائص التي تلازم شعبا ما، والتي ينفرد بها ويتميز بها عن سائر الشعوب الأخرى، فهي تتعلق بإبراز جوانب روحية وفكرية وسيكولوجية جماعية يتميز بها شعب من الشعوب، ترسخ له الوجود على قطعة في الأرض عرف بها وعرفت به<sup>(3)</sup>.

وعليه ومما تم استعراضه يمكن أن نقول: بأن الهوية هي مفهوم شامل لكل ما هو نفسي واجتماعي وحضاري ونضالي، إذن هي مجموع السمات المرتبطة بعمق المجال التاريخي والتي تميز شعبا من الشعوب أو أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات، وعليه فهي تمييزية وظيفتها الأساسية تحقيق التمايز عن الآخر، وللهوية علامات منها العناصر المادية والفزيائية، أي القدرات والمؤهلات المادية، كما لها عناصر أخرى هي الأصول التاريخية، أما عناصرها الثقافية والنفسية فهي العقيدة والدين واللغة وهي رموز الثقافة والتعبير، أما سيماتها النفسية فهي الأسس الاجتماعية التي تتكون من الاسم والسن والجنس، إذن فهي تلك السمات أو الخصوصيات الثقافية والدينية واللغوية والقومية التي تميز جماعة بشرية عن أخرى، دون أن تكون ساكنة ولا فوق قوانين التاريخ من التبدل والتجدد<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> منى السماتي: الهوية في فكر محمد لبعابي من خلال جريدة الصواب من سنة 1920 إلى سنة 1938، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف محمد لطفى الشابي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مدرسة الدكتوراه البنيات والنظم والنماذج والممارسات في الآداب والعلوم، جامعة تونس، مارس 2011، ص 45.

<sup>2</sup> رابع تركي: "التربية والشخصية الجزائرية"، مجلة الأصالة، ع 4، أكتوبر 1971، ص 28.

<sup>3</sup> سليمان عشراقي: الشخصية الجزائرية، د م ج، د ط، بن عكنون، الجزائر، 2002، ص 71.

<sup>4</sup> البشير عمارة: الاستبداد الوطن الهوية في المجال والهوية في بلاد المغرب، أعمال الندوة الدولية الرابعة بتونس، 2004، منشورات كلية الآداب والعلوم الإسبانية، صفاقس، تونس، 2007، ص ص 197-204. نقلا عن منى السماتي، المرجع السابق، ص 46.

إذا عالجنا الهوية من حيث الدلالة التاريخية فنجدها ظاهرة إنسانية ملازمة للإنسان - فردا كان أم جماعة- تكون ضامرة في حالة سكون في الظروف العادية والطبيعية الخالية من التوترات، غير أنها تخرج من طور الركود بالقوة إلى طور الوجود بالفعل عندما يستفزها الآخر، فالأنا أو الجماعة ترفض الانصهار أو التجانس فيه، وحتى تبقى الأنا متميزة فإنها تعود في الظروف الصعبة إلى ذاتها تسكنه جوهرها وتستحضر مخزونها، وتحلل واقعها وتستشرف مستقبلها، واعتمادا على ذلك، تستمد خصائصها التي تتميز بها عن الآخر<sup>(1)</sup>.

وعليه فإن هوية الأمة كلما استشعرت الأخطار تتشبهت بكل عناصر تكوينها، تكون مكوناتها طاردة لكل العناصر الغريبة عنها، ففي دراسة جاء بها الدكتور "الزواوي بغورة" الذي ربط الهوية بالعنف في التجربة التاريخية للجزائر، فحسبه سواء تعلق الأمر بمرحلة الاحتلال الفرنسي أو الفترة التي تلتها، فإن العنف دائما ما كان يعبر ولا يزال عن الهوية، الذي عمل على إنشائها وتغذيتها وأعطى لها صورة واضحة، فبفعل العنف الفرنسي وتجاوزاته على الجزائر، تشبث الجزائري بعناد غير مسبوق - كما وصف - بهويته، ودافع عنها بكل الوسائل التي يملك<sup>(2)</sup>.

وبالتالي فإذا نظرنا إلى الهوية من زاوية تاريخية، فيمكن أن نعبر عنها بوعي الجماعة بتاريخها فمن خلاله تعرف ذاتها، وتكسب إحساسا داخليا بالوحدة والانسجام والانتماء، وما تجدر الإشارة إليه أنه لا تكون هناك هوية لجماعة ما لم توجد مقومات مشتركة تجمعهم أبرزها: الثقافة، اللغة، الدين والتاريخ والانتماء والولاء للوطن<sup>(3)</sup>.

إن المتأمل لهذه المقومات<sup>(4)</sup> حتما سوف يلاحظ بأنها كانت عبر السنين صمام أمان للحفاظ على العديد من هويات المجتمعات أمام كل التحديات والمخاطر التي شهدتها في فترات سابقة، وخصوصا ما تعلق بالهوية العربية الإسلامية التي حاول الاحتلال الصليبي طمسها والقضاء على

<sup>1</sup> سالم حدّاد: صراع الهوية بين الأنا والآخر، دار الأطلس للنشر، ط1، تونس، 2000، ص 8.

<sup>2</sup> الزواوي بغورة: "الهوية والعنف في الخطاب الثقافي الجزائري"، مجلة العربي، ع599، الكويت، أكتوبر 2008، ص 29.

<sup>3</sup> فتيحة كركوش: "إشكالية بناء الهوية النفسية الاجتماعية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع16، جامعة ورقلة، الجزائر، 2014، ص12.

<sup>4</sup> عدّد عبد الله شريط تلك المقومات إلى: الوطنية والحدود والعرق واللغة والدين والمصالح السياسية والاقتصادية. عبد الله شريط: "القومية العربية بين الفكر والواقع"، جريدة الصباح، ع128، 29 جوان 1951.



مقوماتها، إلا أن تماسكها وتشبثها بمبادئ هويتها حافظ على بقائها واستمرارها، والأكثر من هذا عمل على تغذيتها وإذكائها - كما سبق لنا وقلنا- ، نقلا عن الأستاذ "شافو رضوان" أشار الدكتور نصار الدسوقي إلى ذلك فكتب في إحدى مقالاته: "الأمم لا تحيا بدون هوية، إذ الهوية بالنسبة للأمة بمثابة البصمة التي تميزها عن غيرها، وهي أيضا الثوابت التي تتجدد ولكنها لا تتغير، ولا يمكن لأمة تريد لنفسها البقاء أن تتخلى على هويتها، فإذا حدث ذلك معناه: أن الأمة فقدت استقلالها وتميزها وأصبحت بدون محتوى فكري أو رصيد حضاري، ومن ثم تفكك أواصر الولاء بين أفرادها وتلاشى شبكة العلاقات الاجتماعية فيها، والنتيجة الحتمية هي السقوط الحضاري، فتتداعى عليها الأمم فتغزوها فكريا وتطمس معالم وجودها وتمحو آثارها من ذاكرة التاريخ"<sup>(1)</sup>.

### 1- ثنائية العروبة والإسلام في خطاب الاتجاه الاستقلالي:

إن الهوية بوصفها ثقافة الجماعة، فالخطابات التي تقوم على أسس فكرية هي تصور خاص للهوية، سواء كانت قطرية، قومية أو إسلامية، وبذلك تطرح إشكاليات تتجلى مطالب خاصة منها السياسية أو الثقافية تجاه موضوع الهوية، تمثل الهوية مصدراً في الفكر العربي الإسلامي-على غرار الجزائر- جاء متأخراً نتيجة الوضع الاستعماري، حيث أعاد إلى الساحة مسألة الهوية، وأصبحت رهان يلح على الجميع<sup>(2)</sup>.

ما تجدر الإشارة أن الهوية الوطنية لا تبرز إلا في حالات الصراع، حينما ينهض داخل الشعوب الشعور بهذه الوطنية فتحارب الآخر-المختلف عنها في اللغة والدين والتاريخ- الذي أتى راغباً في سلخ هذه الشعوب عن خصوصيتها، وبذلك يمثل التفكير في مواجهة الخطر الخارجي مظهرًا من مظاهر الوطنية<sup>(3)</sup>، وهذا ما حدث في الجزائر، فقد كان لديهم ذلك، وازداد وعيهم بالذاتية الوطنية طيلة النصف الأول من القرن العشرين، عندما امتزجت الأوضاع الناجمة عن النظام الاستعماري وسياساته

<sup>1</sup> ناصر الدسوقي رمضان: الهوية الإسلامية والمؤامرة عليها، 2009. نقلا عن شافو رضوان: "إشكالية مفهوم الهوية الجزائرية عند الجزائريين"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع2، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2011، ص ص 66 67.

<sup>2</sup> عبد العزيز جناوي: جدل الهوية في الصحف الجزائرية (دراسة مقارنة بين الصحف الصادرة بالعربية والصادرة بالفرنسية)، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، إشراف د جمال لعبيدي، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2011/2012، ص 55.

<sup>3</sup> منى السماتي، المرجع السابق، ص 48.

المختلفة في كل الميادين، بظروف سابقة للاحتلال وهي الشعور بوحدة التراب والدين والثقافة واللغة والتاريخ.

لقد تزامنت ولادة الوعي بالذاتية مع صدمتي الاحتلال والحداثة، مما خلق حالة من البلبلة هزت القيم و العلاقات في المجتمعات المستعمرة، وفي هذا الإطار يتنزل الخطاب للتيار الاستقلالي المدافع عن الهوية وعن الشخصية الجزائرية في مواجهة الخطاب الاستعماري الرامي إلى دمج الجزائر بكل مميزاتها في الإمبراطورية الفرنسية، يقول في هذا الشأن هوارد ميشال Michael Howard : " أن أي أمة بالمعنى الحقيقي للفظ لم تنشأ دون حرب... ولا توجد أي طائفة شاعرة-من الشعور- بهويتها كعامل جديد ومستقل على الساحة العالمية دون وجود نزاع أو تهديد"<sup>(1)</sup>.

وعليه فقد كان الاحتلال الفرنسي وممارساته التي كانت ترمي إلى دمج الجزائر وطمس معالمها، سببا المباشر في ظهور الخطاب الوطني المدافع عن الهوية الجزائرية، فكانت إستراتيجية التيار تتركز على الإسلام، لأنه المحرك الكبير للدفاع عن الشخصية والكرامة والارتباط مع التاريخ، وكان أول دافع ومكون للوحدة الجزائرية<sup>(2)</sup>، وهذا ما جعل بن يامين سطورا يربط بين تحطم بني المجتمع الجزائري وبروز التعبيرات الدينية في خطاب مصالي الحاج فيقول: " إن الفوضى التي أحدثها الاستعمار في نظام المجتمع الجزائري و التي أدت إلى تمزيق النسيج العقدي لهم، كما وصلت إلى حد تزييف وعيهم بذاتهم كانت السبب المباشر في ظهور التعبيرات الدينية"<sup>(3)</sup>.

وفي سياق ذي صلة قال محمد حربي: " لقد أدى قرن من الهيمنة الاستعمارية إلى اضمحلال البعد الديني للهوية الجزائرية، لكن دون أن تؤدي إلى محوها"<sup>(4)</sup>، فجراء هذا الوضع أدرك الزعيم مصالي الحاج خطورة الوضع الاستعماري، فنجده يركز في نضاله السياسي على مواجهة الاحتلال الفرنسي الذي عمل كل ما كان في وسعه لأجل طمس معالم الشخصية العربية الإسلامية، فقد ظل دائما مرتبطا

<sup>1</sup> Michael Howard: "War and the nationalist", Deadalus, N108, Automne, 1978.

<sup>2</sup> محمد قناش ومحفوظ قداش: حزب الشعب الجزائري (1937-1939)، د م ج، الجزائر، 2009، 69.

<sup>3</sup> Benjamine Stora : OP-CIT, p 111.

<sup>4</sup> محمد حربي: "الأسس الثقافية الأمة الجزائرية"، تر: بلقاسم بن زنين، مجلة إنسانيات، ع 47 48، جانفي/جوان 2010، ص 12.

بالانتماء العربي الإسلامي من جهة، و متمسكًا بقضايا أمته من ناحية أخرى، لذلك كانت مواقفه صلبة وثابتة تحطمت - إن لم نبالغ- عليها كل مخططات فرنسا.

يقوم النضال السياسي عند مصالي الحاج على تقديس ثنائية العروبة والإسلام، وكذا على الخصائص العنصرية والثقافية للجزائر، خاصة بعد المغالطات التي لطالما روجت لها فرنسا، ومحاولتها تزييف الحقائق والتاريخ، والتي كان من بينها الترويج لفكرة الجزائر لا ماض لها، وبررت سبب احتلالها للجزائر بالمعانات التي كانت تتخبط فيها المنطقة ومعاناتها من الفراغ السياسي والحضاري، فاعتبر الزعيم أن الإسلام أساس الشخصية والعامل الوحيد الذي بإمكانه توحيد الجزائريين، ويصون هويتهم من كل خطر خارجي، فقد كان هذا المبدأ الذي ركز عليه مصالي نشاطه من بين المبادئ التي نشأ عليها، فكما عرفنا سابقا بأنه ابن الطريقة الدرقاوية التي هي في حد ذاتها فرعًا من الشاذلية، والتي تربى في كنفها، وبذلك أدرك البعد الحضاري منذ احتكاكه بهذه الزاوية كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية والسياسية والدينية، وكمكان للعقيدة والتعليم فتربى في كنفها وعلى مبادئها وقيمها المتعلقة كثيرًا بالإسلام، يقول في هذا الشأن: " ...أنا مسلم أؤدي كل فروض الدين، أصلي صلواتي الخمس بانتظام، أقوم بكل واجباتي الدينية من صوم رمضان وتجنب المنكرات والفواحش<sup>(1)</sup> ."

وعليه اعتبر أنه من الواجب تحرير الإنسان الجزائري من التبعية لفرنسا خاصة في الميدان الثقافي والسياسي، ومن ثم تحقيق العودة إلى الذات الجزائرية، باعتبار أن: "الدين هو السبيل الوحيد الذي من خلاله تصان وتحفظ الهوية الجزائرية كما يمكن عن طريقه البقاء على اتصال بالثقافة الجزائرية<sup>(2)</sup>" وانطلاقًا من هنا يمكن لنا أن نؤكد من خلال هذه التصريحات أنها كانت بمثابة إعلان صريح للوقوف في وجه فرنسا التي كانت تريد خلق هوية ثقافية جديدة في إطار ما يسمى بالإدماج هذا من جهة، ومن ناحية ثانية كانت ردا صاعقا على جماعة النخبة الجزائرية المفرنسة وفي مقدمتهم الصالح بن جلول والمطالبين بالمواطنة الفرنسية والتخلي على جنسيتهم الجزائرية، وأحوالهم الشخصية وهنا كان الاختلاف مع أصحاب الاتجاه الاستقلالي الذين كانوا يسعون لاستعادة الجنسية الجزائرية<sup>3</sup>، في هذا الوصف ما

<sup>1</sup> Réflexions: Massali hadj (1898-1998), parcour et témoignages, Casbah, Alger, 2006, p101.

<sup>2</sup> Ibid, p80.

<sup>3</sup> El Ouma: n 36, decembre 1935 .

يساعدنا على تحديد موقع حركة مصالي الحاج، فأيديولوجية حزب الشعب وريث حزب نجم شمال إفريقيا تبلورت أساساً من خلال نفي الأفكار الاندماجية للنخبة المتخرجة من المدارس الفرنسية<sup>(1)</sup>.

وفي السياق ذاته، وما يجدر بنا ذكره في هذا الصدد والمتعلق بالإسلام والنزعة المصالية، الدراسة التي قدمها المؤرخ الفرنسي "جاك سيمون Jaques simon" الذي يرى أن التيار الاستقلالي ممثلاً بحزب الشعب استطاع أن يزاحم جمعية العلماء كذلك في الكثير من مواقفها، وكأن مصالي وحزبه صار فعلاً قوة اجتماعية ودينية، ويرى ذات المؤرخ بأن الإسلام الذي تبنته النزعة الوطنية المصالية هو الإسلام الطريقي القائم على نظام الزاوية ورموزها وطقوسها. يقول في هذا الشأن: " أدى تجذر حزب الشعب الجزائري في المدن والأرياف إلى مزاحمة حركة العلماء والاستيلاء على قواها الجاذبة السابقة"<sup>(2)</sup>.

نقلًا عن الأستاذ الطاهر العمري يذكر "عمار نارون" بأن مصالي الحاج كان يمارس تأثيره على العمال في فرنسا مستعملاً في ذلك كل الوسائل بما فيها عنصر الدين، إذ كان يمجّد الإسلام أمام مستمعيه الذين كان أغلبهم من الأميين - كما وصف - هذا وقد أفادته كثيراً ثقافته العمالية التي استقاها من تعاليم السياسي الماركسي لنين، فكان يحرص على أن يستعمل لصالحه جميع القوى المحافظة بما فيها الطرقية<sup>(3)</sup>.

وعليه فقد استمد مصالي أفكاره الاجتماعية من الإسلام، حتى أن سوء العلاقة التي حدثت بين النجم والحزب الشيوعي في بداية نضال الحزب مردها إلى احتقارهم الإسلام والجزائر خاصة، يقول الأستاذ نور الدين ثنيو: " إن الوعي بحقيقة الإسلام كمنظومة قيمية وتعاليم ومعاملات اجتماعية ميزت الجزائريين عبر التاريخ، هي التي صرفت مصالي الحاج عن الحزب الشيوعي الفرنسي فيما بعد لينشئ تنظيمًا مستقلاً جديداً، نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب، ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، فمع كل تنظيم جديد، كان ثمة تأكيد جديد لحقائق المجتمع والأمة، وابتعاد النزعة الوطنية عن اليسار الفرنسي"<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> الطاهر عمري، المرجع السابق، ص 448.

<sup>2</sup> Jaques simon : le PPA, le parti de peuple algérien 1937-1947, publié avec le concours de FASILD, l'harmattan, 2005, p52.

<sup>3</sup> الطاهر عمري، المرجع السابق، ص 448.

<sup>4</sup> نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، المرجع السابق، ص 275.

إن المرجعية التي اعتمدها مصالي الحاج تنحصر بين العروبة والإسلام/ الشعبوية، لذلك فقد ركز كثيراً على البعدين العربي الإسلامي، وغالبًا ما كان يؤكد على ذلك من خلال تصريحاته التي كان يدلي بها في مرات عدّة على أن تاريخ الجزائر يعود إلى الفتح الإسلامي للمنطقة خلال القرن السابع ميلادي ومن ناحية أخرى كان لانتمائه الكرغلي دورٌ في تقديسه للعربية والإسلام، كما سمح له هذا النسب بالتأثر البالغ بأحداث تركيا - الثورة الكمالية- التي اعتبرها انتصارًا للإسلام ومثالاً يحتذى به، فقد يتابع باهتمام كبير كل التطورات التي تخص هذه القضية<sup>(1)</sup>.

لقد شكلت الثنائية العروبة/الإسلام باندغامها وتلازمها هوية حضارية للمغرب العربي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، خصوصية ثقافية لمجتمعاته، وقد استعصت هذه الهوية على التفكيك رغم تقليديتها، وواجهت حملات التشويه والتزييف، وأثبت في تركيبها المتلازم أنها العمق التاريخي للشخصية المغاربية - الجزائرية- الذي حصّنها في تفاعلها واصطدامها بالآخر من الإنغلاق على الذات أو الذوبان في الآخر<sup>(2)</sup>، فإذا قمنا بإسقاط هذا الطرح على التجربة الجزائرية يقول الأستاذ عميرات محمد الأمين بخصوص ذلك: "بالرغم من الإشكال الذي طرحه الاحتلال الفرنسي لمدة 132 سنة والمتمثل في إشكالية الهوية لدى الشعب الجزائري بما فيه النخبة المثقفة، إلا أن البعد الثقافي داخل هذه الهوية يوحي بوجود مجال ثقافي أصلي هو المجال العربي الإسلامي<sup>(3)</sup>".

إن الأهمية البالغة التي تكتسيها اللغة العربية كونها عنصر أساسي ضمن مكونات الهوية الجزائرية التي طالما دافع عنها وبشدة زعيم الاتجاه الاستقلالي، والتي تعني بالنسبة للزعيم مصالي الحاج الرجوع إلى الأصل والتقاليد وإعادة ترمين الماضي، كما تعني أيضًا البحث عن تحالفات في الوطن العربي لمواجهة انعزال الحركة الوطنية الجزائرية، ويتضح هذا من خلال مساره النضالي ونشاطه السياسي، فالمتصفح لمختلف برامج السياسية يجد أنه عمل على الدفاع عن الحضارة العربية الإسلامية وإحياء اللغة العربية من

<sup>1</sup> سلوى هلالي، المرجع السابق، ص 214.

<sup>2</sup> محمد صالح الهرماسي: مقارنة في إشكالية الهوية المغرب العربي المعاصر، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 2001، ص 107.

<sup>3</sup> عميرات محمد أمين: أزمة الهوية لدى للنخبة المثقفة الجزائرية، ابن باديس-مالك بن نبي- محمد أركون، رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا، معهد الثقافة الشعبية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2008/2007، ص 66.

خلال مطالبته وبالحاح على مطلب مجانية التعليم وإجباريته، وكذا إنشاء مدارس عربية للتكوين  
النشئ<sup>(1)</sup>.

هذا وأكد في الكثير من المرات سواء في خطابه أو في مطالبه السياسية على هوية الجزائر  
الفريدة والتميّزة عن غيرها، رافضاً بذلك كل المشاريع التي قد تؤثر عن أصالة هذه الهوية ومن بينها  
الإدماج كما سبق لنا وأن قلنا، لأنه يعتبره خطر كبير على للهوية الجزائرية الذي قد يؤدي إلى مسخها  
فمن بين الخطب التي تناولت هذه القضية نجد الخطاب الذي نشر يوم 2 نوفمبر 1936م والذي جاء  
فيه: "إذا طالب شعباً الاندماج في شعب آخر حتماً ستقطع الصلة بينه وبين الأجيال التي تأتي بعده  
وكما يعلم الجميع أن للجزائر وشعبها تاريخ مجيد وحافل بالبطولات ولغة شريفة وذاتية مقدسة وضمير  
حي، لذلك لا يشرفنا بل ولن نرضى أن تصبح هذه الأمة فرنسية...وعليه سنعمل بكل ما في وسعنا  
لنقف في وجه كل من أراد القضاء على الأمة الجزائرية بدمجها، ولا يهنأ لنا بال إلى أن نقوم اعوجاجكم  
في قضية الإلحاق التي تعملون لأجلها..."<sup>(2)</sup>.

إن هذا الخطاب هو إعلان صريح على توجه هذا الاتجاه، فمن خلاله نفى مصالي الحاج  
الأفكار التي كان يروجها ويعمل لأجلها أصحاب التيار الإدماجي، كما قطع الطريق أمام زعماء هذا  
التيار وفرنسا اللذين كانا يهدفان إلى دمج الجزائر بفرنسا، لكن وبالرغم من هذا، فإن الوعي بمقومات  
وأسس القومية الجزائرية لم تتبلور كمكونات للشخصية الجزائرية إلا داخل حلبة الصراع ضد فرنسا، ذلك  
أن إدارة الاحتلال الفرنسي بخطاباتها وممارستها وطروحاتها ووجودها أصلاً كان عاملاً مباشراً في ظهور  
الوعي بالهوية الجزائرية بعد ثلاثينيات القرن العشرين، وهذا ما عبّرت عنه كل إتجاهات الحركة الوطنية  
خاصة بعد الاحتفالات الفرنسية بمئوية الاحتلال، وهنا يشير الأستاذ عبد الله شريط مؤكداً ما تم طرحه:  
"وَمَا سَاهَمَ فِي تَكْوِينِ هَذَا الْإِتِّجَاهِ الشَّعْبِيِّ أَيْضًا أَنْ ضَغَطَ الْإِحْتِلَالُ الْفَرَنْسِيِّ عَلَى الْجَزَائِرِ بَلْغَ الشَّدَّةِ  
وَالْتَوْسَعِ وَالْإِرْهَاقِ حَدًّا لَمْ يَبْلُغْهُ أَيُّ اسْتِعْمَارٍ فِي أَيِّ بَلَدٍ عَرَبِيٍّ آخَرَ"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، تر: كميل قيصر داغر، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1983،  
ص ص 26 28.

<sup>2</sup> Bulletin de renseignements N13 concernant l'état d'esprit des indigènes nord-africains pendant la période du 15 octobre au 15 décembre 1936, Archives historiques W de Constantine.

<sup>3</sup> عبد الله شريط: من واقع الثقافة الجزائرية، ش و ن ت، ط 2، الجزائر، ص 146.



والحق أن مفهوم القومية في الجزائر كان يختلف عنه المشرق العربي لاختلاف الظروف التاريخية والسياسية في كل منهما، ففي الجزائر كان مفهوم القومية يعني الدين والوطن والعروبة، فهذه التعبيرات كانت تعني مفهوماً واحداً، تستعمل للتعبير عن الكيان الجزائري المتميز عن الأمة المستعمرة، التي كانت تحاول دمج الشعب الجزائري في مجتمعا الأصلي، وهي مفاهيم استعملت من طرف قيادة التيار لمقاومة الهيمنة الأجنبية<sup>(1)</sup>.

إن الهوية القومية في مضمونها الإيديولوجي هي نتاج تاريخي وجغرافي لا يتكون نتيجة الرغبة في العيش المشترك فقط، بل هو نتيجة وضع أنشأه التاريخ ومع اتساع فضاءات الانتماء للوطن تتراجع تقاليد وثقافات فرعية محلية في ضل الثقافة الكلية للأمة<sup>(2)</sup>، وانطلاقاً من هذا نجد تركيز المصالي على الهوية الجزائرية انطلاقاً من التاريخ الإسلامي، واللغة العربية دون غيرها، وهذا ما فتح باباً لجدال واسع داخل الاتجاه الانفصالي، حيث رفض البربر/ الأمازيغ خاصة في منطقة القبائل طرح مصالي الحاج القائم على الجزائر عربية، وكان أوائل الذين عارضوا هذا التنظير عمار عيماش عندما صرح أن الدولة شكلت معاملها وفق الأعراف الأمازيغية<sup>(3)</sup>، وسار على النهج نفسه حسين آيت أحمد (1926م-2015م)، وبخصوص هذا يقول "محمد عبدون" أنه وقبل المؤتمر الذي انعقد يومي 15 و16 فيفري 1947م يومان قبل المؤتمر ترأس مصالي الحاج اجتماعياً سرّياً مع بعض المسؤولين في بوزريعة ومن بين الحضور كان الحسين آيت أحمد، فحين أنهى مصالي مقدمته طلب آيت أحمد الكلمة و قال: " لماذا تكلمنا عن العرب نحن لسنا كذلك فإننا بربر"<sup>(4)</sup>.

وفي هذا السياق نجد أن الأستاذ أرزقي فزاد أيد هذا الطرح الذي يعتبر من المهتمين بتاريخ المنطقة، رافضاً الفكر الذي تبناه مصالي الحاج، فهو في رأيه تنكر كثيراً بل وأقصى البعد الأمازيغي خلال مقارنته لمفهوم الأمة الجزائرية والتي اختزل ماضيها منذ القرن السابع للهجرة أي منذ الفتح الإسلامي للمنطقة، وهذا ما أدى إلى فتح مجال للنقاش حول مفهوم الأمة لدى مناضلي منطقة القبائل، على إثر

<sup>1</sup> عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين...، المرجع السابق، ص 255.

<sup>2</sup> عبد العزيز جناوي، المرجع السابق، ص 57.

<sup>3</sup> سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص 215.

<sup>4</sup> محمد عبدون: شهادة مناضل من الحركة الوطنية، منشورات دحلب، الجزائر، 2013، ص ص 90 91.

اللقاء الذي جمعهم جويلية سنة 1948م ببلدية الأريعاء نايت إرائن، وأرجع ذات الباحث أن عدم إهتمام مصالي الحاج بالانتماء التاريخي للجزائر - البعد البربري - إلى تأثيره الكبير بشكيب أرسلان الذي بث فيه أفكار القومية العربية، وهذا هو السبب حسب اعتقاده الذي أدى إلى تغييب مصالي لخصوصيات الأمة الجزائرية<sup>(1)</sup>.

لكن وفي المقابل كان للأستاذ "ناصر الدين سعيدوني" رأي آخر، فقد ربط هذه الأزمة بالسياسة الفرنسية المرتكزة على إيجاد تيار جزائري مظهره وأصوله جزائري، وفرنسي الاتجاه يرفض مقولة "الجزائر الفرنسية" بسبب الواقع الاستعماري وإبعاد المستوطنين لهم لكي لا ينافسهم كجزائريين في الامتيازات التي يتمتعون بها ويتحصلون عليها، فضلا على أن هذا التيار يرفض مقولة "الجزائر عربية إسلامية" على أساس أنها تتماشى وقناعاتهم وتوجهاتهم، وقد تمكن هذا من أن يتسرب إلى الساحة السياسية الجزائرية وأن يخترق حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، مما تسبب بالأزمة البربرية، التي بدأت في شكل تمّثل من موقف الشعب الجزائري بعد مجازر 8 ماي 1945، بسبب قرارته وتوجهاته المتضاربة، ثم تحول القلق إلى البحث في الذات والهوية<sup>(2)</sup> بفعل الواقع الثقافي القائم الذي خلفه الاحتلال الفرنسي، وقد أصبح مجموعة من المنتسبين إلى اللجنة الفدرالية لحزب الشعب الجزائري وحركة الانتصار الحريات الديمقراطية في فرنسا بقيادة محند علي يحيي ( المدعو رشيد)

<sup>1</sup> أرزقي فراد: "مصالي أقصى الأمازيغية تأثراً بشكيب أرسلان"، جريدة الشروق اليومي، ع 4354، الجزائر 2014/04/22.  
<sup>2</sup> يشير باحثون في علم الاجتماع بأن جزءاً كبيراً من الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي عرفتها الجزائر في العقود الأخيرة والتي كانت حادة جداً لدرجة هدّدت فيه بتفكيك المجتمع الجزائري وأهياره ووحدته، تعود جذورها في جزء كبير إلى عملية الاحتثات الدرامي الذي عرفته البنات والهياكل الاجتماعية والتقليدية من قبل الاستعمار الفرنسي، الذي كانت فترة احتلاله هي الأطول، مما سمح له بالذهاب بمشروعه إلى أبعد الحدود في محاولة لتقسيم المجتمع الجزائري إلى كيانات مختلفة ومنقسمة على نفسها ومفككة، ففي دراسة أجراها عالم الاجتماع الفرنسي "بيير بورديو" أوائل الستينيات من القرن الماضي على سكان المناطق الريفية الخاصة بالإدارة العسكرية لجيش الاحتلال الفرنسي، أن تلك التحولات الاجتماعية المفروضة من قبل الاستعمار أدت إلى نشوء أزمة في النسيج الاجتماعي وروابطه وأخرى في منظومة القيم التي تحكم المجتمع، نتيجة الانتقال السريع العنيف بالمجتمع من نمط الحياة الاجتماعية القائم على الوحدة والتضامن إلى الجماعات الاصطناعية القائمة على الفردانية، ويطلق ذات الباحث عن ضحايا هذه العملية إسم "المحتثين" الذين هم الآن يعملون على استرجاع ذاتهم التي حطمها الإستعمار ولم يجدوا أمامهم غير الإطار الثقافي كإطار بديل للتعبير عن الانتماء والهوية. محمد الكوخي: سؤال الهوية في شمال إفريقيا، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014، ص 341 342.

تحمل توجهات عنصرية، وقناعات جهوية وميولات شيوعية تعادي بها مبادئ الحزب والطرح العربي الإسلامي<sup>(1)</sup>.

وفي سياق متصل، ففي دراسة معمقة الموضوع بين أحد الباحثين أن خريطة الأزمة لا تتطابق من الناحية الثقافية مع خريطة مناطق أوسع انتشار النطق القبائلي، ناهيك عن التعريفات الأخرى البربرية، إذ أن مركز ثقل مفجرها انحصر في منطقتي الأربعاء نايت ايراثن وميشلي بعين الحمام في قلب جرجرة، وفي امتداد المهاجرين إلى فرنسا، كما أن لب الموضوع المطروح خلالها يتحدّد في مكانة الفرنسية التي أصبحت لغة يومهم وغدهم، فإلى جانب تعجيل الاحتلال حركة تقليص استعمال الأمازيغية عموماً، هنا التأثيرات المتناقضة للخرافة القبائلية التي كان ييئسها: فالقبائلي أوروبي/ شرقي الأصل، ذو قابلية للاستعمار/ متمرّد، ديموغرافي/همجي، شديد التمسك بالإسلام/ سطحي التدين، كما قامت الثقافة المدرسية الفرنسية بتغذية مركب الأقلية، إذ أنتجت في آن واحد المتكلمين عن القبائلية وأنصارها وكذلك أشد خصومها من نفس الجيل<sup>(2)</sup>.

أما من الناحية السياسية فإن "البربرية" طرحت في الوقت الذي بدأ فيه حزب الشعب ثم الحركة انتصار الحريات الديمقراطية، يمارس هيمنته، مثلما أظهر نجاحه في بلديات عام 1947م، بما أن ساعة الانتصار والاستقلال كانت تقترب، أراد مفجرو الأزمة طرح "مسألة اللغة" في الحزب-الأمة وفي الدولة المقبلة، في وقت واحد كانت النزعة العروبية تأخذ فيه أشكالاً تأسيسه ( الجامعة العربية، مكتب الحزب العربي) ومع هذا، تجدر الملاحظة أن المواجهة لم تقم بين أنصار النزعتين البربرية والعربية، وإنما قامت بين الفرنكفونيين قبل كل شيء، ومن جانبها كانت قيادة الحزب تستهدف لنفس الدوافع المحافظة على السمات الثقافية الخاصة بالجزائريين المسلمين ودعمها إن أمكن<sup>(3)</sup>.

وفي السياق ذاته نجد أن الاحتلال الفرنسي انتهج العديد من الممارسات لإرساء سيطرته على المستعمرات التي احتلالها، ومن هذه الممارسات القضاء على الوحدة الوطنية لمجتمعات البلدان المحتلة،

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني: "المسألة البربرية في الجزائر دراسة للحدود الإثنية للمسألة المغاربية"، مجلة عالم الفكر، ع4، أبريل 2004، ص 160-172.

<sup>2</sup> أحمد رضوان شرف الدين: مشروع الدولة - الأمة العروبية عند النخب الجزائرية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أد ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004/2005، ص 96.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 97.

وذلك بزرع بذور التفرقة العرقية بين فئات المجتمع عملاً بمبدأ "فرق تسد"، وتطبيقاً لهذا المبدأ عملت فرنسا كل ما في وسعها منذ احتلالها الجزائر على نشر التفرقة بين الجماعات العرقية المكونة للمجتمع الجزائري، مركزة اهتمامها على بربر القبائل وموهمة إياهم بأنهم من أصول أوروبية ولا علاقة لهم بالجنس السامي العربي، ومن ثم غدا من الأفضل لهم العمل على بناء هويتهم الخاصة، ومن أجل تحقيق الهدف عملت فرنسا على إبراز الهوية القبائلية من خلال الممارسات التبشيرية ومحاولة إحياء اللهجة البربرية، الأمر الذي أدى إلى ظهور نخبة قبائلية شوفينية تدعو إلى الخصوصية الثقافية وتندد بالانتماء إلى العروبة والإسلام<sup>(1)</sup>.

لقد كان منطلق مصالي الحاج بأن الجزائر أمة قائمة بذاتها، ذلك لأنها تملك من الخصائص والمميزات التي توجد عند كل أمم الدنيا، وأفصح عن هذا في العديد من المناسبات، لذلك ترسخت لديه هذه القناعة، وعليه فتصوره حول موضوع الهوية لم يأخذ ذلك البعد كما وصف "الزواوي بغورة" الأخير الذي أقرّ بأنها لم تكن مسألة مركزية ضمن اهتماماتهم السياسية والأيدولوجية، ذلك لأن مصالي الحاج لم يكن يرى في موضوع الهوية مشكلة واقعية، وإنما مشكلة نظرية تخص النخب<sup>(2)</sup>.

ومهما يكن من أمر فتسارع الأحداث أدت إلى ظهور العديد من النتائج، لعلّ كان أبرزها الانقسام الذي حدث داخل الحزب، والذي بدوره خلق صراعاً حول المسألة الثقافية التي ساهم في ظهورها تكتل دباغين/بودة في إطار الصراع السياسي مع مصالي الحاج، يقول "محمد حربي" بخصوص ذلك: "بفضل تكتل الأمين- بودة، كان ذوو النزعة البربرية يدخلون كباراً وصغاراً إلى جسم الحزب، إلى كل المواقع فيه تقريباً، كجرتومة تدخل جسمًا قد ضعف، تنقلوا بسهولة وذهبوا هكذا يزرعون الجرتومة في كل فرنسا... كانوا لفترة من الزمن سادة الحزب<sup>(3)</sup>".

وفي سياق متصل، وخدمة لأطروحة الجزائر جزائرية، دأب أصحاب هذا الطرح وعلى رأسهم رشيد يحي على خلق حركة شعبية بربرية تؤيد طرحهم، ومن جهة أخرى ترفض أي فكرة توحى بالانتماء

<sup>1</sup> عمر عسوس: "أزمة الهوية لدى البربر في الجزائر"، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع4، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، 2010، ص 49.

<sup>2</sup> الزواوي بغورة: الهوية والعنف...، مرجع سابق، ص 27.

<sup>3</sup> محمد حربي: جبهة التحرير الوطني...، مصدر سابق، ص 64.

العربي الإسلامي للجزائر<sup>(1)</sup>، وانطلاقاً من هنا يتضح مدى العداء الذي تكنه هذه الفئة لكل ما هو عربي، يقول المؤرخ الفرنسي جيلبار ميني Gilbar meynier: " إن رغبة زعزعت الأثقال الاجتماعية والثقافية أدت بهؤلاء الشباب على نحو تبسيطي إلى اختزال العروبة تقريباً في العجز المسكن، اختزال في الهزيمة أيضاً، في الوقت كانت الجامعة العربية ومكتب المغرب العربي يشون أسطورة المأثرة العربية الإسلامية بينما كانت نكبة فلسطين تساهم بحس لدى مثقفين شباب، فالبربريون كانوا جزائريين لكنهم ينظرون إلى أنفسهم أيضاً كمنافسين للغرب، كان القبائل يظنون أنهم طليعة حركة إنعتاق جزائرية كما كانوا لا يترددون عن الادعاء بأنهم ضحايا بربر لقيادة عربية"<sup>(2)</sup>.

لم تبقى قيادة الحزب مكتوفة الأيدي إزاء هذه الأحداث والانشقاقات الداخلية التي من شأنها أن تنسف مشروعهم وعملهم الذي عرف مسيرة الربع قرن تقريباً، فقد كان من بين ردود الفعل التي انتهجها سياسة العزل، ففي الفترة الممتدة بين أوت وديسمبر 1949م جرت على طريقة الأحزاب الستالينية "عملية تطهير" واسعة ليس في حق هؤلاء وحسب بل مست آخرين أيضاً، من بينهم أحمد بودة، لمين دباغين واعلي بناي وغيرهم...<sup>(3)</sup>.

هذا ومن جهة أخرى، وحتى يقطع الحزب الطريق أمام كل حركة من شأنها إحداث البلبل مرة أخرى، ونظراً لتراكم تجاربهم في الميدان السياسي، صاغت حركة انتصار الحريات الديمقراطية وثيقة مهمة جداً في مسار الحركة الوطنية الجزائرية تحت عنوان "حقائق الأمة الجزائرية"، لأنها تعبر عن شعور عال من الوعي السياسي الذي يرافقه الخطاب الظافر، فقد ساهمت أعوام ما بعد الحرب العالمية الثانية، وما رافقها من نتائج و صراع إيديولوجي بين الكتلتين، في توفير رؤية تاريخية، مكنت الوطنيين من بلورة خطاب وطني واضح يتعامل مع حقائق الوطن ومقومات الأمة، بمزيد من الوضوح، فالجزائر في وثيقة الحزب الوطني الجزائري أمة حقيقة لا يماري فيها إلا الاستعمار، وهو العبئ الوحيد الذي يجب التخلص منه<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> محمد حربي: جبهة التحرير الوطني...، مصدر سابق، ص 64.

<sup>2</sup> Gilbar meynier : histoire intérieure de FLN (1954-1962), Casbah éditions, Alger, 2003, p 95.

<sup>3</sup> أحمد رضوان شرف الدين، المرجع السابق، ص 97.

<sup>4</sup> نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، ص ص 283-284.

وما جاء في الوثيقة أن: "الشعب الجزائري صهرته وشكلته حياة مشتركة، امتدت قرونا من الزمن، وتواصلت مع وجود أصل اثني واحد، عبر مظاهره اليومية في كيان أمة ذات عبقرية"<sup>(1)</sup> وليس أدل على ذلك من نمط العيش، طريقة الأكل واللباس، والقدرة على التعامل مع الآخر والالتقاء به، وتمثل الجزائر اليوم لوحة ثنائية رائعة حافلة بتنوع مناطقها وجهاتها وتراثها العربي الإسلامي، ويعد هذا التنوع مصدر ثراء وتكامل، ووجود لهجة بربرية إلى جانب اللغة الوطنية في الجزائر، لا يعيق التفاهم المشترك والمتبادل، وهكذا فالوعي بقيمة الاختلاف والتنوع والمجال المشترك التي يعبر عنها السكان، على تباينهم في الأصل واللغة، يعطي إمكانية أفضل لتعريف الأمة، كما جاء في الوثيقة خلافاً للنزعة الاستعمارية التي تبغى أن تؤكد الاختلاف والتنوع دائماً، لإثبات غياب الوحدة وفق سياسة "فرق تسد"<sup>(2)</sup>.

## 2- التاريخ المشترك وتوظيفه:

يمثل التاريخ مقومًا من مقومات الأساسية لهوية أية أمة، فهو سرد لأعمال الأجداد وتمجيدًا لبطولاتهم وتضحياتهم من أجل الوطن والمواطنين جميعاً<sup>(3)</sup>، إذ يعتبر التاريخ أمتن رباط يجمع بين أحزاب الأمة الواحدة ليوحد بين قلوبهم، وهو الذي يبرز شخصية الأمة، ويميّزها عن غيرها من الأمم والأقوام الأخرى، فهو يعطي لها ذاتية خاصة وكيانا حضاريا متميزا، وهو برهان على حيويتها وسيورتها عبر التاريخ<sup>(4)</sup>.

يكتسي التاريخ أهمية بالغة، لذلك يتم اللجوء إليه لإبراز الشخصية الوطنية عبر الماضي البعيد والتاريخ في الجزائر باعتباره عنصرا من عناصر الهوية كان له دورًا حفظ الهوية الجزائرية من الطمس وتعميق أصالتها، فالشخصية الوطنية لم تتشكل في مرحلة زمنية قصيرة وإنما تمتد جذورها إلى حقب زمنية بعيدة،

<sup>1</sup> MTL D : le problème algérien, considérations générales p p 5.6

نقلا عن نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، ص 285.

<sup>2</sup> نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، ص 285.

<sup>3</sup> عبد المالك مرتاض: "أصالة الشخصية الجزائرية"، مجلة الأصالة، ع8، ماي-جوان 1972، ص 216.

<sup>4</sup> جمال قتان: قضايا ودراسات في التاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1994،



انتقلت عبر مراحل التاريخ، وثبتت أركانها وهذا ما أدى إلى وقوفها في وجه الاحتلال الفرنسي فعسر عليه إذابتها ومحوها<sup>(1)</sup>.

وعملا بهذا فقد كان تعبير الاتجاه الاستقلالي عن الوطنية واضحًا وحاسمًا فمنذ البداية كانت مطالب هذا الاتجاه واضحة في مختلف برامج وخطاباته السياسية، وغالبًا ما كان يدعم مطالبه السياسة بالمعنى الثقافي والتاريخي عن طريق الاعتراف الصريح بوجود أمة ودولة جزائرية معروفة عبر التاريخ، ففي رسالة<sup>(2)</sup> وجهها مصالي الحاج إلى عصبة الأمم سنة 1930م احتجاجًا على الاحتفالات الفرنسية بمناسبة مئوية الاحتلال، لجأ مصالي الحاج إلى التاريخ ليبين للعالم حقيقة الجزائر بأنها كانت دولة ذات سيادة قبل أن تصبح محتلة من طرف فرنسا، في وقت أصبح الجميع يظن أن الجزائر ليست إلا أرضاً فرنسية، فصرح في هذه الرسالة قائلاً: "في سنة 1797م أقرضت بلادنا فرنسا كميات كبيرة من القمح ومبلغ خمسة ملايين فضية في كل مرة كانت أيلة الجزائر تطلب سداد هذا القرض كانت فرنسا تواجه ذلك بالرفض تحت ذرائع متعددة... فبدلاً من التسديد أرسلت فرنسا جيشاً قوامه ثمانية آلاف رجل بغرض احتلال بلادنا"<sup>(3)</sup>.

أما في ما يخص توظيف الكتابة التاريخية، فيرى بعض الباحثين وعلى رأسهم " أبو القاسم سعد الله" أن مناضلو الاتجاه الاستقلالي لم يولوا أهمية كبيرة للكتابة التاريخية وإن وجدوا ومارسوها فقد كانوا على قلتهم، وأرجع السبب في ذلك إلى التكوين الثقافي لديهم الذي كان ضعيفاً إذا ما قارنا مع بقية أعضاء الاتجاهات الأخرى، هذا بالإضافة إلى أن اهتمامهم بالقضية الوطنية ومسائلها السياسية كان أكثر من أي شئٍ آخر، ومن ناحية ثالثة عمل جمعية العلماء في هذا المجال، فنجدها قد حملت على عاتقها هذه المهمة عنهم في إطار دفاعها عن مكونات الهوية الجزائرية وإثباتها من لغة ودين إسلامي خاصة بعد العبث الذي مورس في حق تاريخنا، والذي عمل الاحتلال الفرنسي على ذلك بغية إضعاف

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض: أصالة الشخصية...، مرجع سابق، ص 218.

<sup>2</sup> رسالة مصالي الحاج رئيس حزب نجم شمال إفريقيا إلى عصبة الأمم - جانفي 1930 - أنظر الملحق رقم (7)

<sup>3</sup> محفوظ قداش ومحمد قنانش: نجم شمال إفريقيا 1926-1937، د م ج، الجزائر، 71 72.

الوعي القومي بالماضي حتى تنفر الأجيال منه من خلال الدراسات التاريخية الاستعمارية التي عملت على تزييفه وتشويهه<sup>(1)</sup>.

بالرغم من أن الاتجاه الاستقلالي لم يكن له العدد الكبير من الكتاب والمؤرخين لاعتبارات سبق لنا وأن ذكرناها، إلا أنه توجد هناك بعض الأرقام اللامعة، والتي قدمت مساهمات هامة في مجال الدفاع عن الهوية وإثباتها، وكان على رأسهم "محمد الشريف ساحلي"<sup>(2)</sup> الذي يعتبر من أبرز المؤرخين الذين نشطوا تحت عباءة الاتجاه الاستقلالي، فله مجموعة من المؤلفات التي اهتمت كثيراً بالتاريخ الوطني، والمتصفح لكتبه يجده من خلالها إثبات وجود كيان ودولة اسمها الجزائرية قبل 1830م، كما حاول الوقوف بقلمه في وجه المخططات الفرنسية الرامية إلى مسح عناصر الشخصية الوطنية، ومن جهة أخرى عمل على فضح التزييف الذي اعتمده المدرسة التاريخية الاستعمارية للتاريخ وكان أبرز كتاب تناول فيه هذه القضايا عنوانه ب "تخليص التاريخ من الاستعمار" الذي ترجم إلى العربية من طرف محمد هناء.

دائماً وفي مجال الكتابة التاريخية وخدمة التاريخ الوطني وإثبات الإنية الجزائرية، أكد محمد الشريف ساحلي عن الوجود التاريخي للأمة الجزائرية ودافع عن هذا الطرح كثيراً، فكان هذا بمثابة رد صريح على رواد المدرسة الكولونيالية الذين حاولوا استغلال التاريخ الوطني لخدمة المخططات الاستعمارية، فكتب مقالا رد فيه على المؤرخ الفرنسي "شارل أندري جوليان" وكتابه المعنون ب: "تاريخ إفريقيا الشمالية"، فمن خلال هذا المقال تساءل ساحلي في إطار نقده للكتاب عن الطروحات التاريخية التي شكلت مضمون هذا الكتاب، وأنطلق منها وقدم ملاحظات دقيقة وصحح العديد من المغالطات التاريخية الزيف الذي كان يروج لها هذا المؤرخ<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> أبو قاسم سعد الله: "منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة، ع 14-15، جويلية 1973، ص 18.  
<sup>2</sup> الشريف ساحلي ولد بقرية ثاسفا ببلدية شميني دائرة سيدي عيش ولاية بجاية في 6 أكتوبر 1906، التحق بالحركة الوطنية الجزائرية في سن مبكرة من خلال انخراطه في حزب نجم شمال إفريقيا الذي عاصر مختلف تطورات الحزب، بعد انتقاله لفرنسا درس الفلسفة هناك وتخرج من جامعتها بداية ثلاثينيات القرن العشرين، وهناك احتك وقتها بكتاب ومفكرين وفلاسفة فرنسيين وجزائريين، تبوأ العديد من المناصب خلال الثورة التحريرية. عبد المومن إبراهيم: "الكتابات التاريخية في الحركة الوطنية الجزائرية"، مجلة كان التاريخية، ع 45، سبتمبر 2019، ص 105. أنظر كذلك. محمد الهادي الحسني: "تحرير التاريخ"، الشروق أونلاين، 2010/03/10.

<sup>3</sup> Le jeune musulman, N20, le 24 avril 1953.

نجد إلى جانب محمد الشريف ساحلي، كذلك مولود قاسم نايت بلقاسم<sup>(1)</sup>، الذي بدوره اهتم بالدفاع عن الهوية الوطنية ومقوماتها، إذ كان من أكثر الرجال دفاعاً عن الهوية وبعدها التاريخي، فقد كان يرى بأن المقوم التاريخي يمثل جزءاً كبيراً من هويتنا، كما أكد على أهميته باعتباره من أسباب ترشيد المجتمع وتنوير فئاته<sup>(2)</sup>.

وفي هذا السياق نجد بأن مولود قاسم نايت بلقاسم ركز في كتاباته أكثر عن الإسلام باعتباره مقوماً أساسياً من مقومات الهوية الوطنية، واعتبره بمثابة الدعامة التي حمت الشخصية الوطنية ضد محاولات الاحتلال الفرنسي التغريبية التي أراد من خلالها طمس الهوية الوطنية ومسحها، فهو يمثل بعثاً للشخصية وتأكيداً للانتماء العربي الإسلامي، فقال في هذا الشأن: " لقد كنا خلال فترة الاحتلال الفرنسي معلقين في الهواء بين عالمين منزوعة عنا جنسيتنا الجزائرية... وبالرغم من ذلك كنا نعتر كثيراً بهويتنا ومقوماتها من لغة ودين وتقاليد، لقد كنا نقاوم جميع الأمراض الاجتماعية والآفات المستوردة إلينا الغربية عنا، وكان ذلك بدافع الذود عن هذه الإنيَّة وتلك الأصالة"<sup>(3)</sup>.

هذا ونجده قد حمل على عاتقه أيضاً حملة الدفاع عن تاريخنا المجيد من التشويه الذي كان يتعمد تليفقه مؤرخو المدرسة التاريخية الاستعمارية، فقد عالج هذه المسألة في العديد من المقالات والكتب التي نشرت والمحاضرات التي ألقاها، ومن بينها نجد المقال الذي عنوانه ب " مفاهيم خاطئة عن تاريخنا"، وهنا

<sup>1</sup> مولود قاسم نايت بلقاسم: هو مولود بن محمد وسعيد نايت بلقاسم، لقبه نايت بلقاسم واسمه المستعار هو قاسم، ولد في 1927/02/06 بقرية بلعيل بالآيت عباس بلدية ايغيل دائرة أقبو ولاية بجاية، نشأ و ترعرع هناك، حفظ القرآن في صغره، ثم التحق الابتدائية الفرنسية ثم الثانوية، سافر إلى تونس ليكمل دراسته سنة 1946 بجامع الزيتونة، دخل عمار النضال السياسي من بداية حزب الشعب فكان أحد المسؤولين الستة في اتحاد حزب الشعب للطلبة في 1949، كما تدرج في المناصب بعد هذا التاريخ، في فرنسا كان عضو بمداومة حركة انتصار الحريات الديمقراطية إلى غاية 1950 ليفتح الباب أمامه ليتقلد مسؤوليات أخرى في الحزب ثم في الدولة بعد الاستقلال للمزيد أنظر: عبد القادر سلاماني: " دور مولود قاسم نايت بلقاسم في تدويل القضية الجزائرية بالمحافل الدولية"، مجلة قضايا تاريخية، ع 08، 2017، ص ص 148 150. أنظر كذلك. أحمد بن نعمان: مولود قاسم نايت بلقاسم رمز كفاح الأمة، دار الأمة، الجزائر، 1993، ص 10 وما بعدها.

<sup>2</sup> إسماعيل تاحي: مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي نظرتة للهوية الجزائرية، رسالة ماجستير في تاريخ الحركة الوطنية، إشراف د الجمعي خمري، قسم التاريخ و الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006/2007، ص 144.

<sup>3</sup> مولود قاسم نايت بلقاسم: أنية وأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1975، ص 104.

عالج موضوع المقال بمناقشة العديد من الأفكار والمصطلحات التي كانت تستعمل ولا تزال إلى يومنا هذا والتي روجت لها المدرسة التاريخية الفرنسية، وعمل على تقويمها وتصحيح ما يكمن تصحيحه<sup>(1)</sup>.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

<sup>1</sup> مولود قاسم نايت بلقاسم: "مفاهيم وصيغ خاطئة عن تاريخنا"، مجلة التاريخ، ع 22، منشورات المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر 1986، ص 37 و ما بعدها.

### المبحث الرابع: تطور النزعة الاستقلالية في خطاب الاتجاه الاستقلالي:

لقد ارتبط هذا الاتجاه بشخصيه مصالي الحاج، والذي مثل مسيرته ثلاثة تنظيمات: نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب ثم حركة الإنتصار الحريات الديمقراطية التي عبرت عن تواصله، ولكن باختلاف خصوصيات في ما بينها، وذلك لإختلاف ظروف بروزها.

لقد ساهمت عدة عوامل في تشكل الفكر الاستقلالي لدى زعيم هذا التيار وبقية أعضائه، لعل كان أبرزها عامل الهجرة، فالمتتبع لمسار مصالي الحاج يجد أن نضاله السياسي قد بدأ في المهجر، وذلك بسبب سياسة فرنسا الجائرة وقوانينها المحقفة التي ضيقت كثيرا على الجزائريين لعل أبرزها قانون الأندجينا الذي استمر إلى غاية 1928م، فبموجبه منع التنقل الحرّ للجزائريين، كما حرم عليهم ممارسة العمل السياسي بحرية كاملة وقمع الحريات الأساسية، ولهذا ليس غريبا أن يظهر الحس بالإتيّة الجزائرية على أرض فرنسا<sup>(1)</sup>.

وبذلك نبعت القومية الجزائرية في وسط الجالية الجزائرية المهاجرة بفرنسا، فبالإضافة إلى الأسباب التي ذكرناها أعلاه، هناك أسبابا أخرى، ساهمت بقوه في زيادة الهجرة واندفاع مجموع الفلاحين بفعل مصادرة أراضيهم وأموالهم وحالة التفجير نحو الهجرة، وخاصة في اتجاه فرنسا بحثا عن فرص عمل وحياء أفضل، وبالمهجر استفادت هذه الجالية بظروف مواتية ومناخ أنسب للعمل السياسي، والتعبير الاحتجاجي بفرنسا، حيث احترام الحريات العامة أكثر مما هو عليه الوضع بالجزائر المحتلة، بعد موجة الهجرة التي شهدتها سنوات الحرب العالمية الأولى، أعقبتها بعد الحرب موجات أخرى ضاعفت بصفه ملحوظة هذه الجالية الجزائرية التي وجدت نفسها مستأصلة من موطنها الريفي وملقاة من دون تأهيل في غياهب المصانع الميتروبولية، بالإضافة إلى ضعف مستواها المهني وجهلها للغة الفرنسية، عزلتها ووضعها المهلهل بسبب هذه العوامل أقصيت هذه الجالية وألقيت على حافة الهامش الاجتماعي الفرنسي، فكان تهميشها دافعا مباشرا لصقل شعورها القومي خاصة عن طريق احتكاكها بالحركات الاحتجاجية

1 محمد حربي: جبهة التحرير...، مصدر سابق، ص 22.

الاجتماعية وراء البروليتاريا الفرنسية، وتحت تنظيم الحزب الشيوعي الفرنسي المناهض للاستعمار آنذاك<sup>(1)</sup>.

لقد عاش المهاجرون الجزائريون في فرنسا على غرار مصالي الحاج كل التحولات الواقعة هناك من تقلبات الصراع الاجتماعي الذي قامت به النقابات العمالية في المراحل الأولى لنشأتها بفرنسا، والتي تركت أثرها على نفوسهم خاصة أولئك الذين أتوا من المستعمرات، كما تركت الثورة البلشفية عام 1917م وانتصار البلاشفة واسقاطهم للحكم القيصري أيضا آثارا كبيرة على الطبقات الهشة والكادحة في الدول الأوروبية على العموم، هذا دون نسيان عامل مهم جدا كون أن غالبية هؤلاء المهاجرين إن لم نقل كلهم جنودا بطريقة إلزامية وأجبروا على الدفاع عن فرنسا<sup>(2)</sup>.

لقد تركت تلك التحولات وهذه الأحداث أثرها وبصمتها في نفسية زعيم هذا الاتجاه، فجعله ذلك يتأثر بمبادئها فمن خلالها اكتسب روح جديدة للنضال، كما جعلت منه مناضلا سياسيا في قلب فرنسا، فحسب "محمد حربي" فإن الثورة البلشفية، ونشأته في كنف الحزب الشيوعي الفرنسي ساهما بدور كبير في إيقاظ الحس والوعي الوطني لدى مصالي الحاج<sup>(3)</sup>، خاصة تلك الأفكار التي تبناها الحزب الشيوعي الفرنسي وروج لها في الأوساط العمالية، فنقلا عن الأستاذ "يوسف حيطوش" جاء في مجلة "النضال الاجتماعي" الصادر يوم 06 جوان 1924م: "لا نتوقف عن المطالبة بالاستقلال التام لكل شعوب المستعمرات، تحت أي حكومة امبريالية كانت، وناضل ونكافح من أجل تحقيق كل مطالبهم"<sup>(4)</sup>.

لقد كان الخطاب اليساري عموما وخطاب الحزب الشيوعي الفرنسي على وجه الخصوص عاملا من جملة عوامل ساعدت المهاجرين الجزائريين في بلورة وعي سياسي نحو امتلاك ضمير جماعي موضوعه

1 أحمد عبيد: التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية ( الجزائر، تونس، المغرب)، ابن الندم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص ص 125 126.

2 يوسف حيطوش، المرجع السابق، ص 254.

3 محمد حربي: جبهة التحرير الوطني....، مصدر سابق، ص 25.

4 يوسف حيطوش، المرجع السابق، ص 290.



الجزائر، إذ بدأت تقترن فكرة الوطن بضرورة التخلص من القوى المعادية له كأفضل سبيل للإفصاح عنه وتحريره من برائتين القوانين الإستثنائية المعادية للترقية والمواطنة والاستقلال<sup>(1)</sup>.

في حضم هذا المخاض السياسي نشأ "نجم شمال إفريقيا" رسميا في 1926م بسند من الحزب الشيوعي الفرنسي<sup>(2)</sup>، وتحت قيادة الحاج علي عبد القادر الذي كان عضوا قياديا في الحزب الشيوعي -الذي خلفه مصالي الحاج لاحقا- وقُدِّم نجم شمال إفريقيا كجمعية هدفها "الترقية المادية والمعنوية للمسلمين شمال إفريقيا واستقلال شمال إفريقيا"<sup>(3)</sup>.

## 1- الاستقلال لدى نجم شمال إفريقيا:

طرح نجم شمال إفريقيا مسألة الاستقلال، وذلك بالإشارة إلى إنسحاب قوات الاحتلال الفرنسي وتأسيس جيش وطني، وهي مطالب راديكالية تمثل قطيعة حقيقية مع الوضع الاستعماري المفروض بالقوة على الجزائريين خاصة في تلك الفترة، فعلى حد تعبير "أحمد المالكي" الذي وصف إيديولوجية النجم بالاستقلالية في التوجه ومنطلقات النضال<sup>(4)</sup>.

إن التكوين الإيديولوجي لدى مصالي الحاج، الذي كان متأثرا بنضال الأمير خالد<sup>(5)</sup> على المستوى المحلي، والثورة الكمالية على مستوى العالم الإسلامي والذي تأثر بها نظير الأصول الكرجلية كل هذا جعله رجلا متشبع بالروح الوطنية والصبغة الإسلامية هنته السمة التي أصبحت مع مرور الوقت هيا الغالبة لدى النجم، خاصة بعد تراجع الشيوعيين وعلى رأسهم الحاج علي عبد القادر<sup>(6)</sup>، فترأس

1 نور الدين ثنيو: إشكاليه الدولة...، مرجع سابق، ص 179

<sup>2</sup> يقول مصالي الحاج في مذكراته: "... في البداية لم يكن للجمعية محل قار، وكنا نستعمل المقاهي و المطاعم الشيوعية لنجتمع ، يجب أن نعترف بأن الشيوعيين كانوا طرفاء معنا وخدمين لنا، وكل هذا يبدوا مخلصا ونزيها، ففي الرقم 120 من نصح لافيات حيث يتواجد المقر المركزي للحزب الشيوعي كنا نستقبل جميعا بلطف...". للمزيد أنظر: مصالي الحاج: المذكرات...، مصدر سابق، ص 135-136.

3 أحمد عبيد، المرجع السابق، ص 126.

4 أحمد المالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مرجع سابق، ص 291

<sup>5</sup> إنَّ النجذاب مصالي الحاج حركة الأمير خالد وللشخص في حد ذاته جعله يعيد إصدار جريدة "الإقدام" التي سميت "بالإقدام الباريسي" ثم "إقدام الشمال الإفريقي": للمزيد ينظر: زهير إحدادن: شخصيات ومواقف تاريخية، منشورات دحل، الجزائر، 2012، ص 130.

<sup>6</sup> جاء في مذكرات مصالي الحاج أن الحاج علي عبد القادر هو الذي نصح مصالي الحاج للاحتفاظ بالأمانة العامة، لأنه كان رئيسا للحزب وفي الوقت نفسه أمينا عاما له، وأخبره في نهاية جانفي 1927 بالمؤتمر الذي سيعقد في بروكسل ابتداءً من 27 جانفي

مصالي الحاج الحزب، الذي أتيحت له تمثيل الحزب في مؤتمر بروكسل المعادي للأمبريالية (فيفري 1927م) رفقة الحاج علي عبد القادر وحسان متار والشاذلي خير الله التونسي<sup>(1)</sup>.

لقد مثل مؤتمر بروكسل إذاً فضاءً رائعاً لجميع الحركات التحريرية في العالم التي تجابه الرأسمالية في شقيها الاستعماري والامبريالي، ومناسبة غير مسبوقة من اجل التنديد بالاستغلال في العالم، لذلك فقد كانت بروكسل سنة 1927م عاصمة للقوى المحبة للسلام التي تتحشم الحرية والاستقلال، وهنا مثل حزب نجم شمال إفريقيا وفد يكون من مصالي الحاج، والحاج علي عبد القادر وحسان متار وخير الله الشاذلي التونسي الرئيس الفخري للنجم، وفي كلمة ألقاها مصالي الحاج تشديد على استقلال شمال إفريقيا ومناصرة جميع القوى المناهضة للاستعمار والامبريالية<sup>(2)</sup>، قال بخصوص ذلك: " لقد خاضت الطبقات الكادحة في شمال إفريقيا كفاحاً ضد الاضطهاد والسياسات الاستعمارية، ولازالت تحوض عملاً بكافة الوسائل التي تتوفر عليها للوصول إلى الهدف الذي يحقق تطلعاتها في الوقت الحالي: الاستقلال الوطني"<sup>(3)</sup>.

شكل هذا المؤتمر منعرجاً حاسماً ومرحلة جديدة في تاريخ النجم، من حيث طريقة الكفاح والنضال وطبيعة المطالب الوطنية وعلى رأسها الاستقلال الوطني، وتركزت هذه المطالب في شكل برنامج أساسي للحزب<sup>(4)</sup>، وبذلك استطاع النجم في غضون سنوات قليلة أن يقوم بنشاطات هامة أزاحت الركود عن النشاط السياسي والنضال الوطني، كما عرف تطوراً هاماً في تبنيه لأفكار وطنية استقلالية ثورية ومطالب جوهريّة<sup>(5)</sup>، الذي تحول تدريجياً إلى "منظمة جزائرية خالصة" كما يقول الأستاذ "عبد الكريم بوصفصاف" بعد انسحاب الأعضاء المغاربة والتونسيون<sup>(6)</sup>.

=1927، لذلك فقد اقترح عليه تمثيل النجم في هذا المؤتمر، للمزيد ينظر: مصالي الحاج: المذكرات...، مصدر سابق، ص ص 139 140.

1 أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق، ص 376.

<sup>2</sup> نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، ص 205.

<sup>3</sup> محفوظ قداش ومحمد قنانش: نجم شمال إفريقيا...، مرجع سابق، ص 57

<sup>4</sup> للإطلاع عن البرنامج ينظر: مومن العمري: الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني (1926-

1954)، دار الطليعة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت)، ص ص 36 37.

<sup>5</sup> نفسه: ص 36.

<sup>6</sup> عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها...، مرجع سابق، ص 227.

إن إقرار مبدأ الاستقلال الوطني عمليا، ومبدأ الثورة فكريا، ومبدأ وحدة الشمال الإفريقي استراتيجيا سنة 1927م حسب ما ذكر الأستاذ قنانش، فإن سنة 1928م قد عرفت تغيرات جذرية في إعادة صياغة قوانين الحزب وبداية انفصال الشيوعيين منه<sup>(1)</sup>، كما عرف نشاطه اتساعا خاصة في القضايا المغاربية ودعم ثورة الريف<sup>(2)</sup>.

جدير بالذكر أن الحكومة الفرنسية قد بدأت في محاربة النجم، فلم تكن تتصور أن ترى هذه المطالب الراديكالية، فمنذ 1927م شعرت بخطورة وجود الحزب على نفوذها، فعملت على نشر دعايات وأكاذيب ضده في كل من الجزائر وتونس، معللة ذلك بكونه فرعا من الحزب الشيوعي المتطرف، وأن مطالبه أكثر تطرفا، وبناء على ذلك تم إصدار حكم قضائي في محكمة السين الباريسية عليه في 20 نوفمبر 1929م<sup>(3)</sup>.

إن المتتبع للمسار السياسي لنجم شمال إفريقيا ومطالبه السياسية منذ تأسيسه سيلاحظ حتما تركيزه على المطلب الاستقلالي، وهنا يطرح سؤال مهم يتمحور حول مدى استعداد هذا الحزب وجاهزيته في سبيل تحقيقه وفي تلك ضل الظروف بالذات، ولهذا نجد الكثير من الباحثين الذين ناقشوا هذه القضية، يرون أنه بالرغم من طرح المطلب الاستقلالي، ورغم أهميته من جهة، كان خطيرا من الجهة المقابلة - تم حل الحزب كما سبق لنا وأشرنا- بالإضافة إلى عدم توفر شروط تحقيقه آنذاك، فيقول الأستاذ نور الدين ثنيو: "بالوقوف عند السياق التاريخي الذي طرحت فيه مسألة الاستقلال، نجد عبر التحليل التاريخي أن الفكرة أكبر من شروطها التاريخية والسياسية، فضلا على انعدام وسائل تحقيقها على مستوى الفكر السياسي الوطني الذي تضايقه معارضة فرنسية قوية، لم تكن فكرة الاستقلال

<sup>1</sup> يقول الأستاذ بوصفصاف أن حركة النجم كانت منذ البداية تحمل في طياتها جذور الخلاف بين مؤسسيها الأوائل، وذلك بسبب إن البعض منهم كان متأثرا بالأفكار شيوعية والبعض الآخر من ذوي الاتجاه الوطني، وقد برز هذا الخلاف جليا سنة 1927 خلال المؤتمر المنعقد في بروكسل، وظهور كلمة "الاستقلال" فيه لأول مرة في تاريخ النجم، فاعتبر الاجتماع الذي عقده النجم في 05 فيفري 1928 حدا فاصلا بين الوطنية والشيوعية في منظمة النجم، ذلك أن هذا الاجتماع أدى إلى خروج الحاج علي عبد القادر من النجم ولحقه رفقاه من ذوي الاتجاه شيوعي تباعا، إلى غاية آخر عضو منهم سنة 1932 بأمر من الحزب الشيوعي الفرنسي. عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقتها...، مرجع سابق، ص 227. ينظر كذلك: عبد الحميد زوزو: الدور السياسي للهجرة...، مرجع سابق، ص 63.

<sup>2</sup> محمد قنانش: الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحزبين (1919-1939)، ش و ن ت، الجزائر، 1982، ص 48.

<sup>3</sup> نفسه: ص 50.

ناضحة بالقدر الكافي لدى المناضلين اليساريين الجزائريين، بل كانت مطروحة برسم الشروع في تحقيقها لاحقاً<sup>(1)</sup>."

في المقابل نجد آراء أخرى، فقد فسر باحثون آخرون بأن المطلب الاستقلالي الذي كان ضمن أولويات نجم شمال إفريقيا وتبناه هذا الأخير، ما هو إلا انعكاس للخطاب الشيوعي العالمي على الحزب لذلك لم يلي إعلان مصالي الحاج عن هذا المطلب أي إجراء عملي لتحقيق هذا الهدف<sup>(2)</sup>.

مهما يكن، فإن قادة النجم وعلى رأسها مصالح الحاج لم تكن لتخفى عليهم هذه القضية وهو الذي صّح بنفسه بأن الاستقلال الذي كان ينشده الحزب، يكون في المستقبل عن طريق العمل والنضال: "لقد كنا إلى غاية 1936م نقدم مطالبنا بشيء من الروية والمرونة، ولم نكن نطالب بتحقيق الاستقلال في غضون 24 ساعة، ولا خلال 05 أعوام، كنا نعتقد أن 15 عاما تكون كافيها لكي نتمرس ونتعلم كيفية إدارة البلد وتسييرها لمصلحة الشعبين، ثم بعد ذلك نصل إلى التمتع بالاستقلال في إطار التعاون يمتد في جميع الميادين"<sup>(3)</sup>.

لقد مثلت بداية الثلاثينات من القرن العشرين، وتزامنا مع الاحتفالات الفرنسية بمناسبة مئوية الاحتلال انطلاقة جديدة وعهد جديد للنضال الوطني، وهنا أكد مصالي الحاج أن الحرية لا تعطى بل تؤخذ بالقوة، فما كان عليه رفقة أعضاء الحزب في تلك المرحلة هو إرسال عريضة احتجاج إلى عصبة الأمم المتحدة بجنيف تشرح الأوضاع المأساوية التي كان يعيشها الجزائريين بعد قرن من الاحتلال الفرنسي<sup>(4)</sup>، وإضافة إلى هذا قام بتأسيس جريدة سنة 1930م أطلق عليها "الأمة" يقول مصالي الحاج: "فبعد تفكير عميق إخترت أن تكون الجريدة دورية والإسم الذي إخترتة هو الأمة يعني الشعب"<sup>(5)</sup> والتي كانت تهتم بنشر أخبار حركتهم وكذا الاتصال بالعمال بمختلف المناطق لتوسيع نطاق العمل.

نوه الأستاذ "عبد الكريم بوصفصاف" بالإستراتيجية الجديدة للحزب، وأكد بأن هذا الأسلوب يعتبر نقطه تحول واضح في تكتيك جديد لمواجهة السلطة القضائية، خاصة وأن قرار الحل النهائي لم

1 نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، ص 186.

<sup>2</sup> Omar Iardjane: Autour de la nation d'Algérianité dans la pensée politique algérienne, la pensée politique algérienne (1830-1960), Ed. ANEP, 2010, p239.

3 نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، هامش ص ص 186 187.

4 محمد قنانش: الحركة الاستقلالية في الجزائر....، مصدر سابق، ص 52

5 مصالي الحاج: المذكرات....، مصدر سابق، ص ص 151.

ينفذ بصفة رسمية، وحسب تعبير دائما نفس الكاتب، ففي سنة 1933م عقد النجم مؤتمرا "عاما وهاما" في فرنسا وانتهى إلى إصدار برنامج مطول يتضمن الإجراءات والتدابير التي ينبغي اتخاذها خلال مرحلة النضال، وبعد استرجاع السيادة الوطنية<sup>(1)</sup>.

في الحقيقة إن البرنامج<sup>(2)</sup> الذي سطره الحزب سنة 1933م كان الأكثر وضوحا إذا ما قارناه مع برنامج 1927م، ذلك أن هذا الأخير لم يفرق بين مطلب الاستقلال التام والمطالب الاجتماعية والاقتصادية التي يتوجب على فرنسا تحقيقها لصالح المسلمين الجزائريين، في المقابل نلاحظ أن برنامج 1933م قد وضع المطالب الإصلاحية الفورية في القسم الأول واستقلال الجزائر وإنشاء جيش وطني وإنشاء حكومة وطنية ثورية وإنشاء جمعية تأسيسية بالاقتراع العام في القسم الثاني.

يبدو أن قادة النجم قد حاولوا هذه المرة تحديد وتوضيح إيديولوجية الحزب على المدى البعيد، أي استرجاع الاستقلال الوطني في كامل الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية. كما أن مطالب 1933م توضح بجلاء مدى تطور الحزب في الميدان الإيديولوجي، وفي معرفة واقع الشعب الجزائري الذي يعيش تحت كابوس الاحتلال، كما أصبح الحزب مقتنعا بضرورة تعليم اللغة العربية للشعب الجزائري تعليما إجباريا، وذلك قبل الاستقلال التام وإنشاء الحكومة المؤقتة<sup>(3)</sup>.

إن المتصفح لمطالب النجم في برنامج 1933م في قسمها الثاني، نجد أن مجملها كانت تعالج وضع استقلال الجزائر، فلم تكن جديدة في خطاب النجم السياسي والاجتماعي، لكن اللافت للنظر هو ورود كلمة الدولة الجزائرية، يقول الأستاذ "نور الدين ثنيو": "إن ورود كلمه الدولة الجزائرية هو الذي يمكن عدّه خطوة متقدمة على درب الوطنية الجزائرية التي صارت تحرس أكثر على وجوب تحقيق المؤسسة العامة التي يستحيل من دونها الحصول على الاستقلال التاريخي والسياسي للشعب الجزائري<sup>(4)</sup>"، هذا من جهة ومن جهة أخرى في البرنامج ذاته عالج المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها الفلاحون الجزائريون "إن الاستعمار هو قرين الاستغلال الاقتصادي، وتحرير الاقتصاد يؤدي لا محالة إلى

1 عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين...، مرجع سابق، ص 229.

2 للاطلاع عن البرنامج ينظر. محمد قنانش: الحركة الاستقلالية في الجزائر...، مصدر سابق، ص 55 - 58.

3 عبد الكريم بوصفصاف: جمعيه العلماء المسلمين الجزائريين...، مرجع سابق، ص 234.

4 نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، ص 216.

تحرير طاقة الأمة الجزائرية"<sup>(1)</sup>، وانطلاقا من هنا يرى المؤرخ الفرنسي أندري نوشي André Nouschi إن سبب تركيز مصالي الحاج على المشاكل الاقتصادية والعمل على حلها هي بمثابة مد خطوة نحو تحقيق الاستقلال الوطني، فمتى تحقق الاستقلال الاقتصادي حتما يتحقق استقلال سياسي<sup>(2)</sup>.

إن المتصفح لمسار النجم خلال ثلاثينيات القرن الماضي، سيلاحظ حتما بداية اعتدال المطالب التي كان يقدمها بالنسبة للجهات الفرنسية، ففي سنة 1935م وبعد صدور القانون الأساسي "للاتحاد الوطني للمسلمين شمال إفريقيا"<sup>(3)</sup> وفي المادة الثانية منه أشار فقط إلى تحرير مسلمين شمال إفريقيا ماديا وروحيا، وهذه العبارة تعني الاستقلال والحرية حتى وإن كانت بطريقة غير مباشرة، هذا ومن جهة أخرى وعند تصفح برنامج المطالب الفورية التي قدمها الحزب للجبهة الشعبية سنة 1936م<sup>(4)</sup>، فإن الباحث يقف على اختفاء عبارة الاستقلال التام من المطالب السياسية. - سنفسر سبب ذلك في ما بعد-

لقد شكلت سنة 1936م فتره حاسمة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية بصورة عامة وفي حياة مصالي الحاج بصورة خاصة، فقد تلازمت عنده الدعوة إلى التحرر مع الوعي بوجوب تحديد لمقومات الدولة الجزائرية المنشودة، ومن تلك صور الوعي بمقومات الأمة التي يقتضيها الاستقلال والإنعتاق واستعادة السيادة الوطنية: ألا وهي مسألة الشعب<sup>(5)</sup>.

إن مفهوم الشعب عند مصالي الحاج يشير إلى الفئات الهشة من المجتمع والتي تشكل أساسا من الفئات العامة الذين تعرضوا للإقصاء والحيث والاستغلال والتهميش من قبل السلطات الفرنسية، كما أعطى للشعب بعدا دينيا، فاعتبره بمثابة القوة الثورية الفعالة، وهي العامل المحرك للتاريخ، والذي من شأنه أن يعيد النظر في الوضع القائم بشكل يعيد العزة والكرامة لهم وللمحتقرين والمضطهدين<sup>(6)</sup>.

1 نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، ص 284.

2 André Nouschi: L'Algérie amère ( 1914-1994), édition de la maison des sciences de l'homme, Paris, France, 1995, p92.

<sup>3</sup> للإطلاع عن القانون الأساسي للاتحاد الوطني للمسلمين شمال إفريقيا ينظر: عبد الحميد زوزو: الدور السياسي للهجرة...، مرجع سابق، ص ص 193-195.

<sup>4</sup> للإطلاع كذلك عن برنامج المطالب الفورية التي تقدم بها النجم إلى الجبهة الشعبية سنة 1936 ينظر. عبد الحميد زوزو: الدور السياسي للهجرة...، مرجع سابق، ص ص 190-192.

5 نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، ص ص 217 218.

6 يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص 309.



وفي السياق ذاته فقد تطرقت جريدة الأمة في إحدى أعدادها المنشورة سنة 1936م إلى مفهوم الشعب الجزائري، وهي الإستراتيجية الجديدة التي اتبعتها قادة الحزب خاصة مع نقل نشاطهم إلى الجزائر هدفها استمالة أكبر قدر ممكن من الجماهير الشعبية لتحقيق القاعدة اللازمة من أجل الإعداد الجيد لخدمة المطلب الذي طالما نادى به هذا التيار وجاء فيها: "كما تكلمنا دائما، فإن الشعب الجزائري تكوّن حقيقة في التاريخ، على قواعد متينة، فيملك تاريخه، وماضيه، ولغته، ودينه، فهو كيان موحد عبر دينه الإسلامي، ولغته العربية وعاداته وتقاليده وأعرافه، وعليه، فهذا الشعب لا يقبل على الإطلاق إلحاق الجزائر بفرنسا<sup>(1)</sup>".

إن الطرح الذي تبناه مصالي الحاج كان ثوري شعبي، وهذا ما دفعة للاعتراض على العديد من المشاريع الإغرائية الفرنسية لذلك قام برفض مشروع ليون بلوم وموريس فيوليت، هذا المشروع الذي كان هدفه الحقيقي دمج الجزائريين، والتخلي عن الهوية العربية الإسلامية، كما كان يهدف أيضا إلى خلق الهوة وبث التفرقة بين أفراد البلد الواحد، تعود هذه المواقف في الأساس إلى التعاليم التي تلقاها في الزاوية الدرقاوية وإلى قيم القومية والعربية التي اكتسبها عند احتكاكه بشكيب أرسلان، فالمشروع القومي العربي في ظل المجال العربي الإسلامي لدى لمصالي الحاج كان يتعارض مع مشروع بلوم فيوليت هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لتعارضه وتناقضه مع مطالب الاتجاه الاستقلالي المتمثلة أساسا في النضال لأجل الاستقلال ونيل الحرية<sup>(2)</sup>، فيقول في هذا الصدد: "إنّ هناك مناورة تقسيم أن يعارض الجزائريون الجزائريين... إنّ الإستعمار يريد أن يحوّل الجزائر أرض فرنسية على مراحل وأقساط... وهكذا ينفصل بلدنا شيئا فشيئا عن شمال إفريقيا وعن العالم العربي الإسلامي، وراء مشروع فيوليت كانت الإمبريالية تنهياً لتوسع كبير... وأمام هذا الخطر فإنّ نجم شمال إفريقيا تجنّد<sup>(3)</sup>".

لقد مثل المؤتمر الإسلامي سنة 1936م<sup>(4)</sup> فضاء رائعا لنجم الشمال إفريقيا، أين بدا اسم مصالي الحاج يتداول ويسطع من جهة، ومن جهة أخرى صادف هذا التاريخ نقل نشاط الحزب لأرض

1 El Ouma: n 41, juillet-Aout 1936.

2 يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص 259 260.

3 مصالي الحاج: المذكرات...، مصدر سابق، ص 218.

4 ينظر مصالي الحاج: المذكرات...، ص 202 وما بعدها. ينظر كذلك. محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، ج1، ص 620 621.

الوطن بعد أن كان يمارسه بالمهجر، وهذا من خلال تأسيس حزب الشعب الجزائري<sup>(1)</sup> من جهة ثانية فلخص الوضعية القائمة في الجزائر، وأيقض الشعور الجمعي، مما جعل الجماهير الشعبية تلتف حوله فنقلا عن الأستاذ حيطوش، قال عمر كاريلي بخصوص ذلك: " فشعبوية الحاج أحمد مصالي إزدادت تطورت كثيرا وتجدرت بعمق بفعل التجربة السياسية والنضال<sup>(2)</sup>" والذي استغل ذلك جيدا بعد الكلمة الحماسية التي ألقاها<sup>(3)</sup>، الأمر الذي جعله من شخص غير معروف إلى زعيم قومي يستولي على الجماهير الجزائرية التي أتت لتسمع لخطابات كل من فرحات عباس، محمد الصالح بن جلول و الإمام عبد الحميد بن باديس، ولا أحد انتظر ذلك وهنا توسعت شعبيته كثيرا.

إن المتصفح لمنطوق الخطاب الذي ألقاه مصالي الحاج في الملعب البلدي ببلدية العناصر بالعاصمة خلال عودة وفد المؤتمر الإسلامي، سيلاحظ حتما رفضه القاطع للأفكار الاندماجية وإلحاق الجزائر بفرنسا، ومنذ هذا الخطاب بدأ في تشكيل خلايا وفروع عبر ربوع الوطن لإلقاء المحاضرات والخطب فازداد نشاطه لذلك توسعت شعبيته، ضف إلى ذلك مواقفه الصلبة والثابتة التي تتعلق بمطلب الاستقلال، الأمر الذي جعله يرفض مشروع بلوم فيوليت كما سبق لنا وأن قلنا، في المقابل دافع عن الطبقات الهشة من المجتمع، وهذا ما جعل نجمه يسطع فأصبح وحزبه عرضة للمتابعة من طرف حكومة الجبهة الشعبية التي أصدرت قرارا يقضي بحلّه رسميا في جانفي 1937م، يقول "محمد قنانش" بخصوص ذلك: " لم يكن من الطبيعي ولا من المعقول على حكومة استعمارية حتى ولو كانت يسارية أن تسمح لشعوب مستعمراتها بأن تقوم بحركة منظمة تنسف مبادئ الاستعمار من أساسه، وتعيد إلى الشعب كرامته، وتثبت فيه روح نضال ومن طبيعة الإستعمار التخوف حتى ممن ينادون بفرنسا، ولئن عفى المستعمر الطرف عن الأفكار التحررية والثورية أن تنشأ في أرضه، فلن يسمح بها في المستعمرات، لأن الحرية والديمقراطية لن تصدّر إلى الخارج، ولقد حاول الاستعمار أن يقضي على حركة النجم شمال إفريقيا في أرضه بواسطة التهم المزيفة والاعتقالات والمحاكمات<sup>(4)</sup>".

<sup>1</sup> للإطلاع عن موضوع تأسيس حزب الشعب ينظر: أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، ج1، ص 219 وما بعدها.

<sup>2</sup> Omar Carrier: entre nation et jihad; histoire social des radicalismes algériens, France, presse de la Fondation nationale de sciences politiques, 1995, p 222 / 260 نقلا عن حيطوش، ص

<sup>3</sup> للإطلاع عن خطاب مصالي الحاج في المؤتمر الإسلامي ينظر. مصالي الحاج: المذكرات...، مصدر سابق، ص 203.

<sup>4</sup> محمد قنانش: الحركة الاستقلالية في الجزائر...، مصدر سابق، ص 76.

## 2- الاستقلال لدى حزب الشعب/حركة انتصار الحريات الديمقراطية:

بعد تأسيس حزب الشعب الجزائري بنجده حافظ على نفس المبادئ، ونفس الفلسفة التي كانت سائدة بين مناضليه فلم تتغير لا الخطة ولا أهداف ولا مطالبه، لكن اتخذ شعار " لا اندماج، لا تقسيم ولكن تحرر<sup>(1)</sup>" خلال هذه المرحلة، فإذا عرجنا على مطلب الاستقلال كمصطلح نجد أنه تم التعبير عليه بمصطلحات أخرى بطريقة غير مباشرة لدى حزب الشعب مثل عبارات تحرير وانعتاق وحرية.

لقد رافق تأسيس حزب الشعب خطاب وطني معتدل خاصة بعد مشاركته في إنتخابات المجالس المحلية التي أجريت عام 1937م، حيث اعتمد أسلوبا ليّنا، وتعامل باعتدال مع الأوضاع العامة في الجزائر، وقد غاب مطلب "الاستقلال التام" عن خطاب مصالي الحاج، ولم يلوح به في وجه السلطة الجديدة وذلك كأسلوب للمهادنة مع كتلة اليسار التي كانت تعد أقرب الأطراف مؤازرة للجزائريين<sup>(2)</sup>.

في السياق ذاته فإذا توقفنا عند التوصيات الصادرة عن مؤتمر حزب الشعب الجزائري سنة 1938م<sup>(3)</sup> سنلاحظ تماما غياب مطلب الاستقلال الوطني، فحزب الشعب الجزائري الذي يعتبر امتداداً لنجم شمال إفريقيا أصبح أكثر واقعية بعد مرور مالا يقل عن اثنتا عشرة سنة من النضال الوطني على الصعيدين الخارجي والداخلي، ذلك أن قادة هذا الاتجاه وبناء على توصيات هذا المؤتمر قد أدركوا بعد خوضهم لتجربة لا بأس بها أنه من الصعوبة المناوأة بالاستقلال التام قبل إعداد وهيئة الجماهير الجزائرية هيئة ثقافية وسياسية وتحضيرهم خاصة في ظل الظروف الاستثنائية التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك<sup>(4)</sup>.

إن ما يمكن ملاحظته بخصوص السياسة المتبعة واللهجة التي عُرف بها الاتجاه الاستقلالي بعد تأسيس حزب الشعب قد تغيرت وأصبحت أكثر واقعية كما سبق لنا وأن قلنا، لذلك فقد تعرض موقفه من مطلب الاستقلال لقرارات مختلفة، فيرى "محمد قنانش" أن الحزب لم يستعمل تلك الكلمة بلفظها كما كانت عليه في حزب نجم شمال إفريقيا ليس بسبب التراجع عن الأهداف التي يتم العمل لأجلها هذا الاتجاه، وإنما الأوضاع السائدة آنذاك والظروف العالمية من تصاعد المد النازي والفاشي وتكالبها

1 أحمد الخطيب: حزب الشعب...، ج1، مرجع سابق، ص 230.

2 نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، ص 236 237.

3 للإطلاع عن برنامج المؤتمر ينظر: عبد الحميد زوزو: الدور السياسي للمهجر...، مرجع سابق، ص 198 200.

4 عبد الكريم بوصفصاف: جميعه العلماء المسلمين الجزائريين...، مرجع سابق، ص 235.

على أقطار المغرب العربي والبحر الأبيض المتوسط في شمال إفريقيا قد أعطى لكلمة الاستقلال مدلول الارتقاء في أحضان الفاشية والنازية، ولهذا جاءت هذه العبارة: "لا اندماج، ولا انفصال، ولكن تحرر"<sup>(1)</sup> وهي التي حددت برنامج حزب الشعب الجزائري.

أما الأستاذ "عبد الكريم بوصفصاف" فيرى بأن تلك الظروف والأوضاع التي عرفتها المنطقة لا تعتبر مبرراً لأسلوب الحزب الجديد، ذلك لأن كلمة الاستقلال لا تعني أبدا الارتقاء في أحضان النازية أو الفاشية أو أي مستعمر آخر، وإنما ما يمكن قوله هو أن الحزب الجديد للاتجاه الاستقلالي قد اتبع إستراتيجية جديدة حتى لا يتعرض للحل أو الملاحقة ويتمكن من أداء عمله بشعارات جديدة يكون وقعها على المحتل أخف من كلمة الاستقلال هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الباحث يلاحظ بداية تقارب وجهات النظر بين حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين خاصة في إطار المطالب الثنائية كالمناداة بالتعليم وإجباريته وبناء مؤسسات تعليمية<sup>(2)</sup>.

وفي قراءة أخرى يرى المؤرخ الفرنسي شارل روبر أجيرون أنّ الشعار الجديد الذي اعتمده الحزب والمتمثل في "لا اندماج ولا انفصال بل تحرر" يبدو بعيدا عن برنامج حزب نجم شمال إفريقيا، وذلك لأن مصالي الحاج كان يرى أن قوات المحور متمثلة في ألمانيا وإيطاليا كانت تمثل خطرا جسيما على مستقبل البلدان العربية في شمال إفريقيا، ومع ذلك يقول ذات المؤرخ أن الهدف النهائي للحزب كان الاستقلال التام<sup>(3)</sup>.

إنّ تبنى مصالي الحاج للمبدأ الشعبي الثوري، الذي يركز على الاعتماد عن الطبقة الشعبية ممثلة في العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة، إذ يتضح هذا من خلال الكلام الذي قاله تعبيراً عن ذلك: "في وسط سنة 1939م، كان حزينا مازال متكونا من مجموعته من الرجال والعمال الذين ليس لهم موارد كبيرة بحكم انتمائهم إلى شرائح اجتماعية متواضعة"<sup>(4)</sup>، إضافة إلى هذا تبني مطلب التحرر التام والإستقلال، وهذا ما عرضه لرد عنيف من قبل إدارة الاحتلال الفرنسي التي لجأت إلى قمعه وتوقيف

1 محمد قنانش: الحركة الاستقلالية...، مصدر سابق، ص 84 85.

2 عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين...، مرجع سابق، ص 236.

3 شارل روبر أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ج2، مرجع سابق، ص 564 - 570.

4 مصالي الحاج: المذكرات...، مصدر سابق، ص 161.

نشاطه، فقامت بإصدار قرار يقضي بحل حزب الشعب الجزائري ومنع جريدة الأمة من الصدور في سبتمبر 1939م<sup>(1)</sup>.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية سنة 1945م، وعدم تجسيد فرنسا لوعودها المتعلقة بمنح الحقوق السياسية والاقتصادية للجزائريين التي وعدتهم بها من قبل، الأمر الذي جعل من مصالي الحاج يتأكد بأن الكفاح الثوري أنجع حل لأجل نيل الاستقلال، ولم يبق للمواقف السياسية والإصلاحية أي داعي خاصة بعد مجازر التي ارتكبتها فرنسا في حق الشعب الجزائري الأعزل يوم 8 ماي 1945م التي شكلت القطيعة مع أسلوب العمل السابق<sup>(2)</sup>.

إن الصدمة النفسية التي أثارها مجازر 8 ماي 1945م طرحت على حزب الشعب الجزائري ضرورة إعادة ترتيب الأولويات والتفكير في تحديد الطرق والوسائل الناجعة لأجل تحقيق الأهداف السياسية المسطرة سلفاً، بعد المقاطعة التي دعا إليها في مختلف المناسبات الانتخابية، وبذلك وجد الحزب نفسه معزولاً عن الساحة السياسية العلنية لكن ومع عودة فرحات عباس إلى الشرعية في مارس 1946م وحزبه الجديد، قرّرت اللجنة المركزية لحزب الشعب المشاركة في الانتخابات التشريعية الموالية في نوفمبر 1946م، تحت اسم "حركة انتصار الحريات الديمقراطية"، لكن هذا التوجه لم يكن محل إجماع<sup>(3)</sup> داخل الحزب، وبهذا عقد الحزب مؤتمراً سرياً في فيفري سنة 1947م أسفر عنه حل وسط يرضي جميع الأطراف، فالطرف الذي كان يدعو إلى الشرعية قرّر تأسيس "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" كمواجهة علنية لنشاطه، والطرف الذي كان يدعو للعمل المباشر قرّر إنشاء منظمة شبه مسلحة "المنظمة الخاصة"<sup>(4)</sup>.

بعد القرارات التي تم الاتفاق عليها في مؤتمر فيفري 1947م، أصبح حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية يواجه السلطات الفرنسية على جبهتين "جبهة شرعية علانية، وجبهة غير شرعية

1 أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 147.

2 يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص 262.

<sup>3</sup> لقد عارض الطرف الذي كان يدعو للعمل المباشر المشاركة في الانتخابات واعتبرها اعترافاً ضمنياً للنظام المؤسساتي القائم، وفي تأخير الثورة ورفعوا شعار "لا للتعاون" واعتبروا أن الاستقلال هو الهدف وأن كل مطالب سياسية و اجتماعية جزئية تعني إخراج الكفاح من مساره.

4 أحمد عبيد، المرجع السابق، ص 132.

سرية" فبالنسبة للجبهة الأولى فقد كان للحركة خمس نواب في البرلمان الفرنسي يدافعون عن الحقوق الوطنية للجزائريين، كما كان لها نفوذ واضح على عدد هام من البلديات من بينها العاصمة وهران وقسنطينة وعنابة وسكيكدة والبيدة، وكانت دعاية الحركة في الميدان تتمحور حول استقلال الجزائر والانضمام إلى الجامعة العربية، أما على صعيد الجبهة الثانية فإن الصراع بين المنظمة الخاصة وإدارة الاحتلال كان قد اتخذ شكلا عنيفا، ذلك أن هذه المنظمة حملت على عاتقها الإعداد للثورة، وبث الروح الثورية في نفوس الشباب الجزائري، بعد أن تأكدوا-أعضاء المنظمة الخاصة- من أن الكفاح المسلح هو الحل الوحيد للتخلص من السيطرة الأجنبية وبلوغ الهدف الذي عملوا لأجله أزيد من عقدين من الزمن وهو الاستقلال<sup>(1)</sup>.

إن قرار الانتقال من العمل السياسي إلى العمل العسكري ومن العمل في ظل الشرعية إلى العمل السري، ورغم اكتشاف المنظمة الخاصة وحلها سنة 1950م، وخضوع مصالي الحاج للإقامة الجبرية، إلا أنه لم يتخلي أبدا عن المبدأ الثوري الاستقلالي، ففي "نيور niort" بفرنسا خلق جو تضامنيا للحركة الوطنية الجزائرية خاصة من قبل دول العالم العربي والإسلامي، كما أدى دور الداعية-ليس بالمفهوم الديني للمصطلح- من أجل تعريف سكان هذه المنطقة بالقضية الجزائرية، وتأكيدا في استمرار مصالي الحاج في خطه السياسي الشعبي الاستقلالي عبر قائل: "سياستي المستقبلية هي نفس سياستي بالأمس واليوم، وستكون مطابقة للحزب التي بدونها لا يمكن الحديث عن الوطنية والاستقلال الوطني"<sup>(2)</sup>.

وعليه ما يمكن نشير إليه في الأخير حسب ما ذكره الأستاذ يوسف حميطوش أن مصالي الحاج قد شارك بطريقة غير مباشرة في الإعداد لثورة 1 نوفمبر 1954م، سواء من خريجي مدرسة حزب الشعب والمنظمة الخاصة، أو من خلال جماعة 22 أو جماعة التسعة<sup>(3)</sup>.

1 عبد الكريم بوصفصاف: "التحولات الأساسية في الحركة الوطنية الجزائرية (1945-1954)", مجلة سيرتا، ع5، ماي 1981، ص 34.

2 يحي بوعزيز: الإتهامات المتبادلة بين مصالي الحاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني 1946-1942، دار هومة، الجزائر، 2001، ص ص 56 57.

3 يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص 264.



## خاتمة الفصل.

- من خلال ما تم عرضه وتحليله ومناقشته في هذا الفصل خلصنا إلى استنتاجات تمثلت في:
- ساهمت عدّة مؤسسات في التكوين الفكري والسياسي لدى أعضاء الاتجاه الاستقلالي وعلى رأسهم مصالي الحاج، فكان للمؤسسات النقابية والحزب الشيوعي الفرنسيين دورا هاما في تطهيرهم وتكوينهم أيديولوجيا، وبالتالي فمن الطبيعي أن يتأثروا بتلك الأفكار التي نجدها انعكست على توجه مناضلي هذا الاتجاه ولو في بداية نشاطه الذي اصطبغ بالتوجه الماركسي، لكن ونظرا لعدة عوامل عدل من مواقفه وأصبح ذا توجه وطني إسلامي خلال فترة ثلاثينيات القرن الماضي.
  - ساهمت شخصية مصالي الحاج دورا لا يستهان به في مسار النضال الوطني على العموم، وفي مسار الاتجاه الاستقلالي على وجه الخصوص، فكان لنزعتة الفكرية والوطنية تأثيرا واضحا في الأوساط العمالية.
  - لقد تعددت الأطر المرجعية الفكرية والأيديولوجية لمصالي الحاج وتشابكت في ما بينها، فهو يراوح بين أكثر من مصدر مرجعي وحقل الإيديولوجي، فكان مشدود إلى موروثه العربي والإسلامي، منبها بمقومات الغرب، متفتحا على الفكر الاشتراكي والأفاق التي فتحتها الثورة البلشفية، لذلك فإننا حين نقوم بتتبع مسار الإيديولوجي نلمس تعدد الأطر المرجعية التي تحكمت في تفكير هذا الزعيم وحددت مساره حركته، فقد كان حريصا على توظيف مفهوم الجهاد، بدعوته إلى المقاومة والدفاع بكل الوسائل عن الشخصية الجزائرية ومقوماتها، وهو مُنطلق كذلك من وجود قيم مُشرقة في الفكر العربي، لكنه مُصرّ على أن تبقى قيم الحضارة العربية الإسلامية هي الأرقى، بالرغم من تفاعله مع الفكر الاشتراكي وبانفعاله مع تجارب اليسار وحركاته.
  - كانت من بين المسائل التي عاجلها هذا الاتجاه قضية الهوية الوطنية، التي أولاهها اهتماما بالغا فقد شغلت هذه الأخيرة حيزا هاما ضمن نشاطه ونضاله الوطني، فكان الدفاع عن الأمة الجزائرية ومقوماتها الشخصية والوطنية والتأكيد على أن العربية والإسلام عناصر أساسية في خصوصية المجتمع الجزائري وحضارته، لذلك كان هذا بمثابة رد فعل طبيعي على سياسة المسخ

والتشكيك التي عمدت إدارة الاحتلال الفرنسي إلى إتباعها منذ أن فرضت وجودها كواقع استعماري بالمنطقة.

- لقد قام هذا الاتجاه على مبدأي الدين الإسلامي واللغة العربية كعناصر ثابتة في النضال الوطني وعليه فقد اقترب بهذه الأيديولوجية كثيرا من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهذا التقارب عاد بالإيجاب في نظرنا إلى درجة ما على مسار النضال الوطني عموما ضد إدارة الاحتلال خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية والسنوات التي سبقت اندلاع ثورة الفاتح نوفمبر.

- إن اهتمام هذا الاتجاه كان منصبا على مطلب أساسي تمثل في الاستقلال، لذلك فإذا قمنا بتقييم المطلب الاستقلالي لدى هذا التيار، فقد كان رئيسه همه الوحيد هو التأكيد على الاستقلال والحرية، فمنذ مطالب 1927م وإلى غاية المؤتمر الثاني لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة أبريل 1953م، مرورا بقوانين الحزب سنة 1928م وبرنامج 1933م ثم برنامج حزب الشعب الجزائري سنة 1937م، لم يتوقف عن المطالبة بالاستقلال وعلى التأكيد على البعد الوطني، وذلك باستعمال العديد من الوسائل كالصحافة الحزبية والمناشير والدعاية في الأوساط الشعبية مستغلا ترأسه لجهازه الحزبي على أمل تحقيق القاعدة اللازمة واستجابة الجماهير للوصول إلى الهدف الذي سطر من قبل.

## الفصل الثالث:

الفكر الليبرالي في خطاب النخب الجزائرية المفرنسة.

المبحث الأول: المرجعيات الثقافية والفكرية والسياسية لدى التيار الليبرالي.

المبحث الثاني: الفكر الإيديولوجي لدى تيارات الاتجاه الليبرالي.

المبحث الثالث: مسألة الهوية في خطاب التيار الليبرالي.

خاتمة الفصل.

المبحث الأول: المرجعيات الثقافية والفكرية والسياسية لدى التيار الليبرالي.

إن الخوض في موضوع المرجعيات الثقافية والتوجهات الفكرية والسياسية لهذا الاتجاه يرتبط أساسًا بحركة الشبان الجزائريين والتي ظهرت على إثر الحراك السياسي الذي شهدته الجزائر مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، والتي شكلت ما يعرف بالنخبة الجزائرية المفرنسة، وعليه يجيلنا هذا قبل الخوض في موضوعنا، إلى ضرورة الفصل في مفهوم مصطلح "النخبة".

لقد انتشر مصطلح النخبة المفرنسة في الصحافة الفرنسية مطلع القرن العشرين، إذ أطلق على جماعة من الناس لتمييزهم عن بقية أفراد المجتمع، وكان ذلك لأجل تشجيع هذه الفئة "النخبة المفرنسة" التي كانت تدعو إلى الاندماج في المجتمع الفرنسي، لأنهم حملوا الفكرة وتبنوها نتيجة ثقافتهم وأفكارهم التي تكونت لديهم جراء تتلمذهم في المدارس الفرنسية، هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى - سنستعرضها بالشرح لاحقًا - وبالتالي فقد مثلت هذه الفئة الحلقة المفقودة في المجتمع الجزائري، التي تحقق تكوينها بفعل السياسة التعليمية الفرنسية، وعليه أصبحت في طليعة المجتمع التي حملت على عاتقها مسؤولية التأثير على الأهالي للاندماج في المجتمع الفرنسي.<sup>(1)</sup>

في حين يرى الأستاذ أبو القاسم سعد الله بأن النخبة الجزائرية ظهرت مع أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وهم قلة من الشبان الجزائريين الذين تأثروا بأفكار الغرب وتبنوا وسائل عيشه وطريقته في العمل وثقافته وتعليمه وأرادوا تحويل المجتمع الجزائري إلى مجتمع أوروبي، في حين كان لفئة منهم ميول وروابط للدين الإسلامي وتقاليد المجتمع الجزائري والتمسك بالأحوال الشخصية الإسلامية.<sup>(2)</sup>

وفي سياق متصل نجد أن هذه الفئة عُرِفَت بأسماء متعددة حسب المؤرخ الفرنسي شارل روبير أجيرون وتراوحت تسمياتهم بين المثقفين والأنتلجنسيا والنخبة والشبان الجزائريين، لكنه جمع الكل تحت

<sup>1</sup> إبراهيم مهديد: القطاع الوهراني ما بين (1850-1919) دراسة حول المجتمع الجزائري: الثقافة والهوية الوطنية، منشورات دار الأديب، الجزائر، 2006، ص ص 83 84.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص ص 161 - 163.

تسمية الممثلين (التمثيل البرلماني) والمطالبين، لأنه أضاف لخريجي المدارس الفرنسية بعض التجار والصناعيين والحرفيين ذوي المهن الحرّة والمترجمين.<sup>(1)</sup>

وعلى النقيض من هذا، يحصر شريف بن حبيلس (1891م-1959م) جماعة النخبة في خريجي المعاهد والجامعات الفرنسية لأن المثقف حسبه الذي لم يتلقَ تعليمًا وتكوينًا في المؤسسات العليا لا يمكن أن تُطلق عليه هذه الصفة، فعرف النخبة قائلاً: "إنهم ثرايا الشباب الناشئ، المتخرج من الجامعات الفرنسية، والذين تمكنوا بفضل عملهم أن يرتقوا فوق العامة، ويتموقعوا في الجزائر، الحاملين للحضارة عن جدارة وهو نيشان - كذا- لا تستطيع منحه لكل أهالي الجزائر".<sup>(2)</sup>

وفي تعريف آخر، تحدث الباحث الروسي فلاديمير ماكسيمينكو الذي اعتمد في تصنيفه على عدة آراء حين تقسيمه للنخبة الجزائرية، فقام بتصنيفها إلى فئتين: المفكرون والمثقفون، وقام بتوضيح الفرق بينهما، فالمفكر -حسبه- هو الذي يعيش من عمل الفكر وفي سبيل الفكر، أما المثقف هو من تحصل على تعليم حديث ويعيش باستخدام ومن أجل استخدام أفكار اجتماعية وسياسية.<sup>(3)</sup>

بناءً على ما تم ذكره، فمن الصعوبة الجزم بدقة من كان من الشباب الجزائري، أو تحديد عددهم، ولاسيما في ظل تعدد تسمياتهم، ولكن يمكن القول بلا شك أن الشباب الجزائري الحقيقي هم فقط ممن تلقى تكوينًا ضمن الثقافة الفرنسية. وهذا يحيلنا إلى طرح تساؤل مهم للغاية، فيما تمثلت أهم المؤسسات التي تحكمت في التكوين الثقافي والفكري والسياسي لأصحاب هذا الاتجاه؟ وهل كان للانتماء الاجتماعي دور في ذلك؟

## 1- تأثير المدرسة الفرنسية:

يرى عالم الاجتماع الأمريكي "تالكوت بارسونز talcoot parsons" أن المدرسة تقوم بوظيفة أساسية تتمثل في تكوين الطفل من أجل جعله يتمسك بالقيم التي تجسد الترابط الاجتماعي، كما

<sup>1</sup> Charles Robert Agereron: Le Mouvement Jeune Algérien de 1900 à 1923, études Maghrébine, Mélanges Charles André Julien, T 11, Extrait 1994, Paris, p 226. 227.

<sup>2</sup> شريف بن حبيلس: الجزائر فرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر: عبد الله حمادي وآخرون، دار المسك، الجزائر، 2012، ص 139.

<sup>3</sup> فلاديمير ماكسيمينكو: الأنتلجنسيا المغاربية؛ المثقفون، أفكار ونزاعات: تر: عبد العزيز بوباكير، دار ميم للنشر، ط 1، الجزائر، 2019، ص ص 107-110.

تعمل على تكوين الفرد وتنشئته على القيم التي تسود المجتمع والمتعلقة بالوسط<sup>(1)</sup>، وانطلاقاً من هذا الدور، راحت فرنسا تركز على احتلال العقول، فعملت قبل ذلك على تحطيم التعليم التقليدي، الذي يقوم على الزاوية والمسجد وكانت تؤديه المؤسسات التعليمية الجزائرية العربية الإسلامية، ومن ثم نشر قيمها الحضارية وثقافتها بشكل تخريبي في عقول الأطفال، وفق ما يخدم مصالحها وسياساتها الاحتلالية. وعليه، فإن قيام فرنسا بتفكيك البنى التقليدية لم يكن مجرد تفكيك اقتصادي وسياسي بل كان جوهره ثقافي أيديولوجي، ولعله العنصر الهام والمحدد، فقد كان لظهور المدرسة الفرنسية في الجزائر نقلة معرفية وحضارية هامة بحكم ارتباطها بشبكة من المؤسسات والهيكل ذات الصيغة الوظيفية مثل التعليم والإدارة والقضاء والترجمة، ومن ثم تبدل مفهوم التعليم التقليدي الذي أصبح نواته التهميش والفقر، ومع ظهور المدرسة الفرنسية المعاصرة، تضاءل دور المؤسسات التقليدية التي كانت تعيد إنتاج النسق الثقافي والأيديولوجي، خاصة وأن اللغة التي ستستعملها البرجوازية الجديدة هي الفرنسية، وطبيعي جداً إذاً أن تبرز "أنتلجنسا جديدة" في ملامحها وجذورها ومنطلقاتها وطروحاتها.<sup>(2)</sup>

في خضم هذا، وبسبب الحالة الصعبة التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك، خلقت ظروفًا معينة مهدت إلى ظهور أيديولوجيات ثقافية جديدة ارتكزت على التأثر بالآخر، وتقليده وكذا الأخذ بأسباب حضارته، والتي تدور في فلك الحضارة الفرنسية كرمز للتخلص من احتقار الحياة والثقافة الأهلية، فعملت فرنسا على تحديد هدفها وذلك باختيار فئة معينة في إطار مشروعها الثقافي، وفي هذا السياق يشير الأستاذ الجمعي خمري بأن الفضل في تكوين هذه الفئة المتشعبة بالثقافة الفرنسية الحديثة يعود في الأساس إلى المدرسة الفرنسية بنوعها المدنية والعسكرية، فالمشروع الثقافي الفرنسي تزامن والحرب التي استهدفت الجزائر.<sup>(3)</sup>

لقد كانت إدارة الاحتلال تعتبر المدرسة الفرنسية أداة فاعلة لترسيخ السيطرة على الأرض، فحسب أحد الفرنسيين الذي قال: "لقد تم الاحتلال الأول للجزائر بقوة السلاح، وانتهى عام

<sup>1</sup> عادل السكر: نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1999، ص 141.

<sup>2</sup> عبد القادر جغلول: الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، تر: سليم قسطون، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1984، ص ص 198-200.

<sup>3</sup> الجمعي خمري: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1900-1930)، ج 1، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، فسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002-2003، ص 72.



1871م بنزع سلاح القبائل، ويتضمن السلاح الثاني قبول إدارتنا وعدالتنا من قبل أهل البلد، أما الاحتلال الثالث فسيتم من خلال المدرسة، فالاحتلال سيؤكد تسلطه على اللغة لمختلف لهجاتها المحلية، وإدخال الفكرة التي نحملها بأنفسنا عن فرنسا ودورها في العالم إلى أذهان المسلمين وذلك بإبدال الجهد والأحكام المسبقة المغالية بمفاهيم أولية للعمل الأوروبي الدقيق".<sup>(1)</sup>

إن قيام فرنسا بفرض نظامها التعليمي على المجتمع الجزائري الذي تقبلته فحة منه، يرجع في الأساس إلى طبيعة علاقات القوى التي أنتجتها وحمتهما الأوضاع الإستعمارية القائمة، فالقوة العسكرية الفرنسية لم تفرض قانون المدرسة في الجزائر بطريقة مباشرة، ولكن مع مرور الوقت وبحكم عدة عوامل سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية تمكنت من فرض هذه المدرسة في الجزائر وعلى المجتمع الجزائري بالترغيب وليس بطريقة إلزامية، ونتيجة لهذه السياسة انهار النظام التعليمي الجزائري التقليدي بسبب الإجراءات التي اتخذتها السياسة التعليمية الفرنسية، وفي الوقت نفسه تم ادخال المدرسة الفرنسية كبديل لنظام التعليمي السائد بالبلاد، وبذلك تم الاعتماد عليها كوسيلة لنشر الثقافة الجديدة والمدنية الفرنسية محل الثقافة الأصلية من ناحية وإعادة إنتاج نظام الإنتاج من ناحية أخرى.<sup>(2)</sup>

وعملاً بهذا، عملت الإدارة الفرنسية على تحويل التعليم في الجزائر من تعليم عربي تقليدي يركز على المؤسسات الدينية كالمساجد والكتاتيب والزوايا، إلى تعليم غربي أوروبي يقوم على مدارس حديثة المناهج علمانية والطرق جديدة حتى تتماشى والوضع الجديد الذي أوجده الاستعمار، ومن خلال هذا يتم التحكم في العقول والأشخاص فيتم تحويل العقلية الجزائرية من عقلية عربية إلى عقلية فرنسية غربية، فبعد الدراسة التي قام بها خبراء الشؤون الاجتماعية على المجتمع الجزائري أدركوا بأنه لا يمكن خلق جزائر فرنسية إلا إذا تم فصل الجزائر وعزلها عن محيطها العربي والإسلامي، وتنفيذاً لهذا المشروع عمدت الإدارة الفرنسية إلى انتقاء فئة من أطفال الجزائر وإرسالهم إلى فرنسا، بغية تكوينهم بعيداً عن بيئتهم اللغوية والثقافية.<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> عبد القادر جغلول: تاريخ الجزائر الحديث: دراسة سوسولوجية، تر: فيصل عباس، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1983، ص 77.

<sup>2</sup> يوسف حميطوش: المرجع السابق، ص 186، 187.

<sup>3</sup> أحمد بن نعمان: التعريب بين المبدأ والتطبيق في الجزائر والعالم العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 156.

لقد كان التعليم الفرنسي الذي فرض في الجزائر في نظر منظريه يؤدي دورًا هامًا في التأثير الفكري على الجزائريين، فكان يمنح الشرعية للاحتلال الفرنسي من ناحية، ومن جهة ثانية يضمن استمرار النتائج السياسية لهذا الغزو، والمتمثلة في فرض السيطرة على المجتمع الجزائري، وبهذا الخصوص يقول "الدوق دومال doc daumale": "بأن فتح مدرسة وسط الأهالي أفضل بكثير من إعداد فيلق كامل من الجيش في تهدئة البلاد".<sup>(1)</sup>

لقد عملت الإدارة الفرنسية تنفيذًا لذلك على تشييد العديد من المدارس، والتي كان غرضها العمل على تغريب المجتمع الجزائري، وكذا خلق فئة موالية تخدم مصالحها مستقبلاً، بدءًا من سنة 1833م والتي حدث خلالها إنشاء المدرسة الفرنسية بالجزائر، تقوم بتعليم مبادئ الحساب والكتابة باللغة الفرنسية للأوروبيين والأهالي على حدٍ سواء<sup>(2)</sup>، وبدءًا من هذه السنة عرفت البلاد حركة واسعة لتشييد المدارس الفرنسية في كبريات المدن، ومن أبرزها وأكبرها مدرسة بوزريعة خاصة من حيث عدد خريجها الذين أطلق عليهم بالمدرّسين المسلمين من أصل أهلي، الذين حملوا على عاتقهم تأسيس حركة الشبان الجزائريين، أمثال رابح زناقي، وطهرات وبن رحال وغيرهم، هذا وكان للمدرسة العسكرية كذلك دورا كبيرا في التكوين الثقافي للشبان أبناء العائلات ذات التقليد العسكري أمثال بن سديرة وإسماعيل حامد والأمير خالد وبن بريهمات<sup>(3)</sup>، وفي هذا الصدد يقول أحد الأفراد الذين ينتمون لعائلة بن بريهمات معلقًا عن فضل فرنسا ومدارسها متحدثًا: "... ولما ثبتت منفعة هذا الانضمام واتضحت فائدته، وجب حينئذٍ تحسينه وتقويمه على وجه لائق وسبيل فائق انقلب إلى صفة الأمة، ونظم كنظام فرنسا وغيرها من الأمم المنتظمة، ثم إنه يحصل من هذا الانضمام فوائد شتى منها ما هو حسي ومنها ما هو معنوي.... فمنهم من يشتغل ببناء أماكن الإسكان والإيواء ومنهم من يشتغل بتهديب أخلاق الأمة... فبالانضمام والتعاون التحق الجهلة بالمدارس والمكاتب".<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> Guy Parville : Les Étudiants Algériens de l'Université Française (1880-1962), éd du centre national de la recherche scientifique, Paris, France, 1984, p 16.

<sup>2</sup> Fanny Colonna : Instituteurs Algériens (1883-1939), office de O. P. U, Alger, 1975, p 16.

<sup>3</sup> الجمعي خمري: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين...، ج1، المرجع السابق، ص 78.

<sup>4</sup> عمر بن حسن بن بريهمات: النهج السوي في الفقه الفرنسي، المطبعة الشرقية ببيروت، 1908، ص ص 04 05.

لقد ارتبطت النخبة بالموروث الغربي نتيجة تلقينها في المدارس الفرنسية لأسس ومبادئ الحضارة الأوروبية، ورسخت البرامج التكوينية فيها النموذج الفرنسي كأبرز مثال جسد تحرر الفكر، وقاوم لإقرار المبادئ الأساسية المشتركة، أي باختصار اعتمادها فلسفة الثورة الفرنسية وبالمقابل عمل ذلك التكوين على إظهار المنهزم بمظهر الدونية والتخلف.<sup>(1)</sup>

لقد شكلت اللغة الفرنسية إحدى المواد الأساسية التي ارتكزت عليها المدرسة الفرنسية بالجزائر فكان المبدأ الذي انطلق منه البرنامج المدرسي بأن التعليم الابتدائي لا يمكن أن يكون له أي أهمية أو تأثير حضاري إيجابي إلا إذا تبنى وسيلة التعبير التي تتمثل في اللغة الفرنسية، هذه الأخيرة تعتبر المحرك الأساسي للحضارة الغربية على العموم والحضارة الفرنسية خصوصا، فحسب البرامج المدرسية ستسهل اللغة الفرنسية ربط العلاقات بين الفرنسيين والسكان الجزائريين، وهي وحدها التي تجعل التقارب والحوار بين الطرفين، وقد أصبح درس اللغة الفرنسية مباشراً، وهو الدرس الأساسي باعتبار أنه يمنح للطفل نظاماً سامياً جديداً.<sup>(2)</sup>

تثير مسألة اللغة أهمية كبيرة في الاحتفاظ والاقتران بالموروث الثقافي، إذ تختلف دراسة أي حضارة بتعبير لغتها "باعتبار أن اللغة تخلق روح الأمة والتاريخ هو ذاكرتها وأحاسيسها"<sup>(3)</sup> فهي التي تجعل للمعارف والأفكار البشرية قيماً اجتماعية، وتحتفظ بالتراث للأجيال القادمة، وهذا ما ركزت عليه المنظومة الفرنسية في التعامل مع أبناء الجزائريين، لتيقنها أنه عن طريق اللغة ستربط الأجسام بالأذهان.<sup>(4)</sup>

وعليه، فقد أكد الواقع ضرورة ارتكاز المدارس الفرنسية على تلقين اللغة الفرنسية كمعطى أساسي لفهم محتويات التعليم الفرنسي من جهة، ومن جهة ثانية اعتبارها بمثابة الوعاء الذي يحمل الأفكار والوقائع المادية التي تعرّف الحضارة الفرنسية، بشكل تترسخ في عقول الأطفال الجزائريين وتسيطر عليهم، وتجعلهم بطريقة سلمية يتقبلون فرنسا، يقول في هذا الشأن بويسون buison: "إذا تكلم

<sup>1</sup> نفيسة دويذة: النخبة الجزائرية مسار وأفكار، دار ثالة، الجزائر، 2014، ص 165.

<sup>2</sup> يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص 190.

<sup>3</sup> ساطع الحصري: آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1985.

<sup>4</sup> نفيسة دويذة، المرجع السابق، ص 167.

الأهالي باللغة الفرنسية فحتمًا سيصبحون شبه فرنسيين، لذلك وجب علينا نشر التعليم في أوساط السكان المسلمين باللغة الفرنسية، التي هي وسيلة للتبادل بيننا وبينهم، ولتوصيل الأفكار".<sup>(1)</sup>

بالإضافة إلى اللغة التي ارتكز عليها برنامج التعليم الفرنسي الموجه للجزائريين كما سبق لنا وأن ذكرنا، حاولت السلطات الفرنسية الوصية تدعيم ذلك بدروس في مواد مختلفة، لعل أبرزها مادتي التاريخ والجغرافيا - التاريخ الأوروبي - بالإضافة إلى مادة التربية الأخلاقية، وهذا وفقًا للنظام الفرنسي المطبق في مستعمراتها.

تكتسي مادة التربية الأخلاقية في إطار مبادئ -الجمهورية الثالثة- بعد اللغة الفرنسية، مكانة مرموقة في النظام التعليمي والتربوي الفرنسي، لذلك فإن النموذج الوحيد للتعليم الفرنسي في الجزائر كان يتعلق بالمدرسة العلمانية كما توجد بفرنسا، فقاموا بوضع هذه المادة ضمن البرامج التي تلقن لأطفال الأهالي، وما يمكن الإشارة إليه فإن تلك البرامج التي ووضعت كانت تتطابق مثلما يوجد عليه التعليم بفرنسا، فعمل المعلمون الفرنسيون على نشرها وسط المجتمع الجزائري الذين قاموا بتربية وتلقين أطفال الجزائر بدروس تلك المادة، بشكل يصبح نزيهًا ومستقيمًا بالاعتماد على الجانب الأخلاقي والعلماني، ومن خلال هذا أراد واضعوا المقررات الدراسية آنذاك غرس أفكار في ذهن الطفل الذي يرتاد تلك المدارس مفادها أن فرنسا لا تريد أن تجعل من العرب أشخاصًا مستعمرين، وكان دور المعلم يكمن في تطبيق شعار الجمهورية "الحرية، المساواة والأخوة".<sup>(2)</sup>

تنفيذًا لهذا تقرر برمجته التعليم الأخلاقي في المدارس الفرنسية بالجزائر، الذي يهدف إلى تنمية الإرادة لدى الطفل وتطويرها، وإلى التركيز على الجانب النفسي والعاطفي، وهنا تم الاعتماد على كتاب أرنست لافيس Ernest Lavis في تدريس التعليم المدني، وكان السبب المباشر في اختيار هذا الكتاب كونه يحمل العديد من الأفكار التي من خلالها أرادت الإدارة الفرنسية ممثلة بمدريستها تمرير مشروعها الحضاري المزعوم بغرس تلك الأفكار في عقول أطفال الأهالي وتنشئتهم عليها، ومن بينها نجد أن الكاتب قد عالج في كتابه مسألة الوطنية بقوة، واستخدم عبارة "الوطن، هي فرنسا كلها في الماضي

<sup>1</sup> Hubert Dessvages: "L'enseignement de Musulmans en Algérie sous le Rectorat de Jeanmaire : Le Role de l'école" Mouvement Social, n° 70, Jan-mars 1970, p 118.

<sup>2</sup> يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص ص 196 197.

أو حاضراً أو في المستقبل<sup>(1)</sup>، والذي اعتبر كل المستعمرات هي جزء لا يتجزأ من فرنسا لاسيما الجزائر، هذا وعالج الكتاب فكرة الجمهورية، وراح مدرسو تلك المدارس يروجون لتلك الأفكار بغية التأثير على هؤلاء الأطفال علّهم يحملونها، ويصبحون هم المدافع الأول عنها في المستقبل، وبخصوص ذلك كتب: "الجمهورية هي البلد أين كل الشعب يجب أن يكون متعلم ومثقف ونزيه لأجل تعيين حاكمه، الأكثر اضطلاعاً وتقديراً واحتراماً، وأنتم يا أطفال بدوركم يجب أن تختاروا النواب الذين يختارون رئيس الجمهورية، يجب أن تتعلموا منذ طفولتكم، وتقومون بتطوير فكركم ومعارفكم...الجمهورية هي إرادة الشعب السيد"<sup>(2)</sup> فضلاً عن كل هذا، فقد تم تلقين هؤلاء الأطفال وتعليمهم مبدأ الاقتراع بالقول: "الحق في الاقتراع يفرض على الكل واجب التعليم"<sup>(3)</sup>.

هذا شغلت مادة التاريخ حيناً كبيراً في البرنامج الدراسي المقرّر بالمدارس الفرنسية والموجه للأطفال الأهالي، وذلك عملاً لتحقيق الأهداف المسطرة سلفاً وبخصوص هذا يقول الأستاذ يوسف حميطوش: "يتمثل رهان تعليم وتدرّس تاريخ آخر للجزائر يتلاءم أكثر فأكثر مع الأهداف السياسية للتعليم الفرنسي، ويمجد عظمة فرنسا، وهي قيم تركت آثارها على فرحات عباس وبقية أفراد النخبة، وأما عن مهمة المعلم في هذا، فتتمثل في تعليم الأطفال حب فرنسا، وتبيان عظمة فرنسا، وأعمالها الخيرية والحضارية، ومن ضمن الدروس المقرّرة نجد هذه العناوين: فرنسا هي مركز الحضارة، باريس مدينة النور"<sup>(4)</sup>.

لقد انعكست هذه القيم، وتلك الأفكار على فكر هذه الفئة، لذلك فإن تأثير المدرسة الفرنسية كان كبيراً على تفكير أفراد النخبة، وذلك بإعطائهم صورة مثالية عن فرنسا تاريخياً وشعباً -ولعل دروس التاريخ المقررة أبرز مثال على قولنا- لذلك فقد أوقع هذا التأثير شبان النخبة في خجل من مجتمعهم الأهلي التقليدي، وبالأخص عاداته وسلوك أفراده، التي يربط أواصرها كل من الدين الإسلامي واللغة العربية والتاريخ المشترك، فكتب فرحات عباس قائلاً: "كانت كتبنا تصور فرنسا كرمز للحريّة، وكنا ننسى

<sup>1</sup> Ernest Lavissee : Les Récits de Pierre Leloi : Lecture Courante, Morale Civique, Cours Élémentaire et Cours Moyen, Paris, 1925, p 117.

نقلا عن: يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص 198

<sup>2</sup> Ernest Lavissee : op-cit, p 175.

<sup>3</sup> Ibid, p 117.

<sup>4</sup> يوسف حميطوش: المرجع السابق، ص ص 193 194.

جراح الشارع وبؤس الدواوير في المدرسة، نسير مع أبطال الثورة الفرنسية وجنودها في دروب التاريخ الكبرى".<sup>(1)</sup>

حسب الأنثروبولوجي الإنجليزي ادوارد تايلور Edward Tylor فإن انتقال العناصر الثقافية من مجتمع لآخر ومن فرد لآخر أمر مؤكد مثل اعتناق الأفكار والأيدولوجيات والمعتقدات، وعادة ما تكون الثقافة الدونية أو التي تحس بمركب نقص هي التي تقتبس من الثقافة العليا التي تشكل لها النموذج المثالي لتتشبه به، فالمغلوب ونتيجة القابلية للاستعمار تنتشر فيه ثقافة الغالب، حيث يرى الساعي فيها مصدرًا من مصادر الامتياز والقوة.<sup>(2)</sup>

لذلك فقد آمنت جماعة النخبة بالمدينة الفرنسية والتعليم الفرنسي على وجه الخصوص، والذي تقبلته عائلاتهم ومالت إليه، بل وطالبت به وكان ضمن أولويات مطالبتها الواجب تحقيقها، فقد رفضوا الحملة الفرنسية القائلة بأن الجزائريين غير قابلين للتعلّم، هذا وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه الجماعة قد احتجّت وأكدت بأن التجربة أظهرت بأنه لا فرق بين الطلبة الجزائريين والفرنسيين، وبأنهم ليسوا أقل كفاءة من الفرنسيين أنفسهم.<sup>(3)</sup> وهنا أكد بن حبيلس معلقًا بخصوص هذه النقطة قائلاً: "إنه تناهى إلى علمنا أن آخر الإحصائيات تقول بأن أفضل معدلات الرياضيات والفرنسية كانت من نصيب الأهالي، الحقيقة هي أن عقل الأهالي ليس أقل كفاءة بل بالعكس من ذلك فهو قابل للتعلّم والتطور والتفكير إذا سخرت له الإمكانيات وأعطى معلمًا جيدًا".<sup>(4)</sup>

لقد بلغ تأثير تلقي الثقافة الفرنسية الموجهة درجة كبيرة على فئة من جماعة النخبة، فما كان عليهم إلا أن تبنوا أفكار الغرب ووسائل عيشه، وتقليد ثقافته وتعليمه، كما سبق لنا وأن أشرنا، بل والأكثر من هذا فقد دافعوا عن فرنسا وكل ما يتعلق بها وخاصة اللغة الفرنسية، وهنا جاء في إحدى المقالات المنشورة في جريدة "صوت المستضعفين La Voix des Humbles"، تناول فيها كاتبه "محمد ليشاني" موضوع أهمية اللغة الفرنسية في الارتقاء بعقول الشباب الأهلي والسمو به، باعتبارها وسيلة

<sup>1</sup> نفيسة دويذة: المرجع السابق، ص 168.

<sup>2</sup> محمد السويدي: مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، الدار التونسية للنشر، م و ك، ط 1، تونس، الجزائر، 1991، ص 163.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص ص 164، 165.

<sup>4</sup> شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص ص 55، 56.



اتصال مباشرة مع روح فرنسا قائلًا: "المهم هو تعلم الفرنسية الجيدة التي من شأنها السماح لشباب الأهالي بالبقاء على اتصال مع روح فرنسا، وأن يكونوا فرنسيين بصفة ما".<sup>(1)</sup>

وفي سياق متصل، وبالرغم من مساعي فرنسا وإدارتها ومدارسها تكوين فئة تخدم مصالحها-التي نجحت في ذلك إلى حد ما- نجد فئة أخرى من جماعة النخبة تؤكد على انتمائها للحضارة الإسلامية غير أنها-تلك الفئة- ترى بأن الدين قضية تميز شخصي، وحاولت في بعض الأحيان العودة في طروحاتها الليبرالية إلى الحضارة الإسلامية، لأنه وفق ما قاله "فرحات عباس" أن الجزائر لم تفقد شخصيتها الإسلامية وستبقى عربية مسلمة، على الرغم من اعترافه بالفضل الكبير للثقافة الفرنسية عليه، لكنه في المقابل يؤكد تشبته بالإسلام كوطن روحي، وهذا ما نلاحظه في المقالات التي نشرها في كتابه المعنون بـ "الشباب الجزائري"، هذا وأكد على أنه وجماعته، بالرغم من تأثرهم بالثقافة الفرنسية، لم يفصلهم ذلك عن شعبهم ولا عن دينهم فقال: "فالإسلام بعد أربعة عشر قرنا صار دين الشعب الجزائري قاطبة، وعليه أصبح الإسلام في الجزائر في عقر داره، فمن العبث محاربه لأنه قادر على الصمود في وجه كل تخريب أو تهلم".<sup>(2)</sup>

كانت مساعي فرنسا من وراء كل مخططاتها تهدف إلى إدماج هذه النخبة ضمن كيانها، لذلك توجب عليها محاولة القضاء على الشخصية الوطنية الجزائرية، وذلك عن طريق السياسة التعليمية المنتهجة من طرف الإدارة الفرنسية، وهذا ما نجحت فيه -في نظرنا إلى حد ما- إذ يؤكد الأستاذ المنصف وناس ذلك قائلًا: "كما تعمق هذا الانشطار مع انكفاء (انطواء) المؤسسات الثقافية التقليدية على ذاتها وانتشار المدرسة الفرنسية باهتمام الفئات الحضرية، وخاصة الشابة منها... وهكذا نشأت في الجزائر أنتلجانسيا جديدة مستفيدة من التحديث الاستعماري، متطورة في وعيها".<sup>(3)</sup>

بعد أن قطعت فرنسا أشواطاً في مشروعها، خاصة بعد مرور نصف قرن من تطبيقها لسياستها التعليمية الموجهة للأهالي صرح فيليكس غوتيه félix gautir قائلًا: "بأن الذين تعلموا بالمدارس

<sup>1</sup> La Voix des Humbles, Nov 1925.

<sup>2</sup> فرحات عباس: ليل الاستعمار...، مصدر سابق، ص 91.

<sup>3</sup> المنصف وناس: المسألة الثقافية في الجزائر: دراسة في التغيير الثقافي والاجتماعي، المطبعة العربية، تونس، (د ت)، ص 24.

الفرنسية من أبناء الأهالي الجزائريين هم بمثابة فئة هجينة-أطلق عليهم مصطلح الخلاسين\* ثقافيًا- إذ لا يمكن اعتبارهم في نهاية المطاف لا هم جزائريين ولا هم فرنسيين"، وعليه، فقد تم التأكيد على أن هذه الفئة هي المنتجة لسرطان الفرنكفونية-حسب وصف الأستاذ عبد الله حمادي- بمختلف أبعادها التي تحدد الهوية الوطنية، لأن أعضائها أُطلقت عليهم صفة خدام فرنسا".<sup>(1)</sup>

يُعتبر كلام عبد الله حمادي وصفًا دقيقًا وصریحًا لأبعد الحدود، ذلك لأن هذا هو المطلوب من السياسة الثقافية الفرنسية، لأن فرنسا لم تحضر للجزائر لإقرار السلم والأمن، بل لنشر الحضارة واللغة الفرنسية والمدنية الأوروبية- كما يزعمون-، باعتبار الجزائر- حسبهم- جزءًا من فرنسا التي تريد أن تخلق فيها فئة تندمج ضمن كيائها عن طريق اللغة والعادات، وبخصوص هذا يقول السيناتور كومباسcombes: "أكبر من القوة، أشد من المصلحة، وأعظم من اللذة المادية، سيكون لتعليم الأهالي هذه الفعالية في تقليص المسافة، وجعلهم يحيون بالمفاهيم نفسها وتعويدهم على اعتبار أنفسهم أعضاء من العائلة الإنسانية نفسها، والأمة نفسها، والتعامل مع ذواتهم وفقًا لذلك".<sup>(2)</sup>

لقد سعت إدارة الاحتلال الفرنسي في الإسراع لتطبيق مشروعها الثقافي بانتقاء فئة محدّدة، غير أنها بقيت حذرة نوعًا ما وتخوفت من تغلب النزعة العربية والإسلامية داخل تلك الفئة التي تم انتقائها، وهذا ما تحدث عنه دو فوكو de foucauld سنة 1916م قائلاً: "... إذا امتنع المسلمون من اعتناق المسيحية، حتما ستظهر في كبريات المدن فئة من المثقفين من بين أولئك الذين درسوا بالمدارس الفرنسية، ولكنهم غير متأثرين لا بالفكر ولا بالقيم الفرنسية، صحيح أن تلك النخبة ستفقد نوعًا ما إيمانها بالإسلام، لكنها وبالرغم من ذلك ستحافظ عليه كشعار يسمح لها بالتأثير على جموع الشعب الذين سيبقون متمسكون بعقيدتهم، التي تكن الكره والعداء لفرنسا، وعندما يحين الوقت فإنها حتما سوف تستعمل الإسلام كأداة لتحريك الجماهير الشعبية نحو تأسيس إمبراطورية مسلمة مستقلة".<sup>(3)</sup>

\* خلاسي Métis: تعني حسب أصولها ذلك الإنتاج البشري الذي يحصل نتيجة التزاوج الهجين. للمزيد ينظر: عبد الله حمادي: الحركة الطلابية في الجزائر (1871-1962)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، (د ت)، ص 14.

<sup>1</sup> عبد الله حمادي، المرجع نفسه، ص 31.

<sup>2</sup> كميل ريسلير: السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1830-1962)، تر: نذير طيار، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، ط 1، 2016، ص 228.

<sup>3</sup> غي بريغلي: النخبة الجزائرية الفرنكفونية (1880-1962)، تر: حاج مسعود وآخرون، دار القصة، الجزائر، 2007، ص 120.

يتضح لنا مما تمّ عرضه أن الإدارة الفرنسية لم يقتصر هدفها في القضاء على اللغة العربية وإحلال مكانها الفرنسية فقط، بل تعداه إلى محاربة الإسلام بغية القضاء عليه وإحلال المسيحية، وذلك من أجل اكتمال المشروع التغريبي الفرنسي، وعملاً على هذا قام المستشرق الفرنسي ألفرد بل Alfred Bel بعد دراسته الوضع العام بوضع تقرير واقترح فيه حلاً لمواجهة ذلك، وذلك عن طريق انتقاء فئة من الأهالي ذوي ثقافة غربية إلى التعليم الثانوي والعالى الفرنسي كونه أنجع وسيلة لفصلهم كلياً من مجتمعهم ووسطهم المسلم وهكذا سيصبحون بلا انتماء اجتماعي، وفي هذا السياق أكدت الباحثة فاني كولونا Fanny Colonna التي حاولت دراسة المجتمع الجزائري من منطلق إثنوغرافي وبنظرة سيكولوجية على ضرورة جذب تلك الفئة للغرب، عن طريق إبعادها عن ثقافتها الأصلية وذلك سيسهل عليهم تجريدتها من الإسلام "وتصبح ناكراً" لهويتها وعروبته ومعتقدهً بأنها فرنسية.<sup>(1)</sup>

إن المتمعن في هذا الكلام، يقف حتماً على وجود أمثلة عديدة تجسده على أرض الواقع، بينت احتقار هذه الفئة للحياة الاجتماعية الأهلية، وفي المقابل نجدهم يمدحون ويمجدون كل ما هو فرنسي، وأبرز مثال عن هذا، المقال الذي كتبه فرحات عباس في 27 فيفري 1936 في العدد 24 من جريدة الوفاق بعنوان "على هامش الوطنية: فرنسا هي أنا".<sup>(2)</sup>

ما تجدر الإشارة إليه فإن هذا خطاب الذي كتبه فرحات عباس يصب بطريقة مباشرة في الخطاب الاستعماري ويثبت ما حاول لأجله هذا الأخير لأن يثبت خلال قرن من الزمن ذلك الخطاب الذي ينكر الشخصية الوطنية، لذلك فيد جعل هذا جمع من الباحثين والمؤرخين يؤيدون الطرح الذي يقرّ بسقوط فرحات عباس في أطروحة الخطاب الاستعماري وكان على وعي تام بفرضية المستعمر التي تؤكد الفراغ السياسي والحضاري للجزائر يوم احتلالها.<sup>(3)</sup>

على العموم، فقد نهل أفراد النخبة من العلوم والمعارف التي كانت تقدمها المدارس الفرنسية والبرامج الموجهة التي فرضت وتم تلقيها لمرتادي هذه المؤسسات من أطفال الأهالي، فقد كانت تلك البرامج مؤدجلة منتقاة بعناية تمجد الغرب وتؤيد الفكر الأوروبي، وتصور فرنسا على أنها مركز الحضارة

<sup>1</sup> فريد حاجي: السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر (1837-1937)، دار الخلدونية، الجزائر، 2013، ص ص 396 397.

<sup>2</sup> L'entente, n° 24, 27 Fev 1936.

<sup>3</sup> سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص 10.

وفي المقابل تقزيم وتشويه كل ما هو جزائري عربي وإسلامي، وبالتالي أثر ذلك كثيرًا في فكر هذه الفئة وتكوينها ومبادئها، لتصبح موالية لفرنسا خاصة وأنها تشكلت في رحم الإدارة الفرنسية الاستعمارية، واتخذت منها منطلقا وعليه فلا غرابة بشأن موقفها.

## 2- تأثير البيئة السياسية والثقافية:

بالإضافة إلى التعليم الذي كان له تأثير واضح في تكوين النخب الجزائرية المفرنسة، فإن للبيئة السياسية والثقافية على المستوى الداخلي نصيب في ذلك، ولعل أبرز ما نذكره هو تسرب الأفكار الاشتراكية والشيوعية إلى الجزائر.

بالعودة إلى الوراء وبعد الثورة الفرنسية سنة 1789م، أين تم تداول لأول مرة اسم اليسار في القاعة الكبرى بقصر فيرساي، أين كان يجتمع نواب المجلس التشريعي قبل انتقاله إلى باريس، وما صاحبها من أحداث، فحسب أحد الفرنسيين فقد ذكر أن اليسار الفرنسي نفسه انقسم إلى ثلاث أجنحة وهي اليسار الجمهوري واليسار الاشتراكي واليسار الشيوعي والتي انبثقت عن ثلاث ثورات متتالية وهي الثورة الفرنسية ثم الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر ثم الثورة البلشفية في روسيا سنة 1917م، ويضاف إليها الجناح الرابع وهو اليسار المتطرف، ولقد أثمر توحيد أجنحة اليسار الفرنسي إلى تأسيس الجمهورية الثالثة سنة 1877م خلال النجاح الانتخابي ضد منافسيهم الملكيين، كما شهدت سنة 1902 نجاح كتلة اليسار في الترويج للعلمنة، تبعثها سنة 1936 التي نجحت خلالها الجبهة الشعبية للصعود إلى سدة الحكم في فرنسا.<sup>(1)</sup>

في خضم هذه الأحداث المليئة بالمتناقضات، طبيعي جدًا أن تتسرب إلى الجزائر باعتبارها مستعمرة فرنسية فانعكست على الجزائر، فالفرنسيين دافعوا عن الاشتراكية وفي الوقت نفسه طالبوا بالإبقاء على النظم الاقتصادية كالبرجوازية والملكية الفردية<sup>(2)</sup>، وبذلك فقد انعكست هذه الأحداث على النخبة الجزائرية المفرنسة التي كانت تتردد على المدارس الفرنسية لتدرس هذا التاريخ والذين تأثروا بها، فكان وصف فرحات عباس دقيقًا وقد أبرز ذلك فقال: "وكان كل من تخرج من المدارس منا يشارك

<sup>1</sup> خالد بوهند: النخب الجزائرية: دراسة تاريخية اجتماعية (1892-1942)، دار القدس العربي، وهران، الجزائر، (د ت)، ص ص 210 209.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 210.

هذا الأمل، إن الكتب كانت تصور لنا فرنسا كرمز للحرية، في مقاعد الدراسة كنا ننسى جروح الشارع ومآسي القرية لنسلك جادة التاريخ محلقيين جنباً إلى جنب مع أصحاب ثورة 1789م الفرنسيين وجنودها الأبطال".<sup>(1)</sup>

هذا ومن جهة أخرى فقد تسرب إلى الجزائر أجنحة اليسار الفرنسي ممثلة في الحزب الاشتراكي بل والأكثر من هذا فقد تشكلت فروع الحزب الاشتراكي الفرنسي في الجزائر، الذي كان عليه أن يقوم بتنظيم نفسه والاهتمام بقضية الجزائر، وهذا ما حدث حين عقدت فدراليته أول مؤتمر لها برئاسة "مارسيل كاشان" سنة 1908م انبثق عنها إصدار أول جريدة تحت اسم "الاشتراكي le socailiste"، لتعوض بعد ذلك بجريدة "الصراع الاجتماعي la lutte sociale" بسيدي بلعباس سنة 1909م، التي كانت تبحث عن شق طريقها تجاه الجماهير المسلمة وترويج الأفكار الاشتراكية، ولأجل ذلك ركزت عملها على تحسين ظروف الأهالي المادية وتحسين أحوالهم الاجتماعية.<sup>(2)</sup>

كان الاشتراكيون في الجزائر يشعرون بضرورة إدراج القضايا المتعلقة بالجزائر إلى جانب القضايا التي تعالج في خضم مؤتمراتهم، وذلك ما حدث خلال الانتخابات التشريعية لشهر نوفمبر 1919م، حين طالبوا بإلحاق الجزائر بفرنسا وإعادة ربطها وإلغاء الحكومة العامة من جهة أخرى، وفي تحليلها للوضع العام وتأكيداً على تنفيذ ما جاؤوا به من مطالب، استندوا على الوضعية التي يعيشها ما لا يقل عن خمس ملايين من البدو والعرب (الجزائريين) والاستغلال الذي كانوا يعانون منه معتبرين أن الأهالي المسلمين هم ضحية استغلال مزدوج من طرف البرجوازية الجزائرية والرأسماليين الأوروبيين.<sup>(3)</sup>

ومهما يكن، فقد كان بعض المناضلين النقائيين الجزائريين منضوون تحت الحزب الاشتراكي أو الفرع الفرنسي للاشتراكية الأممية العالمية (S.F.I.O) الذي بلغ عدد منخرطيه سنة 1932م حوالي 1500 منخرط، من بينهم المعلمين الجزائريين، ونخص بالذكر ابن الحاج أولحاج أستاذ الدروس التكميلية

<sup>1</sup> فرحات عباس: ليل الاستعمار...، مصدر سابق، ص 85.

<sup>2</sup> محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، مرجع سابق، ص 181.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 182 183.

بالجزائر العاصمة ولشاني، والعربي طاهرات معلم بقسنطينة والحاج حمو أو عمران و رابح زناتي معلم ومؤسس مجلة صوت المستضعفين، ثم مؤسس جريدة صوت الأهالي.<sup>(1)</sup>

وحتى نقف على مدى تأثير هذه الأوضاع التي كانت تعيشها فرنسا على المستويين الساحة السياسي والفكري على الجزائريين، ذلك المقال الذي كتبه "حسني لحمق" ونشره في جريدة صوت المستضعفين سنة 1931م الذي حاول من خلاله شرح الأسباب والدوافع التي جعلته يؤلف كتابه المعنون بـ: "رسائل جزائرية" ومدافعاً عن نفسه قائلاً: " رأيت أنه من الضروري عليّ أن أقوم بالرد على الانتقادات التي وُجّهت إليّ بخصوص موقفني من المسألة الدينية، إنني لا أهاجم الإسلام في حد ذاته وإنما أنتقد طرق ممارسته المبتذلة والقديمة في الجزائر، وإنني أؤكد على نقطة مهمة جدا تتمثل في ضرورة إعادة النظر في كيفية التعامل معه وطرق ممارسته، فإذا استمر هذا الوضع على ما عليه حتما سيؤدي ذلك إلى التخلف الاجتماعي والجهل والفقر".<sup>(2)</sup>

بالإضافة إلى ما تمّ ذكره، لا يمكن إهمال الدور الذي أداه تيار سياسي آخر وساهم في بلورة الفكر السياسي للنخبة الجزائرية المفرنسة، تمثل في الحزب الشيوعي الفرنسي الذي حاول من خلال ممثليه في الجزائر توسيع دائرة نشاطهم، فرغم الحذر الشديد الذي اتسمت به النخبة إلا أن الحزب الشيوعي ومثليه نجحوا في جذب بعض الجزائريين، لكن هذا لم يمنع تقارب الشيوعيين وحركة الشبان الجزائريين رغم معارضة الإدارة الفرنسية، وذكر "محفوظ قداش" أن الأمير خالد كان قد ربط علاقات مع الشيوعيين، وذلك لأنهم يناضلون لهدف مشترك.<sup>(3)</sup>

نظراً للعلاقة الاستعمارية الخاصة بين الجزائر وفرنسا، فإن الأفكار والأيديولوجيات الأوروبية قد وجدت طريقها بسهولة كبيرة إلى الجزائر، فالصحافة الفرنسية والصراع السياسي والمناقشات البرلمانية والكتب والكتابات الدعائية لمختلف الأحزاب قد تسربت إلى الجزائر، وكانت من بين تلك المذاهب التي

<sup>1</sup> خالد بوهند، المرجع السابق، ص ص 212 213.

<sup>2</sup> La Voix des Humbles: n 104, p p 06-09.

<sup>3</sup> محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، مرجع سابق، ص ص 190 191.



دخلت إلى الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى، الشيوعية وكانت أقواها، وذلك بسبب المبادئ التي كانت تبناها وتحاول الدفاع عنها، خاصة معارضتها للأنظمة الإمبريالية والاستعمار في العالم.<sup>(1)</sup>

وعليه، فلا غرابة أن نجد عناصر حركة الشبان الجزائريين يهتمون بذلك، كتب فرحات عباس معلقاً عن ذلك قائلاً: "لكن حركة الشباب الجزائري لم تزد إلا قوةً واتساعاً، إن النقاط الأربع عشر للرئيس ويلسون، واسترجاع بولونيا وتشيكوسلوفاكيا استقلالهما، وتحرير بلاد البلقان، وقيام روسيا الشيوعية، وتأسيس عصبة الأمم المتحدة وبروز تركيا الجديدة وانتصار مصطفى كمال على السيطرة الأوروبية وإنشاء حزب الدستور وحرب الريف وملحمة عبد الكريم خطابي، كل هذه الحوادث كانت مواضع الأحاديث في أوساطنا، وساهمت في ترقية مستوى شعبنا السياسي".<sup>(2)</sup>

على ذمة كلام فرحات عباس، فقد كانت حركة الجامعة الإسلامية وحركة الشبان الأتراك وانتصار مصطفى كمال تبعاً لها تأثير على الجزائريين، فإذا تحدثنا عن الجامعة الإسلامية، نجد أنها نشطت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بقيادة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، والتي كانت تدعو إلى إقامة الوحدة بين الدول الإسلامية خاصة بعد الفوضى التي أحدثتها الاستعمار في تلك البلدان، هذا ودعت إلى العمل على مواجهة مخططات أوروبا الإمبريالية والتصدي لها، ومهما يكن فقد كان لهذه الحركة تأثير على جل البلاد العربية على غرار الجزائر، يقول بشأن ذلك أبو القاسم سعد الله: "ومهما كان ميلادها، الجزائر أو الشرق الأدنى قد كان للجامعة الإسلامية وقع هام على الحركة الوطنية الجزائرية".<sup>(3)</sup>

وفي ذات السياق يذكر أبو القاسم سعد الله تأثر الشبان الجزائريين بأفكار الشبان الأتراك خاصة وأن أفكارهم كانت تتقاطع فيما بينها، لاسيما فكرة التقدم التي لطالما نادى بها، واعتبرت ثورة تركيا الفتاة وسقوط حكم السلطان عبد الحميد الثاني (1842م-1918م) جزءاً من حركة التقدم، كما

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص ص 329 - 330.

<sup>2</sup> فرحات عباس: ليل الاستعمار...، مصدر سابق، ص 87.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص ص 109 - 112.

نادت بنشر التعليم والمعرفة والعلمنة وتحرير المرأة، ومن تمظهرات هذا التأثير يذكر ذات المؤرخ أن بعض الشبان الجزائريين قد بدؤوا في استعمال الطربوش، الذي كان عزيزاً عند الشبان الأتراك الثائرين.<sup>(1)</sup> ومهما يكن فإن الانجازات التي حققها أتاتورك في الأناضول كانت محل إعجاب بالنسبة للشبان الجزائريين، كما كانت لأفكاره العصرية والعلمانية صدى في الجزائر، جعلت فرحات عباس آنذاك يوقع جل مقالاته خلال عشرينيات القرن الماضي باسم مستعار (كمال بن سراج<sup>(2)</sup>)، فاسم كمال نسبة إلى مصطفى كمال أتاتورك، وأسم بن سراج نسبة إلى شخصيتين هما: أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة وشاطو بربون البطل الذي ضحى بحياته من أجل الشهرة والمجد.<sup>(3)</sup>

### 3- دور النوادي والجمعيات الثقافية:

ساهمت العديد من العوامل في ظهور عدّة جمعيات ونوادي، من بينها خشية السلطات الفرنسية من التأثير الخارجي من جهة، ومن جهة أخرى ضمان بقاء النخبة الجزائرية متصلة بالثقافة الفرنسية، لذلك قام المشرفون على مكتب مصالح الأهالي بالسماح بتكوين الجمعيات والنوادي أو الانخراط فيها إن وجدت، والشيء البارز أنها ظهرت في أوساط النخبة المفرنسة المعروفة بالاندماجين، بحيث يذكر "موريس بولارد Maurice Poulard" أنه ومن أجل ضمان بقاء النخبة الجزائرية المفرنسة متصلة بالثقافة الفرنسية، ولضمان استمرار سريان المشاريع الثقافية الفرنسية ونشر المدنية الأوروبية وتكملة للدور الذي قامت به المدارس، سمحت الإدارة الفرنسية وفتحت الأبواب أمام النخبة الجزائرية المفرنسة للانخراط في تلك النوادي والجمعيات سواء داخل الجزائر أو في الجمعيات الفرنسية الأهلية بمبادرة من الليبراليين الفرنسيين.<sup>(4)</sup>

تعتبر الجمعيات والنوادي الثقافية في الجزائر وليدة بداية القرن العشرين، التي تزامن ظهورها وظهور حركة الشبان الجزائريين، وعليه فقد ظهرت في البداية جمعيات مختلطة فرنسية-أهلية<sup>(5)</sup> والتي

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص 114.

<sup>2</sup> للمزيد حول الموضوع ينظر: فرحات عباس: غدا سيطلع النهار، تر: حسين لبراش، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2012، ص 10.

<sup>3</sup> خالد بوهند، المرجع السابق، ص 221.

<sup>4</sup> Maurice Poulard: L'enseignement pour les Indigènes en Algérie, imprimerie administrative Gojoso, Alger, 1910, p 334.

<sup>5</sup> أحمد صاري: شخصيات وقضايا....، مرجع سابق، ص 108.

تزامن ظهورها عهد شارل جونار Charles Jonnart أثناء توليه منصب الحاكم العام للجزائر، الذي شجع الخدمات الاجتماعية والدراسات العربية، هذا الأخير كان يهدف من وراء هذه السياسة إلى جلب فئة من الجزائريين المثقفين إلى فرنسا وجعلهم أداة لبث رسالة فرنسا الحضارية وسط الأهالي الجزائريين.<sup>(1)</sup>

تجمع أغلب الكتابات التاريخية أن أول جمعية رسمية ظهرت في الجزائر أطلق عليها اسم "الجمعية الراشدية" سنة 1902م بمبادرة من المعلم الفرنسي سارو، التي كانت في بدايتها عبارة عن جمعية - وداوية- الطلبة القدامى للمدارس الفرنسية- الأهلية، حصرت أهدافها في التعريف بالثقافة الفرنسية، ذلك أنها كانت تنظم محاضرات باللغة الفرنسية، كما استعملت العربية كذلك، بهدف استمالة عناصر النخبة حتى يسهل دمجهم ضمن المجال الفرنسي.<sup>(2)</sup>

تواصلت حركة تأسيس الجمعيات والنوادي، لكن ما يمكن ملاحظته أنه بمرور الوقت تقلد رجال النخبة رئاسة هذه الجمعيات، وأبرز مثال عن ذلك، نادي صالح باي الذي تأسس سنة 1907م بقسنطينة والذي كان ينشطه على وجه الخصوص الأستاذ ابن الموهوب وبعض أعيان المدينة، الذي كان يمثل أساساً ناديًا للحدائين حيث يمجّد الرقي ويحتفي بالعلوم، وتشير الإحصائيات أنه بلغ عدد منخرطي النادي سنة 1910م حوالي 700 عضو.<sup>(3)</sup>

يذكر المؤرخ الفرنسي "جيلبار ميني Gilbert Meynier" أن النادي كان من بين الأدوار المنوطة به إلقاء المحاضرات والندوات كل خمسة عشر يومًا باللغة الفرنسية واللغة العربية، وكان جوهر المحاضرات ومواضيعها تتمحور حول أهمية التعليم وفوائده وأخطار الآفات والانحرافات، وما ينجّر عنها من آثار سلبية على الفرد والمجتمع ككل.<sup>(4)</sup>

هذا وظهرت عدة جمعيات مماثلة، تحمل أسماء ذات دلالات معينة في مدن الجزائر ومراكزها العمرانية الصغيرة، وهكذا افتتح نادي الشباب الجزائري في تلمسان وجمعية الأخوة في معسكر والتوفيقية

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله: تأملات وأفكار، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، لبنان، 2005، ص 85.

<sup>2</sup> Jacques Bouveresse: Un Parlement Colonial des Délégations Financières Algériennes (1898-1945), Le Déséquilibre des Réalisations, Publications des Universités de Rouan et de Havre, 2010, p 841.

<sup>3</sup> شارل رويبر أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ج 2، مرجع سابق، ص 374.

<sup>4</sup> Gilbert Meynier : L'Algérie Révélée, édition El Maarifa, Alger, 2010, p 218.

في الجزائر -1908 ترأسها ابن التهامي - والجمعية الإسلامية القسنطينية وهلال نادي الترقى في عنابة وودادية العلوم الحديثة في خنشلة واتحاد باليكو (تيغنيف) والترقي لجماعة صهاريج في بلدية مقلع... لقد كانت هذه الجمعيات عبارة عن ودايات وجمعيات للتعاقد تقوم بتقديم المحاضرات للإرشاد وإعارة الكتب من المكتبات، وكان يحدها نوع من المثل الأعلى العلماني على الطريقة الفرنسية.<sup>(1)</sup> بالرغم من الدور الذي كانت تمثله هذه الجمعيات والنوادي التي حاولت ظاهريًا القيام بعمليات التوعية والتثقيف، لكن باطنياً هدفها كان أعمق مما نتصور، فقد كانت بالنسبة للفرنسيين عبارة عن مشئلة<sup>(2)</sup> كان الهدف منها استمالة المثقفين الجزائريين حتى ينظمون إليها وانطلاقاً من هنا تسهل عملية دمجهم بالوسط الفرنسي.

#### 4- دور الانتماء الاجتماعي:

يرجع بعض المؤرخين الأصول المباشرة لحركة النخبة الجزائرية، أنها تنتمي إلى البرجوازية الناشئة والتي تتلمذ أبنائها في المدارس الفرنسية وتخرجوا كأطباء أو معلمين<sup>(3)</sup>، بحيث يرى الأستاذ "الجمعي خمري" أنه بهدف استكمال المشروع الثقافي الذي بدأته فرنسا، عملت هذه الأخيرة على خلق فئة اجتماعية موالية لها، والتي تعود أصولها إلى الطبقة الوسطى - البرجوازية الناشئة - بحيث تبوأَت هذه العائلات الجديدة مكانة ريادية في المجتمع الجزائري المسلم خاصة بعد القضاء على العائلات الكبيرة والتي كان لها وزن فيما سبق (الخيم الكبرى)، وعليه قامت فرنسا باستخلافهم بعائلات قيادية جديدة لتؤدي عدة أدوار محلياً كتمثيلها للمجموعة الإسلامية وموالاتها للنظام الفرنسي التي كانت سندا له بالمنطقة.<sup>(4)</sup>

تبين الدراسات أن الأصول الاجتماعية للنخبة الجزائرية في الفترة الممتدة بين 1900م - 1930م تمثل بنسبة 58% من الشبان الجزائريين الذين ينحدرون من البرجوازية العليا أو الأرستقراطية،

<sup>1</sup> شارل رويبر أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ج 2، مرجع سابق، ص 375.

<sup>2</sup> شارل رويبر أجيرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا، ج 2، تر: حاج مسعود، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 771.

<sup>3</sup> Messaouda Yahiaoui Merabet : Société Musulmans et Communautés Européennes dans l'Algérie du 20ème Siècle, T 01, édition Homa, Alger, 2005, p 114.

<sup>4</sup> الجمعي خمري: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين...، ج 1، مرجع سابق، ص 59.

وأن 41% من أفرادها ينتمي آباؤهم إلى فئة ملاك الأراضي والعقارات، كما أن 16% تنتمي إلى فئة البرجوازية الحضرية التي ترتبط بالمدن الكبرى كقسنطينة.<sup>(1)</sup>

لقد حاولت هذه الأسر الجديدة وحديثة النشأة والنفوذ التعايش مع العنصر الفرنسي بل والأكثر من هذا عملت على التعاون معه بغية الوصول إلى مكانة هامة في الإدارة الفرنسية بكل الوسائل، وكان من بين تلك العائلات: عائلة بن تامي وعائلة بن رحال وعائلة بوقربة وبن بريهمات وتامزالي وعائلة عباس وغيرهم، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على مدى التحول السريع الذي حصل على الفئات الاجتماعية مطلع القرن العشرين، فما كان على هذه العائلات إلا التعايش مع الاحتلال الفرنسي بالمنطقة، الأمر الذي استحسنته الإدارة الفرنسية فعملت الأخير على مكافأتهم وذلك بتقريبهم من السلطة وزيادة ثروتها ومنح أبنائها المناصب الإدارية الرفيعة المستوى، فكان من نتيجة هذا التواصل الذي حصل بين هذه العائلات والإدارة الفرنسية تغييراً جذرياً في فكرهم، إذ أصبحت هذه الفئة متقبلة للفكر الغربي أكثر من أي وقت مضى، وتتجلى مظاهر هذا التقبل في تقليد طريقة العمل والعيش واللباس، بل أنّها والأكثر من هذا قامت بإرسال أبنائها للمدارس الفرنسية وحاولت تنشئتهم على الطريقة الفرنسية.<sup>(2)</sup>

إن سعي الإدارة الفرنسية لبناء هذا المشروع الاجتماعي ليس هدفه تحقيق ما يُعرف بالمشروع الثقافي الفرنسي فقط، الذي يهدف إلى مسح الهوية الجزائرية وإدماجها في فرنسا، بل تعداه فالمشروع مرتبط أساساً بتفكيك مقومات وبنى المجتمع الجزائري، وإعادة وإعادة إنتاج قوى اجتماعية جديدة تحاول إحلال الحوار مع فرنسا مكان الرفض،<sup>(3)</sup> لذلك فقد حاولت في الوقت نفسه بناء مشروع اجتماعي جديد يطرح قضايا ونقاشات مهمة تتمحور مواضيعها حول الحوار بين المجموعتين "الجزائرية والفرنسية" وبالتالي فقد كانت تلك النخبة الجزائرية المفرنسة التي تجانست مع المجتمع الفرنسي فكانت ترتدي اللباس الأوروبي وتقلده في العديد من الممارسات، تثير الريبة في نظر الجزائريين وهذا ما أدى إلى زيادة الهوة بين

<sup>1</sup> بوزيد زين الدين: الأصول الاجتماعية والمرجعيات الفكرية للنخبة المثقفة الجزائرية (1900-1930)، رسالة ماجستير في علم الاجتماع والتنمية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2000-2001، ص 152.

<sup>2</sup> الجمعي خمري: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين...، ج1، مرجع سابق، ص 65.

<sup>3</sup> عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص 70.

النخبة الجزائرية الجديدة وبقية فئات المجتمع، بل والأكثر من هذا فقد وجد هؤلاء المثقفون ثقافة فرنسية أمام ثقافة تؤكد تفوقها، وهذا ما دفعهم إلى المقارنة بين ثقافتهم (الأنا) وثقافة الآخر، فكانت النتيجة انتصار الآخر مما دفع ببعض منهم إلى الانسلاخ والتنكر لذاتيتهم الحقيقية بذات الآخر وتحولت العملية إلى إنبهار بمنظور أن ثقافة الآخر هي المقياس الحقيقي، غير أن هذه الفئة كانت درجات في سلم الاستلاب وهي التي شكلت توجهات داخل النخبة الاندماجية.<sup>(1)</sup> وهذا ما سنقوم بمعالجته في المبحث الموالي.

<sup>1</sup> سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص 14.



## المبحث الثاني: الفكر الأيديولوجي لدى تيارات الاتجاه الليبرالي.

يقصد بالليبرالية على أنها مذهب رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة في الميدانين الاقتصادي والسياسي، ففي الميدان السياسي وعلى النطاق الفردي يؤكد هذا المذهب على القبول بأفكار الغير وأفعاله حتى ولو كانت متعارضة مع أفكار المذهب وأفعاله شرط المعاملة بالمثل، وعلى النطاق الجماعي فإن الليبرالية هي نظام سياسي المبني على التعددية الأيديولوجية والتنظيمية الحزبية والنقابية التي لا يضمنها سوى النظام البرلماني الديمقراطي، والذي يؤمن الحريات الشخصية العامة بما في ذلك حرية المعتقد الديني.<sup>(1)</sup>

لقد تزامن ظهور الأفكار الليبرالية في أوروبا وعصر التنوير على يد فلاسفتها، والتي كانت تدعو في شقها السياسي إلى احترام الحريات الفردية والعامة ومساواة المواطنين أمام القانون والفصل بين السلطات الثلاث (تشريعية، تنفيذية، قضائية) وسيادة الأمة والشعب في اختيار حكامه وممثليه بواسطة الانتخابات.<sup>(2)</sup>

بدأ التجسيد الفعلي لهذه الأفكار على أرض الواقع مع الثورة الفرنسية 1789م والتي حملت شعار "الحرية، والإخاء والمساواة"، بعدها انتقلت هذه الأفكار إلى عدة مناطق في العالم بعد هذه الثورة. تُعتبر المدرسة الفرنسية وخاصة المدرسة الجمهورية واللائكية - ينظر دور المدارس الفرنسية في المبحث الأول- هي الناقل الرئيسي للأفكار الليبرالية ومبادئ الثورة الفرنسية إلى الجزائر، التي بثتها في عقول أطفال الجزائر مرتادي تلك المدارس الذين استلهموا أفكارها ومبادئها وتاريخها بدرجات متفاوتة، فنجد البعض من هؤلاء كانوا معادين للنظام الاستعماري وكانوا يرفعون هذه المبادئ في وجهه، ويميزون بين فرنسا المجسدة لهذه المبادئ في باريس، والإدارة الاستعمارية التي تناقض هذه المبادئ في الجزائر، حسب نظرهم فقد كانوا يشبهون الوضع بالجزائر بالوضع في فرنسا عشية ثورة 1789م، فمثلا نجد فرحات عباس يتحدث باعتزاز عن هذه المدرسة وأساتذتها الذين كانوا في نظره شديدي الإيمان بالمبادئ

<sup>1</sup> عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج 5، المؤسسة العمومية للدراسات، دار الهدى، لبنان، 1994، ص 566.

<sup>2</sup> جورج سباين: تطور الفكر السياسي، ج 7، تر: راشد البراوي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1974.

"الجمهورية والديمقراطية"، وينفي عنهم أي صفة عنصرية تجاه المسلمين الجزائريين،<sup>(1)</sup> ومن جهة أخرى ونظراً لتشابه الأحداث إلى حد بعيد حسب فرحات عباس بين الجزائر وفرنسا حين قيام ثورة 1789م ذكر قائلاً: "وأنا كنت أظن أن الجزائر على أهبة ثورة 1789م".<sup>(2)</sup>

لقد كانت مبادئ الثورة الفرنسية ومؤلفات مفكري وأدباء وفلاسفة وكتّاب عصر التنوير في فرنسا مرجعاً ومصدر إلهام الكثير من الجزائريين الذين درسوا وتخرجوا من المدرسة الفرنسية رغم اختلاف مواقفهم تجاه الاحتلال، وما بين داعيين للاندماج والفرنسة أو المطالبين بالمساواة، إلا أنهم يعترفون جميعاً بفضل التعليم والكتب التي كانوا يطالعونها التي أكسبتهم نوعاً من التمدن حسب تعبير خريجي تلك المدارس.<sup>(3)</sup>

يذكر المؤرخ الفرنسي شارل أندي جوليان بأن سبب اختلاف تيارات ممثلي هذا الاتجاه راجع أساساً لكونهم قادمون من آفاق فكرية شديدة التنوع، فمنهم من كانوا أتباع الإيجابية، ومنهم من كانوا لا يقرون إلا بما يقبله العقل مثل الدكتور ابن جلول، ومنهم من كانت تحذوهم روحانية غامضة وحماس حائر مثل فرحات عباس، ومنهم من كانوا ملحدين ماسونيين مثل الدكتور لخداري ومنهم من كانوا لا يكتثون بالعقيدة الإسلامية بل كانت عقيدته اشتراكية مثل المعلمين لشاني وطاهرات.<sup>(4)</sup>

لكن وما يمكن التنويه به أنه وبالرغم من اختلاف أصحاب هذا الاتجاه في منطلقاتهم الفكرية وتوجهاتهم، فإنهم يشتركون في مرجعيتهم إلى الثقافة الفرنسية والفكر الليبرالي الذي تجسده الثورة الفرنسية، ويعود ذلك في الأساس إلى كون النخبة الجزائرية المفرنسة ما هي إلا نتاج المدرسة الفرنسية بنوعيتها ومن أساتذتها ومعلميها أخذت حرية الفكر، والعديد من القيم السياسية، فيذكر فرحات عباس في افتتاحية جريدة الوفاق الصادرة في 23 فيفري 1936م: "لقد وجدت النخب في الكتب المدرسية

<sup>1</sup> رابح لونيسي: التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954)، دار كوكب العلوم، ط 1، الجزائر، 2009، ص 36.

<sup>2</sup> فرحات عباس: ليل الاستعمار...، مصدر سابق، ص 85.

<sup>3</sup> رابح لونيسي: التيارات الفكرية...، مرجع سابق، ص 37.

<sup>4</sup> شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 150.

العبارات التي تعبر عن العدالة والمساواة والأخوة وفرنسا والأمة والوطن<sup>(1)</sup>، "، وحتماً يوجد وراء هذه الكلمات أفكار فرنسا الدائمة والثورة وحقوق الإنسان، والدفاع عن الحرية، وكان يؤمن إيماناً كبيراً بها. في حقيقة الأمر، بالرغم من انطلاق دعاة الليبرالية في الجزائر من المثل العليا لليبرالية والمتمثلة في حرية الفكر وحرية التعبير والتسامح والاختلاف والتعليم العام والاقتراع العام، ودعوا إلى ضرورة استخدام العقل للاستفادة من الأفكار وقدااسة الحرية في سبيل إحراز السعادة، قدوتهم في ذلك المدنية الغربية<sup>(2)</sup>، إلا أن البعض منهم لم يمثل لها كلية كما وصف الأستاذ "رابح لونيبي" ذلك لأنها لم تكن تلك المبادئ مرجعيتهم الوحيدة، فعدم تنكرهم للإسلام وعودتهم في بعض الأحيان إلى إليه وقيمه الحضارية، إما كمحاولة منهم للتوفيق بينها وبين مبادئ الثورة الفرنسية أو للرد على الأفكار العنصرية، فالإسلام في نظر فرحات عباس هو النظام المبني على أخلاق المساواة، كما هو الديمقراطية المرتبطة بالثقافة، فالنبيل في الإسلام هو العالم، أما الإنسان الأعلى فهو العبقرى العلمي.<sup>(3)</sup>

إن ما يمكن قوله بأن الشباب الجزائريين يستمدون أفكارهم وتوجهاتهم ومبادئهم من المدرسة الفرنسية بنوعها المدنية والعسكرية، هذا بالإضافة إلى مؤلفات المفكرين الفرنسيين سواء تلك التي تصدر بالجزائر أو في فرنسا، والحداثة والحضارة بالنسبة للكثير منهم تعني الثقافة الفرنسية في المقام الأول والأوروبية تأتي بعدها، فيما العروبة والإسلام هي الماضي، وهنا كان موطن الاختلاف فكانت هذه القضية سبباً في انشقاق هذا الاتجاه إلى تيارات.

وعليه فإن الدارس للنخب المثقفة الجزائرية عبر مراحل تطورها، يلاحظ مدى عجزها على بلورة رؤية وطنية واحدة إزاء الكثير من القضايا والمسائل الوطنية بأبعادها السياسية والثقافية وإذا كان الاختلاف غير مطروح بالنسبة لمرجعياتها الفكرية الغربية، إلا أنها موافقها من الإسلام وقيمه وحضارته هو الذي جعلها تنقسم إلى عدة تيارات.<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> L'entente, 23/02/1936.

<sup>2</sup> نفسية دويده، المرجع السابق، ص 15.

<sup>3</sup> رابح لونيبي: التيارات الفكرية.....، مرجع سابق، ص 38.

<sup>4</sup> نور الدين زمام: "حول سوسيولوجية المثقف الجزائري"، مجلة إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع، ع 1، منشورات الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، 2008، ص 128.

## 1- التيار الفرنكوا إسلامي (التيار المعتدل):

يمثل هذا التوجه عدد كبير من أعضاء تنظيم "فدرالية المنتخبين المسلمين" التي تأسست سنة 1927م، وظهرت في كل من قسنطينة ووهران والجزائر العاصمة،<sup>(1)</sup> غير أن ما يمكن ملاحظته أن هذا التيار يختلف عن التيارات الأخرى، ذلك أن مناضليه اجتمعوا في حزب سياسي واحد، بهدف تبليغ آرائهم وطروحاتهم حول عدة مسائل من بينها الاندماج، وكذا المطالبة بالحقوق، على عكس التيارات الأخرى (المتطرفين واللائكيين) الذين عبروا عن أفكارهم الاندماجية فرديا، ويرجع السبب في ذلك كونهم كانوا ملزمين بحكم مناصبهم ووظائفهم الحكومية، خاصة المعلمين الذين كان عليهم إبداء ولائهم لفرنسا، فكانوا يبالغون نوعا ما حين تعبيرهم عن أفكارهم الاندماجية، ودفعهم لذلك نص مرسوم 1892م في مادته 39 الذي قضى بعدم السماح للمعلم الأهلي بالترسيم أو تحضير شهادة الكفاءة إلا إذا كان متجنّسا.<sup>(2)</sup>

مهما يكن من أمر فقد ظهرت فدرالية المنتخبين المسلمين على أنقاض حركة الأمير خالد وذلك بإعادة طرح الخطوط الكبرى للبرنامج الذي سطره هذا الأخير<sup>3</sup>، بزعامة ابن تامي فقد كان شعارها التمثيل البرلماني للجزائريين في البرلمان الفرنسي، ولكن الشيء الذي يمكن التنويه به فعلى ما يبدو أن النخبة القديمة لم تعد قادرة على استيعاب ومواجهة التطورات الجديدة، التي لم تتمكن من تحقيق ولا مطلب من مطالبها سواء تلك التي تتعلق بالتعليم أو التجنيس أو التمثيل النيابي، الأمر الذي جعل النخبة الجديدة تفكر مليا في تأسيس تنظيم سياسي جديد قادر على جمع كل الشبان المثقفين بالثقافة الفرنسية في الجزائر، وذلك ما تحقق في 11 ديسمبر 1927م بزعامة ابن تامي، وبذلك تم تأسيس فدرالية المنتخبين المسلمين، لكن الانطلاقة الحقيقية كانت بعد 1930م ب بروز شخصيات جديدة أكثر ليبرالية وتنظيم ممن سبقوهم، أمثال فرحات عباس ومحمد الصالح بن جلول هذا الأخير الذي كان من أشد المعجبين بالأمير خالد.<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، مرجع سابق، ص 300.

<sup>2</sup> عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية، دار الأمة، ط 1، الجزائر، 1999، ص 138.

<sup>3</sup> محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، مرجع سابق، ص 300.

<sup>4</sup> سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص 21.

لقد برزت بوضوح فدرالية قسنطينة، وخاصة رئيسها محمد الصالح بن جلول، الذي كان من المفروض أن يصبح أبرز ممثل ومعبّر عن هذا الاتجاه لولا اصطدامه بالعلماء بعد اغتيال المفتي كحول بن دالي عام 1936م، واتهامه لهم بتدبير عملية الاغتيال، ويعد هذا الموقف أحد أبرز العوامل وراء توارى بن جلول عن الساحة<sup>(1)</sup>، فبرز فرحات عباس فيما بعد والذي لقي دعم العلماء الذين أثروا فيه وجعلوه يقتدي أكثر فأكثر بقيم الإسلام وحضارته، وأقل بعدًا عنها فأثر هو بدوره على هذا التوجه كله وأصبح المعبر الرئيسي عنه من خلال مواقفه وكتابات وخطبه وممارساته.<sup>(2)</sup>

تمحور أيديولوجية النخبة الفرنكو مسلمة أساسًا في الإدماج وكذلك المطالبة بحقوقها في التمتع بالقانون الفرنسي مع رغبتها في التمتع بامتلاك الجنسية المزدوجة وحتى لا تتعرض للانفصام عن بقية الشعب الجزائري طالبت هذه النخبة بحقوقها في التمثيل البرلماني الفرنسي وتوسيع رقعة هذا التمثيل في الجمعية الجزائرية، لكنها اختلفت عن بقية التيارات الأخرى في قضية الإسلام حيث أنها نادت للتمسك بالأحوال الشخصية، كما أن مطالبها عرفت بالاعتدال فركزت على مطلب المساواة مع المستوطنين في الحقوق السياسية، في حين ترى بأنه على فرنسا أن تقوم بدورها الذي يتعلق بمرافقتهم نحو الإدماج وإخراجهم من حالة التناقض الذي وضعهم فيه القانون الفرنسي، لكن الملاحظ أنهم قد أبدوا تمسكًا بالهوية العربية الإسلامية لكن في إطار تعاوي مع فرنسا، وهنا عبر الأستاذ عبد الله حمادي الواقع الذي يعيش فيه هذا الاتجاه الذي تزعمه فرحات عباس يقول بأنه بقي ممزقًا بين وطنية مكتسبة من الثقافة الفرنسية (الوطن الفكري) والوطن الروحية المكتسب من الإرث الحضاري العربي الإسلامي في شكل تقاليد موروثة (الوطن الروحي)، يضيف الأستاذ حمادي الذي اعتبر فرحات عباس رجل المصالحة مع الذات ومع الآخر.<sup>(3)</sup>

لقد كانت شخصية فرحات عباس محورية في تطور مواقف هذا التيار توجهاته، إذ دفعته مرونته السياسية ويقظته الفكرية إلى الابتعاد مع مرور الوقت عن موافقته الأولى المتماهية مع أفكار تيار "شارل

<sup>1</sup> للمزيد حول موضوع إغتيال المفتي كحول بن دالي وتداعيات ذلك خاصة بعد انسحاب محمد الصالح بن جلول عن الساحة ينظر.

رابح لونيبي: تداعيات اغتيال المفتي كحول بن دالي على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والمؤتمر الإسلامي 1939-1939، الجلد

الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، مج 5، ع 10، الجزائر، 2019، ص 108 وما بعدها.

<sup>2</sup> رابح لونيبي: التيارات الفكرية....، المرجع السابق، ص 41.

<sup>3</sup> عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص 89-91.

موراس " اليميني، وعن زملائه الأوائل مع الاندماجين المتطرفين، مثل ابن جلول ما أضفى مقداراً من الصدقية والمشروعية على التيار الاندماجي الليبرالي، وجعله ذلك يتجذر لدى بعض فئات المجتمع، وإن ضل تيار أقلية.<sup>(1)</sup>

إن أدق وصف لمسيرة فرحات عباس نقلا عن الأستاذ رابح لونيبي جاء به "جان لاكوتر Jean la Couture" الذي قال عنه: "إن حياة فرحات عباس هي تاريخ البحث عن وطن في فرنسا ثم مع فرنسا ثم ضد فرنسا، لكنه بقي طيلة هذه المسيرة وريثاً لتقاليد سياسية فرنسية، ومنها تقاليد الثورة الفرنسية ولنوع من الراديكالية الوسطية وفي نفس الوقت هو ليبرالي وإسلامي...".<sup>(2)</sup>

لقد مرّ فرحات عباس وتياره بثلاثة مراحل على المستوى السياسي: المطالبة بالمساواة دون التخلي على الأحوال الشخصية، ثم المطالبة بجمهورية جزائرية في إطار فيدرالي مع فرنسا، ثم المشاركة في الثورة المسلحة، ورغم هذه التطورات إلا أنه لم يتغير من ناحية مرجعيته الفكرية الأساسية<sup>(3)</sup> التي لخصها قائلاً: "قيل عني موالي لفرنسا، والعبارة التي تصدق لحالي هو أن ثقافتي فرنسية، هذا التعليم هل يمكن أن يؤدي إلى مسح شخصيتنا واقتلاعنا من ماضيها، لم أعتقد ذلك في يوم من الأيام لأن الإسلام وطننا الروحي لا حدود له، وطن يتمثل ويهضم الثقافات الأجنبية دون أن تبتلعه، بل دون أن تحرفه أو تضعفه، وهذا ما جعلني أظل مسلماً وجزائرياً بجميع أحاسيسي وروحي، لكن الثقافة الفرنسية أعطتني حس حياة ربيعاً وجعلتني أقدر قيم الديمقراطية والإنسان"<sup>(4)</sup>، إلا أنه حين صياغته لبرنامج "أحباب البيان والحرية سنة 1944"<sup>(\*)</sup> لم يشر إلى الثورة الفرنسية ومبادئها، واكتفى بالحديث عن "امتزاج الحضارة العربية بالإنجازات الإنسانية" ونرجح من خلال هذا الطرح، محاولة فرحات عباس التوفيق بين حزب الشعب وجمعية العلماء المسلمين المشاركين أيضاً في هذا الحزب.<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني: المسألة الثقافية في الجزائر: النخب- الهوية- اللغة- دراسة تاريخية نقدية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2021، ص 137.

<sup>2</sup> Jean la Couture: Cinquonnes et la France, éd senil, Paris, 1961, p 266.

<sup>3</sup> رابح لونيبي: التيارات الفكرية...، مرجع سابق، ص 42.

<sup>4</sup> محمد الميلي: "فرحات عباس بين باريس والقاهرة"، مجلة الحدث العربي والخلي، ع 24، نوفمبر 2002، ص 46.

\* ينظر: القانون الأساسي لأحباب البيان والحرية: Claude collot et jean pobert henry: op-cit, p 186.

<sup>5</sup> رابح لونيبي: التيارات الفكرية...، مرجع سابق، ص 42.



كان للمدرسة الفرنسية دورًا كبيرًا في التأثير على النخبة وعلى رأسهم فرحات عباس، التي غرست في فكرهم المعتقدات المتعلقة بالنظام السياسي الفرنسي ومحاسن الحضارة الفرنسية، وإبعاد التطرف واللاتسامح، كما أذكت فيهم مشاعر حب فرنسا والارتباط بها وأحيتها، وشكّلت هذه المدرسة من كتاب أرنست لا فيس أداة أساسية لتلقينهم مجموعة من القيم السياسية الفرنسية كالجُمهورية والديمقراطية والحرية والعلمانية والتي كونت في النهاية مبادئهم السياسية.<sup>(1)</sup>

لذلك فلا غرابة أن نجد فرحات عباس بعد الحرب العالمية الثانية يبدي اهتمامًا بالغًا بالفكر الدستوري، بعد فكرة وضع دستور خاص بالجزائر، وبقي في ذلك وفيًا للفكر الفرنسي، حيث كان دستور فرنسا 1946م مثاله ونموذجه.<sup>(2)</sup>

تشكل كتابات الشاب فرحات عباس وثيقة من الطراز الأول لدراسة رأي المثقفين<sup>(3)</sup>، وعليه لدراسة الأفكار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لهذه الفئة وعلى رأسهم فرحات عباس لا بد علينا من العودة لإنتاجهم الفكري ومؤلفاتهم العلمية، باعتبارها مصدرًا مهمًا للوقوف على فكرهم ودراسة ذلك، وعليه إذا تكلمنا عن فرحات عباس فقد أبرز مواقفه وطروحاته في المقالات المنشورة والتي جمعها في كتاب عنوانه بـ "الشباب الجزائري le jeune algérien"، الذي حاول من خلاله التوفيق بين قيم الحضارة الإسلامية ومبادئ الثورة الفرنسية، كما دافع عن الإسلام وحضارته، ووقف في وجه الاستعمار وعنصريته وممارساته، ومنظريه الأيديولوجيين الذين يستندون على النموذج الروماني لفرض سيطرتهم على البلاد<sup>(\*)</sup> وكان على رأسهم الكاتب الفرنسي لويس برتراند louis bertrand صاحب صحيفة إفريقيا اللاتينية التي تدافع عن هذا الطرح.<sup>(4)</sup>

إن المقالات التي كتبها وأخرجها في الكتاب السالف الذكر، تضع في مجملها الأرضية الفكرية لدحض المزاعم الاستعمارية بالاستناد إلى تاريخ الشعوب والمفاهيم والمقولات الحديثة والأمل الكبير في تحقيق نهضة الجزائر؛ يقول الأستاذ نور الدين ثنيو بخصوصه: "استهل الشاب الجزائري صراعه الفكري

<sup>1</sup> يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص 202، 203.

<sup>2</sup> رابح لونيبي: التيارات الفكرية...، مرجع سابق، ص 42.

<sup>3</sup> محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، مرجع سابق، ص 298.

\* ينظر: فرحات عباس: الشباب الجزائري، مصدر سابق، ص 69-79.

<sup>4</sup> رابح لونيبي: التيارات الفكرية...، مرجع سابق، ص 44.

مع غلاة الاستعمار من الكتاب وأصحاب الصحف وصانعي الرأي العام ورأى أن الشعوب -مثل الشعب الجزائري- التي شهدت حضارات سابقة لا ينضب تراثها بسهولة بل يستمر كمعين لها في الأوقات الحالكة والصعبة، وأنه لا يمكن طمس تراث مجتمع لأنه قائم في حياة أفراد، حاضرهم وماضيهم<sup>(1)</sup>.

بالإضافة إلى "الشباب الجزائري" ومن أجل دراسة أفكار وأطروحات ورؤى هذا التيار لابد علينا من العودة إلى صحفهم أيضا ومن بينهم صحيفة "التقدم Attakadoum" لبن التوهامي (1873م- 1937م) التي نشر فيها فرحات عباس مقالاته الأولى منذ 1921م، وكذلك صحيفة "الوفاق الفرنكو-إسلامي L'entente" لبن جلول ثم "المساواة Egalité"، أين كان يطالب فيها بالمساواة منذ 1944م، قبل أن تحتفي وتأخذ مكانها صحيفة أخرى تحت اسم "الجمهورية الجزائرية" منذ عام 1947م، والتي تعبر عن المرحلة الثانية لهذا التوجه، هذا كما يمكن لنا أن نقف على أفكارهم من خلال الوثائق الأيديولوجية لمختلف تنظيماتها التي أنشأها هذا التيار، ومنها "فدرالية المنتخبين المسلمين<sup>(\*)</sup>" بفروعها الثلاث،<sup>(2)</sup> وخاصة فرع قسنطينة الذي كان أنشطهم على الإطلاق بفعل تأثير بن جلول وفرحات عباس كما سبق لنا وأن ذكرنا.

كانت مساعي فرحات عباس حيثة من أجل التوفيق بين زعماء الحركة الوطنية وذلك لأجل توحيد النشاط الوطني، ولتحقيق هذا لابد من حدوث تقارب بين أهم الفاعلين على الساحة السياسية الوطنية آنذاك في الرؤى والأفكار، وبالفعل فقد تم ذلك باجتماع حزب الشعب وجمعية العلماء المسلمين والاتحاد الشعبي الجزائري من أجل الاستقلال<sup>(\*\*)</sup> وقاموا بإصدار بيان الشعب الجزائري سويا سنة 1943م والذي ساهم فيه فرحات عباس بقدر كبير في صياغته الذي انبثق عنه عام 1944م تجمع أحباب البيان والحرية<sup>(3)</sup>، يقول بخصوص ذلك الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف: "ظهرت حركة أحباب

<sup>1</sup> نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، ص 426 427.

<sup>\*</sup> حول برنامج فدرالية المنتخبين المسلمين ينظر: Claude Collot et Jean Robert Henry: op-cit, pp 40 41.

<sup>2</sup> رابح لونيسي: التيارات الفكرية...، مرجع سابق، ص 44.

<sup>\*\*</sup> ظهر هذا الاتحاد سنة 1938 تحت قيادة فرحات عباس خاصة بعد انفصال بن جلول وتواريه عن ساحة السياسة بعد حادثة مقتل

المفتي كحول، هدف فرحات عباس من خلال هذا الاتحاد محاولة كسب قاعدة جماهيرية والتغلغل أكثر في الأوساط الشعبية.

<sup>3</sup> رابح لونيسي: التيارات الفكرية...، مرجع سابق، ص 45.

البيان والحرية كتجمع سياسي كبير ضم كل الاتجاهات الوطنية في البلاد، بعد مرحلة طويلة من التجارب واختبار القوى المعادية والبحث عن مواطن الضعف في مسار القوى الوطنية، وقد أعلن عن إنشاء هذه الحركة في ربيع سنة 1944م، ... بالرغم من قصر عهدها فإنها خلقت مناخًا ملائمًا لتقارب وجهات النظر بين الاتجاهات الوطنية والتيارات السياسية المختلفة، وزاد تباعد الشقة (الهوة) بين الجزائريين والمستعمرين بفضل دعايتها الواسعة وعبارات قادتها المؤثرة على الجماهير الشعبية.<sup>(1)</sup>

بعد مجازر 8 ماي 1945م تبعتها حملة واسعة من الاعتقالات شملت كل الفاعلين السياسيين على الساحة الوطنية، ازداد هذا التوجه ارتباطا بالواقع الجزائري، وبعد الإفراج عنهم أسس فرحات عباس حزبا جديدا تحت اسم الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في ماي 1946م رفع مطلب إقامة جمهورية جزائرية مرتبطة بفرنسا<sup>(2)</sup>، ويبدو أن البرنامج الذي سطر لا يختلف كثيرا عن برنامج أحباب البيان والحرية كما وصف فرحات عباس الذي حدّد أهداف هذه الحركة قائلاً: "العمل على إنشاء جمهورية جزائرية ذات استقلال ذاتي اتحادي ضمن جمهورية فرنسية مجدّدة ومضادة للاستعمار".<sup>(3)</sup>

يتضح لنا من خلال ما تم عرضه أن فرحات عباس كان يبحث عن تأسيس دولة جزائرية ذات طابع فيدرالي وعلى مبدأ العلمانية، وهذا ما تأكد بعد تقديمه لمشروع قانون أساسي للجزائر<sup>(\*)</sup> أمام المجلس التأسيسي الثاني الفرنسي يوم 09 أوت 1946م جاء في مادته الأولى: "إن الجمهورية الفرنسية تعترف بالاستقلال الذاتي والتام للجزائر وتعترف في نفس الوقت بالجمهورية الجزائرية والحكومة الجزائرية والعلم الجزائري".<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين...، مرجع سابق، ص 361.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني: المسألة الثقافية في الجزائر...، مرجع سابق، ص 138.

<sup>3</sup> فرحات عباس: نظرات في حاضر الجزائر ومستقبلها، كفاحننا ضد الاستعمار، تقرير المؤتمر الوطني الأول لحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري المنعقد في سطيف 25-26-27 سبتمبر 1948، منشورات شركة التحرير، ص 09.

\* حول مشروع القانون الأساسي للجزائر، ينظر: يحي بوعزيز: الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1998)، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 111 112.

<sup>4</sup> فرحات عباس: نظرات في حاضر الجزائر ومستقبلها...، مصدر سابق، ص 09.

لقد طرح الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في هذا الدستور شكلاً من أشكال الدولة، وهي الدولة الفيدرالية مع فرنسا صاحبة السيادة والجزائر العضو في هذا الاتحاد، الذي يمكن لهذا الاتحاد أن يضم باقي المستعمرات الفرنسية.

والفيدرالية في مدلولها الواسع ظاهرة تحرك الجماعات الإنسانية نحو التجمع تحركاً يقضي إلى التوفيق بين اتجاهين متناقضين، بين الحرص على ذاتيتها من ناحية وبين السعي إلى تنظيم جماعي يشملها من ناحية أخرى، وهذا الالتقاء بين المتناقضين يفضي إلى أنظمة تعاهدية أو دستورية تؤلف بين هذين المتناقضين في كيان سياسي جديد.<sup>(1)</sup>

وعلى هذا الأساس كان النظام الذي دعا إليه فرحات عباس يقوم على مبدأ فصل الدين عن الدولة، بالمعنى الذي يشير إلى وجود مجالين قائمين بذاتهما، ولا يفتتت مجال على آخر، ويحتفظ كل منهما بمبرر وجوده في حياة المجتمع، الأمة والشعب، وكما سبق لنا وأن قلنا فقد أولى فرحات عباس أهمية بالغة للدين الإسلامي في حياة الجزائر والجزائريين، وعليه فقد طالب بضرورة فصل الدين عن الدولة كأساس للنظام الجمهوري.<sup>(2)</sup>

بمجموع القول، يلخص الأستاذ يحي بوعزيز إيديولوجية الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والتي بناها على ثلاث ركائز أساسية، وأقر بعدم تغييرها إلى غاية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م تمثلت في:

- 1- الإيمان برسالة فرنسا الحضارية التي لا غنى عنها في هذه البلاد.
- 2- ربط مستقبل الجزائر بالديمقراطية الفرنسية والجالية الأوروبية بها في إطار الاتحاد الفرنسي أو الكونفيدرالية الفرنسية، أو أي شكل آخر من هذا النوع، لا يسمح باستقلال الجزائر الكامل، وانفصالها عن فرنسا.

<sup>1</sup> مجيد مسعودي: مسألة الهوية في برامج الحركة الوطنية الجزائرية (1926-1954)، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، إشراف يوسف حيطوش، قسم التنظيم السياسي والإداري، جامعة الجزائر 3، 2017-2018، ص 238.

<sup>2</sup> نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، ص 445 446.

3- عدم اللجوء إلى العنف والثورة ضد فرنسا مهما كانت الأمور في إطار شعار "الثورة بالقانون والتحرر والاتحاد".<sup>(1)</sup>

## 2- التيار الفرنكوفيلي(\*) الإدماجي (المتطرف):

إن ما يميز هذه الفئة عن الفئة التي عاجلناها سابقاً وعلى رأسهم فرحات عباس الذين كانوا يعتزون بدينهم وحضارتهم الإسلامية، بل ورفضوا التنازل عن الأحوال الشخصية مقابل مساواتهم بالأوروبيين في الحقوق والواجبات ويعتبرون ذلك تنازلاً عن عقيدتهم، هذا الاعتزاز وتلك المواقف هي ما ميزتهم عن هذه التيار، الذي يعتبر العقيدة الإسلامية والإسلام في حد ذاته من أهم الأسباب التي تقف حائلاً أمام تحقيق عملية الإدماج والفرنسة والتقدم.

تشكل تركيبة هذا التيار من الاندماجين الذين تلقوا تعليماً فرنسياً مركزاً، وكان جلهم من خريجي مدرسة المعلمين، وبالتالي فقد كانوا يعيشون في مجتمع منغلِق على أبناء بلدهم نظراً للأفكار والطروحات التي تبناها، بل ووصل بهم الحد إلى جهلهم بتاريخ بلدهم الأصلي ووطنهم الأم، وانتماءاته الثقافية والحضارية مع الوطن العربي، وهذا ما سرّع في عملية انسلاخهم عن وسطهم الاجتماعي.<sup>(2)</sup>

إن سبب انسلاخ هذه الفئة عن أصلها ووسطها الاجتماعي، يعود في الأساس إلى طبيعة التعليم الذي تلقته كما سبق لنا وأن قلنا، خاصة وأنه لم ينسجم والوسط الأهلي المسلم، ومن ذلك فقد كان أثره بالغاً عليهم لدرجة أنه أصبح هؤلاء الإندماجين متأثرين بالثقافة الفرنسية أكثر من الفرنسيين أنفسهم وقد وصف ذلك الأستاذ عبد الله حمادي بقوله: "أن الشباب الجزائري الفرنكوفيلي أصبحت لديه القابلية وغيره حتى على الثقافة الفرنسية، جعله يتقن اللغة الفرنسية أكثر من اللازم ويحرص على سلامتها ونطقها أكثر من الفرنسي ذاته"<sup>3</sup> ويقول بخصوص ذلك أيضاً علي مرّاد: "تخرج أغلب أعضاء

<sup>1</sup> يحي بوعزيز: الأيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاث وثائق جزائرية، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 15.

\* الفرنكوفيلية: مصطلح يقصد به الانتقال من الولاء الثقافي والفكري إلى الولاء السياسي، وهو يعبر عن روح الثقافة الفرنسية. للمزيد ينظر. فريد حاجي، المرجع السابق، ص 408.

<sup>2</sup> سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص 16.

<sup>3</sup> عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص 74.

هذا التيار من مدرسة المعلمين، أين تلقوا تكوينًا خاصًا، لأن وظيفتهم تقتضي التأثير في تلامذتهم من الأهالي، ولا يمكن لهم من تحقيق ذلك إلا إذا كانوا مؤمنين أشد الإيمان بما يلقونهم لتلامذتهم".<sup>(1)</sup>

لقد كان تأثير الثقافة الفرنسية وحضارتها كبيرًا على هذه الفئة، وكان من مظهراتها أن انتزعت جذورها كلية من المجتمع الجزائري، وصارت تنفي انتماءها إلى مجتمعها الأصلي، وأحيانًا تنفي صلتها بالإسلام وابتعدت عنه لدرجة التجنس والاندماج في الحياة الفرنسية، وتضع هذه الفئة نفسها داخل النموذج الحضاري الفرنسي، كما دعت إلى الاندماج التام في فرنسا ثقافيًا وسياسيًا وحتى دينيًا، ويعتبرون الدين الإسلامي عاملاً معرفيًا لفرنسة الجزائر، ومنهم من يروج لفكرة انفصال الجزائر عن العالم العربي والإسلامي كإسماعيل حامت<sup>(2)</sup>.

كما سبق لنا وأن قلنا فقد كانت هذه الفئة ترى بأن العقيدة الإسلامية كانت السبب المباشر وراء عرقلة عملية فرنسة الجزائر، ولأجل التخلص من هذه العقيدة - حسبهم - كان من الضروري محاربتها أو إضعافها في النفوس، لأنهم يرون أن: "تقوية التدين لدى المسلمين والحفاظ على بعض المعتقدات يعرقل ما يسمونه بـ "التطور الأخلاقي للمسلمين الجزائريين"<sup>(3)</sup>.

لقد تمحورت طروحات هؤلاء في سبيل البحث عن هوية جديدة، لكي تضمن لهم الحياة الكريمة التي لا يتصورونها خارج الإطار الفرنسي، ولو كان ذلك على حساب هويتهم وانتمائهم الأصلي-الهوية العربية الإسلامية- التي اكتسبوها عن أجدادهم أبا عن جد منذ ثلاثة عشرة قرن، فأدى بهم ذلك إلى الذوبان والاضمحلال فلم يستطيعوا أن يقتنعوا أو يحتملوا فكرة عدم قبول فرنسا أمثالهم في العائلة الفرنسية ولو تنكروا لدينهم وأصلهم.<sup>(4)</sup>

لقد استخدم هذا التيار لأجل تمرير أفكاره وطروحاته المجالات والصحف، وكانت مجلة "صوت المستضعفين La Voix des Humbles" أفضل المنابر للتعبير عن أفكاره ونشرها في الأوساط

<sup>1</sup> Ali Merad: "Regards sur l'Enseignement des Musulmans en Algérie (1880-1960)", RV confluent, n° 32-33, juin et juillet 1963, p 606.

<sup>2</sup> الطاهر عمري، المرجع السابق، ص 252.

<sup>3</sup> رابح لونيسي: التيارات الفكرية...، مرجع سابق، ص 47.

<sup>4</sup> الجمعي حمري: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1900-1930)، ج 2، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002-2003، ص 460.



الشعبية، والتي كان قد أسسها رابح زناقي وكان شعارها "بعيدون عن الأحزاب، بعيدون عن العقائد، من أجل ترقية الأهالي عن طريق الثقافة الفرنسية"، بقي زناقي على رأس المجلة إلى غاية 1928م، حيث خلفه فنودوز الذي استغل الفترة التي قضاها على رأس المجلة لمحاولة إعطاء أهمية للحضارة الإسلامية، بغرض خلق التوازن، كلفه هذا الفصل من رئاسة المجلة بسبب طرحه الذي لا يتماشى وخطتها وأهدافها، ليخلفه "فاسي سعيد" في ذات السنة الذي بقي على رأسها لغاية توقفها سنة 1939م، أما مؤسسها الأول "رابح زناقي" فقد أنشأ جريدة أخرى سنة 1929م باسم "صوت الأهالي La Voix des indigènes" التي استمرت لغاية 1946م، ولم تكن هذه الجريدة تختلف كثيراً عن المجلة التي أسسها من قبل سواءً في طروحاتها أو أفكارها. وكان شعارها "جريدة الاتحاد الفرنسي - الإسلامي"، وكان عنوان افتتاحية عددها الأول "يجب أن تصبح الجزائر فرنسية".<sup>(1)</sup>

لقد كانت من بين المسائل التي أثارها هذا التيار "قضية الاندماج الكامل"، ففي مقال كتبه رابح زناقي تحت عنوان "مسألة المثقفين الأهالي والمواطنة" الذي نشره في مجلة صوت المستضعفين قائلاً: "لدينا قناعة راسخة تستوجب علينا الاختلاط مع الفرنسيين، والانصهار في العائلة الفرنسية كلية، ولأجل هذا سنبدل جهودنا وكل ما في وسعنا لتحقيق ذلك...". هذا وفي ذات الصدد أشار رابح زناقي واعترف بصعوبة تحقيق الاندماج وذلك راجع إلى النظرة الدونية والعنصرية التي يتحلّى بها الاستعمار، والحكم التعسفي - حسبه - بعدم قدرتهم على استيعاب الحضارة الغربية، لكنه حاول الرد على ذلك وقال مرة أخرى: "وجب علينا أن نوضح بأننا مثل جميع الناس، وإذا كانت فينا سلبيات فحتمًا هناك جوانب أخرى إيجابية"، لم يكتف بهذا فقد أكد مرة أخرى على انسلاخه وجماعته وتملصه للشخصية الجزائرية قائلاً: "لا يكفون أنفسهم لكي يميزونا عن بقية الأهالي وإن فعلوا، فلغرض واحد هو من أجل تصنيفنا في الدرجة الثانية". ولهذا الغرض دافع عن التجنيس الفردي بدل الجماعي.<sup>(2)</sup>

كما ناقش هذا التيار قضية التمثيل النيابي بالبرلمان الفرنسي، وكتب طاهرات مقالاً يوضح فيه بأنه معارض تمامًا لفكرة تمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي وقال بأن الأغلبية الساحقة من الجزائريين إن لم نقل كلهم وبنسبة تفوق 90% لا يعرفون فرنسا وليس لديهم أي فكرة عن باريس، في المقال نجد

<sup>1</sup> رابح لونيسي: التيارات الفكرية....، مرجع سابق، ص 47 - 48.

<sup>2</sup> La Voix des Humbles, n° 54, novembre 1927, p p 04- 06.

أنه من يطالب بالتمثيل البرلماني إلا نخبة محدودة العدد من الأهالي، ليس لها هدف سوى إثارة النقاش السياسي من دون استعداد، هذا ومن جهة أخرى واصل ذات الكاتب حديثه في قضية التمثيل الخاص للأهالي في بقية الهيئات المنتخبة، حيث كان يرى بأن ذلك يشكل عقبة أمام فرنسة الأهالي وإدماجهم، كما عارض تشكيل الهيئات الانتخابية الموحدة لأن ذلك حتما سيكرس أقلية العنصر الفرنسي داخل الجزائر وهنا اقترح حلا وطالب بالموافق على اقتراح تمثيل الأهالي بالبرلمان الفرنسي وتشجيع عمليتي التجنيس والزواج المختلط وتكثيفها، والهدف من كل هذا الامتصاص التدريجي للهيئة الانتخابية الخاصة بالمسلمين الجزائريين.<sup>(1)</sup>

بالإضافة إلى هذا حاول هذا التيار طرح أفكار وتصورات المنتمين إليه ببعض الأعمال الأدبية والفكرية وأخرجوها في كتب على غرار شريف بن حبيليس الذي ألف كتاب تحت عنوان "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي"، الذي يعتبر بمثابة نموذج المثقف الاندماجي، وهو عبارة عن موافقة من أجل الاندماج والارتباط بفرنسا والإنصهار في ذاتيتها، كما يظهر من هذا الكتاب احتقاره للوسط التقليدي، ويرفع في المقابل شأن الحضارة الغربية، يقول غي بروفيلي Guy Perville: "هذا الحكم ما هو إلا اعترافات شخصية بدرت عن أهلي جزائري كبر على مقاعد المدارس الفرنسية، فكان يمجّد فرنسا كون فضلها كبير عليه فتقلده لوظيفة في الإدارة الفرنسية وترقيته بما جعله هذا يعترف بذلك".<sup>(2)</sup>

هذا ونشر "سعيد فاسي" سنة 1936م كتابًا بعنوان "الجزائر تحت الرعاية الفرنسية وضد الإقطاعية الجزائرية" الذي دعا فيه صراحة إلى الاندماج، فالمتصفح له يلاحظ بجلاء مدى تأثر صاحبه بتاريخ الثورة الفرنسية ومبادئها، حيث يواجه بعض الأعيان الجزائريين وكأنهم نبلاء فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر، ويتهجم على العلماء الذين يسعون لتقوية الدين في النفوس، ويشبههم برجال الكنيسة في فرنسا قبل ثورة 1789م.<sup>(3)</sup>

أما رابح زناتي هو الآخر فقد كتب ونشر سنة 1938م كتابًا أطلق عليه "المشكل الجزائري كما يراه أحد الأهالي" تطرق فيه إلى السياسة الفرنسية في الجزائر، واقترح العديد من الحلول والأساليب بغية

<sup>1</sup> La Voix des Humbles, n° 68, novembre 1927, p p 7 8.

<sup>2</sup> Guy Perville, op-cit, p 81.

<sup>3</sup> رابح لونيبي: التيارات الفكرية...، مرجع سابق، ص 49.

تحقيق الاندماج، كما فكك مختلف العوائق التي يرى بأنها تحول دون تحقيق المطلب الذي تبناه، وكانت سبباً في عدم نجاح فرنسة الأهالي من بينها الدين الإسلامي، بالإضافة إلى عدم الاهتمام بالتعليم باعتباره الوسيلة المثالية لتحقيق الاندماج.<sup>(1)</sup>

لقد مثل هذا التيار نموذجاً لمتنوع المدرسة الفرنسية بامتياز، والمتشبع بالثقافة الفرنسية والمدنية الأوروبية الذي وصل به الحد إلى الانسلاخ عن أصله و التنكر لذاتيته ومقوماته، من أجل الدفاع عن الاندماج والذوبان في فرنسا، وعليه فيعد هذا الانسلاخ الثقافي والحضاري محاولة للتشبه بالآخر والاقتران به، وبخصوص هذا يقول ألبير ميمي Albert Memmi في كتابه "صورة المستعمر" بأن: "الرغبة الأولى للمستعمر هي الوصول إلى التساوي مع سيده المفضل المستعمر، والتشبه به إلى درجة الذوبان فيه".<sup>(2)</sup>

### 3- التيار الفرنكولائكو بربري (الانفصالي):

مثل هذا التيار فئة محدودة من منطقة القبائل، الذي تجسدت فيه كل المواصفات التي أرادتها الإدارة الفرنسية عند إطلاقها لمشروعها التغريبي، والتي كان يهمها النوعية بقدر أكبر مما كان يهمها العدد، وذلك لأن أصحاب هذا التيار كان لهم صدى في أوساط المثقفين الفرنكفونيين الجزائريين الذين وجدوا ترحاباً وتقبلاً من فرنسا وبدرجة أكبر من طرف اللائكيين، لكن إذا نُظر إلى وضعهم الاجتماعي فنجد أن أصحاب هذا التيار لم يندمجوا اندماجاً تاماً رغم ولائهم اللامشروط لفرنسا، فحسب الأستاذ "عبد الله حمادي" يرجح السبب في ذلك إلى الدين الإسلامي، ويتضح هذا في أحد النصوص الذي نقلها شاب من الشباب الفرنكفوني الذي أدلى بتصريح لأحد الصحافيين سنة 1930م قائلاً: "إذا كان الشباب الجزائري الفرنكفوني قد بلغ درجة من تمجيد فرنسا ومحبة ثقافتها والتعلق بلغتها ونموذجها في الحياة ثم لم تجده يندمج كلياً فيها، ففي هذه الحالة لا بد من البحث عن العائق، في مثل هذا الحال يمكن الاهتمام إليه بسهولة، فلا يمكن أن يكون العائق سوى الدين الإسلامي لا محالة، فعلى فرنسا أن تعمل

<sup>1</sup> رابح لونيبي: التيارات الفكرية...، مرجع سابق، ص 49.

<sup>2</sup> Albert Memmi : Portrait du Colonisé Précédé des Portraits de Colonisateur, ed Buchet-Chastel Corr a, Paris, 1957, p 184.

على نشر وتكريس الفكر اللائكي، لأنه بهذا التفكير يمكنها إدماج المجتمعات الإسلامية تدريجيًا في حظيرتها".<sup>(1)</sup>

إن التكوين الذي تلقاه هذا التيار جعل متشعبًا باللائكية وتقديس أفكار الكاتب والفيلسوف الفرنسي فولتير *voltaire* والثورة الفرنسية،<sup>(2)</sup> لذلك كانت كل طروحاتهم تنتكر لماضي الجزائر وتاريخها الحضاري، وهذا ما جعل من أفرادها يتبنون فكرة النزعة البربرية، وذلك في محاولة منهم لاقتلاع الجزائر من انتماءاتها العربية والإسلامية ومن ثم يسهل عملية ربطها بفرنسا.

لقد شجعت الإدارة الفرنسية أصحاب هذا التيار، والتي كانت سببًا مباشرًا في ظهوره، كونها كانت ترى فيه النموذج المثالي الذي كانت تبحث عنه، وذلك لأنه سيسهل من عملها كثيرًا، ويخدم مشاريعها في المنطقة، فقد جاء في جريدة (Le Temps) الفرنسية نقلًا عن المؤرخ الفرنسي روبير أجيرون ما يلي: "إن الحكمة تملي علينا الحفاظ على الاختلافات التي تفصل القبائل عن الأهالي الآخرين، وإدكائها، وليس ذلك لأنه كلما كان الشعب مفرقًا أكثر سهل التحكم فيه فحسب، بل كذلك لأن القبائل يملكون مميزات خاصة ينبغي أن تجعل منهم أتباعًا لا غنى عنهم للاستعمار"، هذا ومن بين الطروحات التي كانت تروجها الإدارة الفرنسية ممثلة في أجهزتها الوصية علها تستقطب الفئة المستهدفة بأنه: "الإنسان القبائلي شأنه شأن الأوروبي، يتقن العمل ويمارس الادخار، ويؤمن بالتقدم، ويحكم بالقوانين المدنية التي ليست فيها تبعية واسعة للقوانين الدينية، بل والأكثر من هذا حاولت الترويج لتصورات مفادها بأنهم (السكان القدامى الأصليين الذين جردهم العرب من أملاكهم)".<sup>(3)</sup>

لاقت هذه الطروحات صدى واسعًا وأوساط هذا التيار، فعبّر أحد رواده الذي يدعى المحامي حنفي لحمق الذي كان لائكيًا ومن دعاها في الأساس، عبر عن كراهيته وحقلده للثقافة الجزائرية وكل ما هو عربي إسلامي، وقد ألف كتابًا بعنوان "رسائل جزائرية" سنة 1930م<sup>(4)</sup>، وهي عبارة عن لائكية متطرفة رافضة لأي اعتراف لا بالعروبة ولا بالإسلام، فقط يعترف بالعلم ويقدمه، وقد كان من بين

<sup>1</sup> عبد الله حمادي: المرجع السابق، ص 82.

<sup>2</sup> فلاديمير ماكسيمينكو، المرجع السابق، ص ص 64 65.

<sup>3</sup> شارل روبير أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ج 2، مرجع سابق، ص 232.

<sup>4</sup> رابح لونييسي: دعاة البربرية في مواجهة السلطة، دار المعرفة، الجزائر، 2002، ص 33.

تصوراته أنه يرى سبب انحطاط البربر، لم يكن سوى لوجود العنصر العربي الدخيل، هذا وتهجم على الحضارة العربية الإسلامية والتاريخ الإسلامي واتهمها بالرجعية والتخلف، لأن -حسبه- القرآن الكريم والإسلام يتعارضان مع التحضر.<sup>(1)</sup>

هذا ويعتبر المحامي بلقاسم أبيضان أفضل من مثل التيار الفرانكوكولتوري، الذي تجسدت فيه تأثيرات ثقافة الآخر به والدوبان فيها لدرجة تخلية عن اسمه العربي، وأطلق على نفسه اسم "أغسطين" الذي طرح أفكاره وآراءه وطروحاته في كتابه الذي أسماه "تطور الشبيبة القبائلية" وألفه سنة 1930م، أفصح فيه عن الرغبة الملحة التي تحذو الشبيبة القبائلية في التفرنس الكامل، كما تنكر لأصل سكان المنطقة، واستدل في طرحه العرقي هذا كون القبائلي من جنس البحر المتوسط، وبذلك فهو أقرب إلى العنصر اللاتيني الغربي منه للعنصر العربي، وحتى وإن كان للقبائلي ماضٍ تاريخي ومخلفات ثقافية وتراث وعادات وتقاليد فهي لا تتعارض مع التاريخ الفرنسي، بل والأكثر من هذا فإن التاريخ الفرنسي سيجعل القبائلي بطلاً فرنسيًا، هذا واعتبر أن عملية التنصير وخاصة تنصير الشباب في القبائل هو الفلسفة الوحيدة والسبيل التي يجب أن تصبغ بها الشخصية القبائلية<sup>(2)</sup>، لذلك كان يشجع الشباب القبائلي على الإقبال على المسيحية بهدف إفشال ما أسماه بالحركة القومية الآتية من الشرق<sup>(3)</sup>.

إن تبني هذه الطروحات التي تنكرت لماضي المجتمع الجزائري، وعدم البحث عن الأسباب الحقيقية لانحطاطه، هي التي دفعت ببعض النخبة الجزائرية المفرنسة إلى تبني فكرة النزعة البربرية، وهي حجر الزاوية من محاولة تفكيك الروابط بين الجزائر والوطن العربي والإسلامي، ليسهل ربطها نهائيًا وحقيقيًا بفرنسا، لذلك فقد وجد هذا التيار في البربرية مخرجًا من الحالة الأهلية (رعية) وتحقيق المشروع الاندماجي، ومن جهة أخرى فقد كان لابد عليهم من تجاوز الحاجز المتعلق بالإسلام، لأنه حسبهم العائق الذي يحول دون تحقيق مشروعهم، لذلك رأوا في اللاتينية الحل الوحيد وطالبوا فرنسا بتطبيق هذه السياسة حتى ولو اقتضى الأمر استعمال الطريقة القصورية.<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص ص 82 83.

<sup>2</sup> الجمعي خمري: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين...، ج 2، مرجع سابق، ص ص 411 412.

<sup>3</sup> رابح لونيسي: دعاة البربرية...، مرجع سابق، ص 33.

<sup>4</sup> الجمعي خمري: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين...، ج 2، مرجع سابق، ص ص 412 413.

إن أفضل ما نختتم به هذا المبحث الكلام الذي قاله الأستاذ "عبد الله حمادي"، فكتب: "وفي النهاية أقول أن التيارات المذكورة كانت كلها تعمل حسب أيديولوجيتها المختلفة، ومشاريعها الثقافية المكتسبة لصالح الجزائر، أو ما كانت تراه مفيداً للجزائر، وفي مثل تلك الظروف الصعبة -جلّ من لا يخطئ-".<sup>(1)</sup>

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

<sup>1</sup> عبد الله حمادي: المرجع السابق، ص 91.



### المبحث الثالث: مسألة الهوية في خطاب التيار الليبرالي.

#### 1- صدمة الاحتلال ونشأة سؤال الهوية لدى النخبة الجزائرية المفرنسة :

إن حالة الارتباط العضوي والمعنوي بالوطن كوحدة جغرافية نفسية واجتماعية يدل على أهمية الوظيفة الأنطولوجية (وجودية) للهوية، تعزز الشعور بالانتماء الإيجابي، لذا نجد أن الاستعمار في شكله الثقافي يعي هذه الخصوصية في الوطن العربي، حيث سعى إلى فرض ثقافة دخيلة وتوطين هوية جديدة بوسائل الإكراه المادي كالتعليم والإدارة، والثقافي بنشر اللغة والتجنيس ومحاولات التنصير كنوع من إغراءات أيديولوجية<sup>(1)</sup>.

وعليه فقد خلّف الاحتلال الفرنسي في الجزائر بفعل ممارساته وسياساته المختلف التي شملت كل الجوانب، واقع يسير بنائية في البنيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى الثقافية بين نظامين متعارضين ومختلفين يتمثلان في النظام التقليدي الذي كان هو السائد وترسخ عبر قرون طويلة في واقع مجتمعات محلية وبين نظام حديث فرض نفسه بالقوة والحديد، الذي استطاع في وقت وجيز أن يقوم بتفكيك الركائز الاجتماعية والاقتصادية التي يقوم عليها النظام التقليدي مهددا زواله بصفة نهائية، لذلك فقد كانت هذه التحولات سببا مباشرا استطاع من خلالها النظام الحديث أن يسيطر بشكل كلي على الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مجمل بلدان شمال إفريقيا، وبذلك أدت هذه التحولات التي فرضها الاحتلال الفرنسي في الجزائر إلى بروز أزمة حدة وعميقة في منظومة قيم تقوم على الفردانية أساسها الحرية الفردية والمبادرة الفردية، وأمام هذا المشهد وفي إطار عملية التحديث التي أصبحت واقعا معاشا ومصيرا محتوما لم تفلح حركات المقاومة العديدة وطويلة الأمد أن تغير فيه شيئا، وفي ظل هذه الأوضاع اختفت البنى التقليدية والطبقات الاجتماعية القديمة التي أساسها القبيلة، وتم تعويضها ببنى وطبقات جديدة مثلتها البرجوازية الجديدة<sup>(2)</sup>.

في ظل هذه الأوضاع والانعكاسات التي خلفتها السياسة الفرنسية، جعلت الساحة السياسية في الجزائر أمام منعطف تاريخي غاية في الصعوبة والتعقيد بحيث صار يتجاوزها نموذجان ثقافيان مختلفان

<sup>1</sup> جناوي عبد العزيز، المرجع السابق، ص 58.

<sup>2</sup> محمد الكوخي، المرجع السابق، ص 337-344.

أولهما فرنسي فرضه واقع الاستعمار والتحويلات التي صاحبته على جميع المستويات، ونموذج آخر قومي عروبي تم استقدامه إلى المنطقة لمجابهة تغلغل النموذج الأوروبي وسيطرته، فانقسمت النخب المحلية إلى نموذجين فكان الجزء منها يسافر إلى فرنسا للدراسة والتشبيح بقيم المدنية الغربية، في حين كان الجزء الأخر يسافر إلى المشرق لإتمام دراسته والاحتكاك أكثر بالنموذج المشرقي، وبالتالي ظهر نموذج مجتمعان مختلفان فرنسي وأهلي<sup>(1)</sup>.

شكلت الاحتفالات المئوية 1930م مرحلة مفصلية في تاريخ الجزائر، فاكتملت أهميتها كونها مثلت حدا فاصلا وقفزة نوعية في نضال الحركة الوطنية الجزائرية ككل، إذ يظهر أن تراكم تجارب المقاومة والنضال السياسي في الجزائر، كل هذه العناصر جعلت الاستعمار يخرج نهائيا من إشكالية الفهم، إذ جعل مشاريعه مركزة محاولا من خلالها مسح المجتمع الجزائري وهويته الأصيلة بالترغيب في الإدماج للدوبان في المجتمع الفرنسي من جهة والترهيب من خطر العروبة المحدث من جهة ثانية، لهذا تم اعتبار أن هذه الاحتفالات بمثابة حرب علنية لوجود هوية جزائرية أو كيان جزائري، ناكرا في نفس الوقت انتماءه للأمة العربية لجرها نحو الإدماج في الذات الفرنسية<sup>(2)</sup>.

لقد حظي النقاش حول هوية الفرد الجزائري بالجزء الأكبر في اهتمامات النخبة، وذلك باعتبار أن الهوية بمثابة الدعامة الأساسية لطرح مشروعها السياسي - النخبة - في ظل وجود مختلف المؤثرات الجانبية التي تؤثر على التحديد الصحيح لمفهوم الهوية، في المقابل لم يثر هذا الموضوع أي سؤال أو جدال في الأوساط العامة من الجزائريين، نظرا لاعتنائهم التلقائي وربما الفطري بكونها نقطة ثابتة تتركز على العروبة (لسانا) والإسلام (دينا) ولأن الجزائريين تشبثوا على مر الزمن بهويتهم، وزاد تمسكهم بها خلال فترة الاحتلال بمواجهة آليات التدمير الثقافي الذي استهدفها<sup>(3)</sup>.

إن الصدمة التي خلفها الاستعمار يقول " محمد الكوحي " طرحت على الساحة سؤال الهوية وبفعل ممارسته في شتى المجالات أحرها الاحتفالات الاستفزازية سنة 1930م، أدى ذلك إلى إيقاض الروح الوطنية وإذكائها لدى مختلف فئات الشعب الجزائري، فكانت تلك دلالة واضحة على تشكل

<sup>1</sup> محمد الكوحي ، المرجع السابق، ص339.

<sup>2</sup> سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص 61.

<sup>3</sup> نفيسة دويذة، المرجع السابق، ص 196.

نخبة جديدة تناضل في اطار الحركة الوطنية الجزائرية والتي كانت جذورها الأولى تتشكل بدءا من نهاية الحرب العالمية الأولى مع انتقال حركة النضال ضد الاستعمار من الارياف (المقاومات الشعبية المسلحة) إلى المدن والحواضر مع بروز الأحزاب السياسية والصحافة الوطنية والنوادي والجمعيات، وكانت هذه النخبة الجديدة تتكون أساسا من البرجوازية وجلهم ذوو تكوين فرنسي وأطلق عليهم اسم "المتطورون"<sup>(1)</sup>.

إذاً فقد كان للتكوين الفرنسي ومشروعه التغريبي كما رأينا سابقا دورا بارزا في انزياح أفراد التيار الليبرالي عن أصولهم، وفي هذا الخصوص كتب "مالك بن نبي" بأن الإنسان ما بعد الموحدى أصبح وجهها نموذجيا للاستعمار" وإنه على أية حال تجسيدا للقابلية للاستعمار، والوجه النموذجي للعصر الاستعماري<sup>(2)</sup>، وبذلك فإن وعي الإنسان الجزائري بذاته وهويته أثاره الغزو الفرنسي ثم الممارسات الاستفزازية آخرها الاحتفالات المئوية سنة 1930م، وبالتالي فقد أصبحت نقطة البدء في نبذ تلك القابلية للاستعمار مباشرة بعد حدوث الصدمة الاستعمارية، واستمر الإشكال بعد ذلك، نظرا لحصول الوعي بالأجنبي وعدم وعي الذات بمدى تقبله.

## 2- أسس الهوية ومقوماتها عند الاتجاه الليبرالي:

إن طبيعة المشروع الثقافي الاستعماري بالجزائر الذي أُعتمد إلى جانب القوة العسكرية كان هدفه زعزعة القيم والممارسات والتصورات الروحية للمجتمع الجزائري، وعرف باستهدافه المؤسسات الدينية والتربوية التعليمية، وبالتالي فإنه عمل جديا من خلال ذلك على محاولة فصل الجزائريين المسلمين عن روابط هويتهم وشخصيتهم الأصيلة، وتمثل رد فعلهم على غرار كل المجتمعات "المتعدي عليها ثقافيا" لممارسة مقاومة دفاعية تجسدت مظاهرها في الانطواء والعزلة على العالم الخارجي، وفي إذكاء روح الكراهية اتجاه الثقافة الغازية طردا مع درجة المعاناة، أو من خلال إعلان التمرد أو الرفض الثقافي، وهذا عن طريق التمسك بما رأته يمثل القيم الأصيلة من تاريخ وذاكرة جماعية، وفي ذلك نوعا من محاولة إبقاء جزء من الكرامة المنتهكة، وأملا في إحياء الشعور بالعزة المفقودة.

<sup>1</sup> محمد الكوحي، المرجع السابق، ص 355 356.

<sup>2</sup> مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2002، ص 38.

أما بالنسبة للنخبة العصرية فقد وجدت نفسها على مقاعد المدرسة الفرنسية معجبة بكلاسيكيات الفكر الأوروبي ، ومتأثرة بنزغته التقدمية نحو الأديان، وبالأخص تجاه الإسلام، وبالمقابل فصلتها هوة عميقة عن إرث الأجداد، وترسخ لديها الوعي بضرورة الانفتاح والتطور، وبناء جسور التواصل المفروض والمطلوب مع الثقافة السائدة- الأوربية، لأنه وفقا لمنطق الصيرورة التاريخية فالحالة السوية تفرض زوال الثقافة المهشة والأضعف والمغلوبة<sup>(1)</sup>.

وفي تفسير بعض أفراد النخبة المفرنسة أن ربط الجزائر المتخلفة بهويتها العربية الإسلامية هو السبب المباشر في تخلفها ومصدر تعاستها، لذلك وجب تغيير هذه الهوية بأخرى تنزع أو تميل أكثر نحو الحداثة، وهكذا اتجه البعض منهم منساقين إلى البحث عن إطار مرجعي بديل أو هوية جديدة، سواء باستحضار نماذج هويات سابقة للإسلام، أو باستيراد أخرى غربية "وهذا راجع إلى الظروف التي كانت تعيشها بالجزائر خلال فترة الاحتلال، ما جعلها حقلا خصبا لأكثر من طرف بل لأكثر من تيار فكري أوروبي: برجوازي - ليبرالي وماسوني ولا ديني"<sup>(2)</sup>.

يقول رينان: " لا تكفي اللغة والحدود الجغرافية والعرق البشري وتشارك المصالح والضرورات العسكرية لتشكيل قومية، لأن القومية مبدأ روحي يتشكل من إرث لعادات وذكريات غنية والرغبة في العيش المشترك والاستمرار في اغتنام التراث"، انطلاقا من هذا القول يتضح جليا مدى تأثير النخبة بالنقطة التي أشار إليها "رينان" والتي تتمثل في جزئية العيش المشترك باعتباره العامل الأساسي والبارز لتشكيل أي أمة، وبناءً على هذه النظرية، فإن هذه الفئة -النخبة المفرنسة- لا ترى أي مانع لإلحاق المسلمين الجزائريين بالأمة الفرنسية إن أرادوا ذلك ويختلطوا مع الفرنسيين بشرط أن يكون ذلك وفق رغبة الطرفين في العيش المشترك، وهذا بصرف النظر عن الاختلاف في اللغة والدين والتقاليد ما دام أن هناك تقاربا سيتم تدريجيا بين الطرفين، وأن الزمن كفيل بكسر هذا الحاجز وردم الهوة بينهما<sup>(3)</sup>.

لكن وما يمكن التنويه به، أن هذه النخبة قد رفضت بناء أمة قومية على أساس ديني، لأن القومية الإسلامية غلطة تاريخية -حسبهم-، إذ ليس من الضروري أن يكون أبناء بلد واحد وأرض

<sup>1</sup> نفيسة دويذة، المرجع السابق، ص 198 199.

<sup>2</sup> أمهيدة عميراوي : من تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، ط2، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص63.

<sup>3</sup> سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص 66.

واحدة أن يكونوا من دين واحد<sup>1</sup>، كما رفضت حسبها أن يتم التعايش المشترك وتميل الكفة لصالح طرف على حساب الطرف الآخر وخاصة المسلمين الجزائريين، لأنه من غير الممكن أن تعيش الجزائر بدوئهم، لذلك فإن مسألة إلحاق الجزائر بفرنسا لن يكون إلا بالعرب والبربر - باعتبارهم هم من حددوا مصير هذه البلاد قبل أربعة عشرة قرن - وليس فقط بالأوروبيين الذين يعيشون فيها<sup>(2)</sup>.

إن الوضع البائس الذي أغرق الجزائريين جراء السياسة الفرنسية الأخيرة التي طبقت نمطا آخر للاستعمار فبعد الاختراق العسكري، شرعت في الاختراق الثقافي الذي قوامه غرس نظام تعليمي جديد في البلاد المستعمرة، نظام ينشر ثقافة المستعمر لغته وآدابه وتاريخه ومظاهر حضارته مخترقا بذلك ثقافة الشعب المستعمر على المستويات كافة، وكان الهدف من ذلك نشر ثقافة المستعمر وفرض هيمنته الفكرية<sup>(3)</sup>، وأمام هذا المشهد الذي خسر فيه الجزائريون كل شيء تساءل "بروفيلي" بل ونصح الجزائريين قائلا: " ما الذي سيخسره هذا الشعب عندما يصبح فرنسيا، بل سيحظى بكثير من الامتيازات<sup>(4)</sup>".

لذلك فلا غرابة حينما نجد أن أحد أفراد هذه النخبة، وأبرزهم في وقت من الأوقات -فرحات عباس- كان على أتم الاستعداد للتضحية والتنازل على كل شيء حتى وإن تعلق الأمر بهويته في سبيل إنهاء أو التقليل -إلى حد ما- من معاناة الجزائريين وترقيتهم وإخراجهم من الوضع السيئ والبائس الذي ورثوه جراء السياسة الاستعمارية التي فرضت عليهم قصرا، بضغط من الكولون<sup>(5)</sup>.

ترى الأستاذة نفيسة دويذة أن موضوع الهوية بالنسبة للنخبة لم يكن سجالا فلسفيا محضا وإنما اتخذ إطارا أيديولوجيا، ارتبط بالجانب السياسي في الأصل، حيث جاء تحلي بعض أفراد النخبة عن قانونهم الشخصي كمسلمين ليس بهدف ولوج عالم المسيحية، ولكن لتحصل على حق المواطنة الفرنسية، فالتجنيس أو المطالبة به كحق مشروع لم يعني أبدا الرغبة في التمسح، وهو موقف براغماتي

<sup>1</sup> حول نداء فرحات عباس للشباب الجزائري الفرنسي المسلم ينظر. يحي بوعزيز: الاتجاه اليميني...، مرجع سابق، ص ص 110 104.

<sup>2</sup> راجع لونيبي: التيارات الفكرية...، مرجع سابق، ص 354 355.

<sup>3</sup> محمد عابد الجابري: المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان، 1999، ص181.

<sup>4</sup> غي بروفيلي: المرجع السابق، ص188.

<sup>5</sup> برّ فرحات عباس موقفه قائلا: أن الأوضاع المزرية التي كان يعيشها الجزائري قد فرض عليهم اللجوء لهذا الحل من أجل إنقاذ الأهالي بشتى الطرق والوسائل المتاحة. نقلا عن سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص67.

عكسته كثرة الراغبين في الحصول على الحقوق السياسية من دون تغيير دينهم أو التخلي عنه، كما أن أهمية الإسلام لم تنبع من منظور عقائدي أو ضرورة دينية بقدر ما تم التركيز على وظيفة اجتماعية ومكانة في نفوس الجزائريين<sup>(1)</sup>.

وعلى النقيض من هذا يرى "مالك بن نبي" أن الهوية الفرنسية التي تبحث عنها النخبة المفرنسة وأصبحت ملاذهم، أملين في التخلص من حالة المعاناة، والأوضاع المزرية والنظرة العنصرية التي يعانيها المجتمع، بل وأصبحت ملاذهم الأخير عن طريقها يتم التحرر، فالأهلي يبحث عن التحرر عندما يقبل بتحطيم ذاته وعندما يحتضن أفكار سيده، فإنه في النهاية يحكم على نفسه بالهلاك، ذلك لأنه يحقق تدمير نفسه بنفسه<sup>(2)</sup>.

ومهما يكن من أمر، فقد انساق أفراد النخبة الجزائرية وراء فكرة استبدال الهوية الجزائرية بالهوية الفرنسية، والأخذ بالنموذج الفرنسي والغربي بشكل عام، ودعت إلى الاندماج في المجتمع الفرنسي<sup>(3)</sup> لذلك فقد كانت أغلب مواقف ومطالب هذا الاتجاه - باختلاف تياراته - تصب في سبيل تحقيق الانصهار في الذات الفرنسية والذوبان فيها، والاندماج في المجتمع الفرنسي، والعيش وفق الطريقة الغربية المخالفة لتقاليدها ولعاداتها الأصيلة، وذلك لاعتقادها أن الاندماج أفضل السبل لحل المشكلة الجزائرية، ومن أجل تحسين أوضاعها وظروف معيشتها، والتخلص من حالة البؤس الاحتقار التي كان يعيشها مجتمعها في ظل الهيمنة الفرنسية وقوانينها المححفة التي تطبق عليها، وفي سبيل مساواتها مع الفرنسيين للتمتع بحق المواطنة الفرنسية، إضافة إلى كونها اعتبرت أن لها الحق في اكتساب الجنسية الفرنسية بحكم ثقافتها ومستواها العلمي الذي يسمح لها بذلك<sup>(4)</sup>.

لقد شكّلت قضية الإسلام موضوعا مهما، شغلت به حيزا كبيرا في تفكير هذه الفئة، هذه الأخيرة عارضت اعتبار الإسلام كعنصر من عناصر الهوية، وذلك كون الإسلام حسبها يشكل عائقا

<sup>1</sup> نفيسة دويذة، المرجع السابق، ص 199.

<sup>2</sup> سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص 68.

<sup>3</sup> عبد الحفيظ بو عبد الله: فرحات عباس بين الإدماج والوطنية (1919-1962)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د يوسف مناصرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006/2005، ص 52.

<sup>4</sup> صافر فتيحة و صفاف هواري: " النخبة الليبرالية الاندماجية وموقفها من مسألة الهوية "، مجلة عصور جديدة، ع 2، مج 11، وهران، مارس 2021، ص ص 503، 504.



أمام تقدمها وانفتاحها على الحضارة الغربية، مما جعلها تدعو إلى إبعاد الدين الإسلامي عن الحياة العامة.

وهنا لابد من تبيان سبب هذا الموقف، الذي يعود في الأساس إلى الممارسات والأفكار التي رسختها الإدارة وبدرجة أكبر المدارس الفرنسية، وفي هذا السياق قدم الأستاذ "فريد حاجي" تحليلاً دقيقاً لهذه الوضعية عند دراسته لهذا الموضوع مؤكداً بأن المحتل وأجهزته منذ احتلال الجزائر وبدرجة أكبر خلال عشرينيات القرن الماضي، عمل بشتى الطرق والوسائل الغير مشروعة لأجل تشويه الإسلام، وإبرازه على أنه مجرد فولكلور يلوّن الحياة المحلية، وما يبرّر هذا التوجه تشجيع فرنسا للطرقية، وذلك بالدعم الذي كانت تقدمه لبعض مشايخ الطرق الصوفية المنحرفة أذئاب فرنسا وتسهيل ممارساتهم البعيدة عن كل ما يتعلق بالدين من شعوذة وزندقة الكل على طريقته الخاصة، ومن جهة أخرى إظهار هؤلاء الأولياء على أنهم الأجدر بتمثيل الإسلام فوجب تقديسهم على غرار الباباوات والقساوسة في أوروبا زمن العصور الوسطى والنتيجة: فما دام للمجتمع الجزائري أولياءه فإن لكل بلد عربي أولياءه كذلك، مما يعني أنه لكل قطر أو بلد إسلامه الخاص به، ومن هنا استبعدوا هذه الجزئية الهامة بحكم أن الإسلام ليس بعامل وحدة بل منظومة حكم<sup>(1)</sup>.

لقد أبدى عناصر هذا الاتجاه تخوفهم من فكرة الجامعة الإسلامية وصحة الإسلام والخلافة الإسلامية، وينمّ موقفهم هذا على أن صحة المسلمين تخيف الدول الاستعمارية على وجه الخصوص وفي هذا السياق كتب رابح زناطي قائلاً: "من الصعب تجاهل مخاوف البلدان الأوروبية من صحة الإسلام المتوسطي، ذلك لأن المسألة الإسلامية أصبحت تخترق أكثر فأكثر وهذا ما يؤثر لا محالة على العلاقات بين البلدان التي تسعى للتوسعات الإقليمية"<sup>(2)</sup>، ووفق تلك الرؤية تأكيد صريح على تخوف هذا الاتجاه من مسألة توسع رقعة الإسلام، ذلك لأنه لو حدث ذلك فإن أفكارهم ستضرب عرض الحائط هذا من جهة، ومن جهة أخرى بدا تخوفهم كون طروحاتهم التي تدعو للانصهار في المجتمع والحضارة الفرنسية تتعارض ومبادئ الدين الإسلامي.

<sup>1</sup> فريد حاجي، المرجع السابق، ص ص 431 432.

<sup>2</sup> La voix Indigène: n 386, 28 octobre 1936.

تعتبر قضية التحنيس من القضايا التي أثير حولها جدل كبير بالنظر لارتباط مفهومها بالمواطنة والأحوال الشخصية الإسلامية ومن ثم موقف الإسلام منها، لذلك فقد كانت لهذه السياسة دورًا بارزًا في تبيان موقف الليبراليين من الإسلام، كون أغلبهم تخلى عن مقومات التشريع الإسلامي - وهذا موقف صريح يظهر مدى عدائهم لكل ما يتعلق بالإسلام - وفي المقابل رضوا بالجنسية الفرنسية، وما يلحقها من التخلي عن أحوالهم الشخصية المستمدة من الإسلام، وأصبحوا يحتكمون إلى القوانين المدنية الفرنسية<sup>(1)</sup>.

وفي السياق ذاته كتب فرحات عباس حول قضية التحنيس موضحًا: " بما أن الأهالي فرنسيون، فهم ليسوا بحاجة إلى التحنيس"، معتبرًا بأن القضية يوجد بها تناقض، وتساءل: " كيف يقدم لنا التحنيس؟ والجزائر في الأساس أرض فرنسية، ونحن فرنسيون، مع احتفاظنا بقانون الأحوال الشخصية كمسلمين، وهذا القانون يتلخص في الزواج والميراث<sup>(2)</sup>، أما الباقي فالقانون الفرنسي يطبق علينا كاملاً."، هذا وشرح فرحات عباس موضحًا وجهة نظره: " فالتحنيس الفردي في هذه الأحوال لا يوجد مبرر له، إذا لماذا يتحنس الجزائري لكي يكون فرنسيًا؟ إنه فرنسي، حيث أن بلده أرض فرنسية - كما يقال - أم من أجل أن يتمتع بحقوق المواطنة الفرنسية كاملة، ويفلت من القوانين الفرنسية."<sup>(3)</sup>

وما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن عناصر النخبة التي هاجمت الدين الإسلامي كانوا ممن اعتنقوا المسيحية، ودعوا إلى التخلي عن المبادئ الشخصية الوطنية من دين ولغة، وفي المقابل توجد عناصر أخرى لهذه النخبة الاندماجية كانت لها نظرة تختلف عن هؤلاء الذين تنكروا لدينهم من خلال الدعوة إلى الحفاظ على مقوماتهم الدينية والحضارية، ومن بينهم فرحات عباس، ولعل موقفه أعلاه لخير دليل على كلامنا.

إن المتتبع لمسار أفراد النخبة الليبرالية الإندماجية، سيقف حتماً على تأثيرهم بالفكر العلماني وخاصة المبدأ الذي يقرّ بفصل الدين عن الدولة وهذا من خلال إعجابهم بتزكيا الكمالية التي قام

<sup>1</sup> رمضان بورغدة: " قضية تحنيس الأهالي المسلمين في الجزائر المستعمرة (1865 - 1969) الأبعاد والتداعيات"، سلسلة منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018، ص 145.

<sup>2</sup> لقد كانت مواقف فرحات عباس حول قضية الدين أكثر اعتدالا إذا ما قارناه ببقية أفراد الاتجاه الليبرالي الذين أبدوا عدائهم للإسلام علانية، خاصة أولئك الذين اعتنقوا المسيحية واللاتينية.

<sup>3</sup> فرحات عباس: الشباب الجزائري، تر: أحمد منور، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 99.

زعيمها بتطبيق هذا المبدأ، وقد جاء إعجابهم لتقاطع آراءهم وطروحاتهم ومطالبهم مع مبادئها العلمانية خاصة مبدأ التحرر من الدين وقيوده، وبخصوص هذه المسألة كتب رايح زياتي مقالا في جريدة صوت المستضعفين قائلا: " لأجل التحضّر يجب فصل الدين عن الحياة والتحرّر من قيوده، وعلى المسلمين أن ينتبهوا عما يوجد حولهم ويفكروا في المكانة التي يحتلوها في هذا العالم ويحددوا موقعهم، فلا ضير أن يحتفظوا بديانتهم ويفتخروا بعاداتهم، لكن في المقابل وجب عليهم أن يتطلعوا من حولهم ويستفيدوا من تجارب الثورة التركية لأنه السبيل الوحيد لتحسين وضعهم المادي وتحرّهم الفكري<sup>(1)</sup>"، ونظرا لتأثر أصحاب هذا الاتجاه، بالإجازات والمكاسب التي حققها أتاتورك والتغيرات الجذرية التي قام بها في بلاده التي كانت محل إعجاب في أوساطهم، لذلك أرادوا تطبيق نموذجهم فاستشهدوا به في العديد من المواضيع أثناء كلامهم، ودائما بخصوص المسألة الدينية كتب رايح زياتي مقالا دائما في ذات الجريدة قائلا: " إن الثورة التي قادها أتاتورك، قد قضت على جذور الأمية وقضت على الجهل الذي عرف تفشيا واسعا بين أفراد الشعب التركي الذي رسخه فيه رجال الدين المسلمين<sup>(2)</sup>"، انطلاقا من هذا الموقف الذي ينم عن قناعة أصحاب هذا الاتجاه بأفكار أتاتورك، ومن ناحية ثانية يتضح لنا مدى عدائهم لإسلام الذي يعد في نظرهم عاملا معرقلا أمام تطور الأهالي في إطار الحضارة الفرنسية، التي تتبنى مبادئها وقيمها القائمة على اللائكية التي تفصل الكنيسة عن شؤون الدولة.

أما في ما يخص اللغة، فقد دعت النخبة الاندماجية إلى تعلّم الفرنسية، حيث أصبح تعلّمها لديهم أهم شيء ذلك لأنها ستسمح لهم بالبقاء على اتصال مع روح فرنسا، وعليه ما يمكن ملاحظته فإن اللغة العربية لم تكن مقوما أساسيا في الوعي بالهوية لدى النخبة، لأنها مثلت لهم لغة القرآن أكثر منها انتماء عرقيا، بخلاف ما كان في المشرق<sup>(3)</sup>.

إن القضاء على اللغة العربية كانت من بين الأهداف التي حاولت الإدارة الفرنسية تحقيقها، فقد سخّرت كل الوسائل لأجل بلوغ ذلك، وكان من نتائجها نفور أغلبية تيارات الاتجاه الليبرالي منها، إذا استثنينا التيار المعتدل الذي طالما نادى بالتعليم باللغة العربية في مختلف برامجها، لكن هذا لا ينفي ضعف تحصيلهم وعدم إتقانهم للغة وطنهم الأم، في المقابل نجدهم يمجّدون لغة الاستعمار باعتبارها -حسبهم-

<sup>1</sup> La voix des humbles : n°= 70, janvier 1929, p 3.

<sup>2</sup> La voix des humbles : n°= 61, juin 1928, p 2.

<sup>3</sup> نفيسة دويذة، المرجع السابق، ص 200.

لغة الفكر، وهنا كتب فرحات عباس قائلا: "إن معارفي باللغة العربية -وأقولها بصراحة- هي مع الأسف، معارف ناقصة، معظم زملائي، إن جيلنا غير مدين إذا إلا قليلا جدا للأدب العربي، وعلى العكس من ذلك يشكل الفكر الفرنسي قاعدة المبادئ التي تقوم عليها، لقد جاءت روح الكتاب الفرنسيين لتقدم لنا تفسيراً علمياً وعقلائياً"<sup>(1)</sup>.

إن نكران الفرد للغة ودينه وهويته وثقافته الأصيلة وتفضيل لغة وثقافة وحضارة وتاريخ وفكر الآخر هو نوع من نكران الإثنية أو الذات أو الهوية، فحسب الأستاذ حاجي فريد " إن التمسك بلغة وتقمص روح الثقافة التي تحملها سيتبعه حتما ولاء سياسي لأصحابها، وهذا ما ينطبق على أفراد هذا الاتجاه الذين ارتموا في أحضان اللغة الفرنسية"<sup>(2)</sup>.

إن المتتبع لمسار أفراد هذا الاتجاه وطروحاتهم سيقف حتما على مدى تأثير المدرسة الفرنسية على آرائهم وأفكارهم التي تخص قضية الانتماء، فقد رفض غلاة هذا الاتجاه فكرة تشارك المقومات أو الاعتراف بالوحدة العربية، وهذا ما يتضح لنا حين عبرت جريدة "صوت الأهالي" عن مشروع شكيب أرسلان حول الوحدة العربية، وقد جاء في إحدى مقالاتها المنشورة سنة 1932م: " هل بإمكان قيام الوحدة العربية اليوم؟ وهل يمكن تحقيق مشروع وحلم شكيب أرسلان؟... في اعتقادنا لا يمكن ذلك كون مفهوم الوحدة العربية يتعارض مع الواقع لأن الشعوب العربية أو الناطقة باللغة العربية، ليس لديها رابطة عرقية تسمح بقيام هذه الوحدة"<sup>(3)</sup>.

إن المتصفح لهذا الكلام يقف على حجم التناقض الذي وقع فيه كاتب المقال، باعتبار أنه لا وجود كذلك -في نظرنا- لرابطة عرقية تجمع الشعبين الجزائري والفرنسي، لكن هذا لم يخفى على الإدارة الفرنسية واستكمالا لخدمة مشروعها -لأنها حققت جزءا منه بخلقها لهذه الفئة التي تنكّرت لأصلها- حاولت بث التفرق بين سكان البلد الواحد بسياساتها الإثنية، يقول في هذا الصدد غي بروفيلي أنه من جانب آخر عمل الاستعمار الفرنسي على محاولة فصل الجزائر عن انتماءها العربي خاصة منطقة القبائل

<sup>1</sup> فرحات عباس: الشاب الجزائري، مصدر سابق، ص 96 97.

<sup>2</sup> فريد حاجي، المرجع السابق، ص 438.

<sup>3</sup> La voix indigène: n 174, novembre 1932.

التي كانت بمثابة حقل تجارب للاستعمار في محاولة منه لتأسيس الكتلة العربية المسلمة عن طريق استيعاب الأقلية البربرية أو على الأقل فصلها عن الأغلبية العربية<sup>(1)</sup>.

وبهذا الموقف، فقد أقرّ أفراد هذا الاتجاه علانية أنه بإمكان تشكيل أمة جديدة عن طريق المشروع المفضل لديهم تمثل في الإدماج، فجاء في إحدى المقالات المنشورة في جريدة "صوت المستصغين" أنه لا حرج في دمج الأعراق لأجل تكوين أمة، فمن خلال ذلك سيعيش الأفراد الفرنسيين الذين ولدوا في الجزائر مع الجزائريين الذين تشبعوا بالثقافة الفرنسية، ومن خلال هذا حتما ستنشأ روابط قوية سواء من الناحية الفكرية أو من ناحية المصالح المشتركة<sup>(2)</sup>.

الأمر لم يقف عند هذا القدر وحسب، بل تعداه إلى أن أصبح أفراد هذا الاتجاه يرغبون بل والأكثر من ذلك يتمنون بالإجماع أن يكونوا تحت سلطة فرنسا، حسب ما قاله السعيد فاسي الذي أكد بأنه سيكون سعيد جدا لو ترك الجزائريين التثبث بالدين الإسلامي واللغة العربية ودخلوا تحت الحكم الفرنسي<sup>(3)</sup>، يتضح لنا من خلال هذا ودعوته للإدماج صراحة مدى تأثره بالثورة الفرنسية والأفكار التي تلقاها من مدارسها.

وفي تقرير آخر قدمه رئيس المندوبة المالية الشريف سيسبان، يبين مدى جهود هذا الاتجاه لدمج الجزائر بفرنسا، والإشادة بالرسالة الحضارية لفرنسا، وكان يرى كاتب هذا التقرير أن مصير الأهالي الجزائريين مرتبط بفرنسا أي وطنهم الأم، فيقول: "إن الأهالي ليس لهم غير الاندماج في المجتمع الفرنسي وأن خمس ملايين نسمة من الجزائريين مرتبطون بمصير الوطن الأم فرنسا"<sup>(4)</sup>.

ما تجدر الإشارة إليه، فإن الوحدة مع فرنسا كانت تخدم مصالح الاحتلال أكثر من هذا الاتجاه لأنهم اعتبروا في الأساس عبارة عن واسطة بين فرنسا والأهالي، وهذا ما عبر عنه المؤرخ جون ديجو Jean dejeaux الذي أكد باستحالة أن تصبح الجزائر فرنسية بالكامل إلى أن يأتي اليوم الذي يستفيد فيه

<sup>1</sup> Gey perveille: O P- CiT, p 214

<sup>2</sup> La voix des humbles, des 1927.

<sup>3</sup> Said faci: L'Algérie Sous L'égide de La France contre la féodalité algérienne, pref. M .Violette, Toulouse, 1936, p 56.

<sup>4</sup> ينظر إلى الملحق رقم (8) بخصوص نص التقرير الذي وضعه الشريف سيسبان:

Cherif Sisbane : note sur les reformes désirées par la fédération des élue des indigènes du département de Constantine, imprimerie p. braham, Constantine, 1931.

المثقفون المسلمون من حقوق المواطنة فيكون دورهم بمثابة همزة وصل التي تربط بين فرنسا والجزائر<sup>(1)</sup> هذا وفي سياق متصل أكد هذا الكلام المفكر محمد عابد الجابري قائلاً بأن: "الهدف من وراء سياسة فرنسا الثقافية تكوين نخبة من أبناء الشعب المستعمر تكون واسطة بين الإدارة الإستعمارية وأهل البلد المستعمر"<sup>(2)</sup>.

إن الإطار العام المحدد للهوية لدى النخبة عند التأكيد على وجود العرق الجزائري أصلاً، و ارتكز على طلب المواطنة الفرنسية مع خيط رفيع يربطها بالإسلام خاصة-لدى البعض-، أما الملمح الجماعي للهوية فتمثل أساساً في الانتماء للأمة الفرنسية، بغض النظر عن الخصوصيات المتباينة معها وذلك بموجب حق المواطنة وواجب العيش المشترك، والنخبة في هذا الموضوع قد ألزمتهم وفائهم للقيم الغربية أن تنحو باتجاه رفض القومية القطرية، أو تلك المبنية على الأساس اللغوي (القومية العربية) أو الديني فقط (الأمة الإسلامية)، واتخذت نموذج القومية الثقافية القائمة على المحدد الثقافي<sup>(3)</sup>.

### 3- إنزيحات<sup>(4)</sup> الهوية في خطاب فرحات عباس:

تعتبر قضية الهوية من المسائل الشائكة المطروحة لدى النخب الجزائرية المفرنسة، ولعل صعوبتها تزداد أكثر في ضل الظروف الاستعمارية لأن اللغة والدين والوعي القومي قد تبلوروا كملامح للشخصية الوطنية ضمن حلبة الصراع مع فرنسا، وبالمقابل كان الاحتلال ذاته سبباً في خلق مشكل الهوية من خلال خطابه وممارساته في فترة الثلاثينيات خاصة بدءاً باحتفالات مئوية الاحتلال والسنوات التي سبقتها، فكانت بذلك ثلاثينيات القرن الماضي أخصب الفترات التي طرح فيها مسألة الهوية وبشكل عنيف نوعاً ما، من طرف فرحات عباس على إثر الاحتفالات المستفزة لمشاعر الجزائريين كما سبق لنا وأن أشرنا، وكان دعاة الاندماج قد وضعوا الرهان على هذه الاحتفالات معتبرين أنها فرصة لتعزيز مراكزهم وتحقيق أهدافهم بالحصول على حق المواطنة الفرنسية والمساواة مع المعمرين<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> Jean dejeaux : Situation de la littérature magribine de la langue française(1920-1978), O.P.U.Hydra, Alger, 1982, p 26.

<sup>2</sup> محمد عابد الجابري : المسألة الثقافية ...، مرجع سابق، ص 181.

<sup>3</sup> نفيسة دويذة، المرجع السابق، ص 206.

<sup>4</sup> مصطلح يستعمل للدلالة عن الاستجابة التي تتجلى في تقبل القيم الفكرية والمعرفية للآخر واعتناقها أو ما يعبر عنها بإيجابية التفاعل.

<sup>5</sup> سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص 61.



يتفق دعاة الاندماج بمختلف تياراتهم في نقطة تنكروهم للهوية الجزائرية، ومن ذلك أن الجزائر حسبهم كانت تعيش قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1830م فراغا سياسيا، إذ لم تعرف في تاريخها أي تنظيم سياسي مهما كان نوعه، وهذا الطرح يتوافق والطرح الذي تبنته الأيديولوجيا الاستعمارية كمبرر تاريخي وحضاري لغزوها الجزائر، وبالتالي كان تبني هؤلاء الهوية الفرنسية من باب أن لا الهوية لهم<sup>(1)</sup>. وبالعودة إلى المشروع الذي تبنته الإدارة الفرنسية الاستعمارية، نجد أنها كذلك أسست أيديولوجيتها في الاحتلال على ثلاث منطلقات مركزية التشكيك في مكانة الإسلام بالمغرب العربي مع الحكم على نخبه السياسية بالعجز في حقل بناء دولة وتنظيم المجتمع، وبالتالي الإقرار بانعدام وحدة وطنية (تاريخية، اجتماعية وإثنية) لشعوب المنطقة ومكوناتها الاجتماعية والثقافية<sup>(2)</sup>، ولذلك فقد كانت هذه الأيديولوجيا الاستعمارية عاملا أساسيا ومباشرا ساهمت وبنزير كبير في انزياحات الهوية لدى النخبة الاندماجية عموما وفرحات عباس على وجه الخصوص.

لقد كان لتنوع المصادر الثقافية لفرحات عباس أثر بارز في تحديده لمواقفه وطروحاته، خاصة تلك المتعلقة بالهوية، فهو كان يجمع أكثر من إطار مرجعي، فهو يجمع بين الثقافة الفرنسية المكتسبة والتي أثرت فيه كثيرا وخاصة أفكار الثورة الفرنسية التي تلقاها بالمدارس الفرنسية، وبين الثقافة التقليدية التي ترسخت لديه منذ طفولته واحتكاكه الدائم بوسطه الاجتماعي، وللخروج من هذا الصراع والازدواجية كان لديه حل بالمزاوجة بين الإسلام والمواطنة الفرنسية، فكان يصرح بانتمائه لوطنيين الوطن الفكري المتمثل في فرنسا والوطن الروحي المتمثل في الإسلام، وهي محاولة للتوفيق بين الدين الإسلامي وفرنسا<sup>(3)</sup>.

وبذلك فإن المتتبع لمسار فرحات عباس، سيلاحظ حتما أن هناك نوعا من الغموض والهلامية في موقفه تجاه الأمة والهوية الجزائرية، فنجد أنه يؤمن بوجود هذه الأمة تارة وينفيها تارة أخرى، كما يذكر مقومات وعناصر محددة لها أحيانا، ثم يستبدلها بمقومات وعناصر أخرى في ظروف مغايرة<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> سلوى هلالي، المرجع السابق، ص 61 62.

<sup>2</sup> أحمد مالكي: الحركات الوطنية والإستعمار في المغرب العربي، مرجع سابق، ص 217.

<sup>3</sup> عبد الحفيظ بوعبد الله، المرجع السابق، ص 67.

<sup>4</sup> رابع لونيبي: التيارات الفكرية...، مرجع سابق، ص 353.

لقد تطرق فرحات عباس منذ بداية مشواره الصحفي وهو طالب إلى موضوع علاقة الأهل بالمسلمين بالإسلام، وعبر في العديد من المرات عن انجذابه للإسلام والحضارة الإسلامية فقال: "لقد ظل الإسلام هو عقيدتنا الصافية وإيماننا الذي يعطي معنى للحياة ، وهو وطننا الروحي"<sup>(1)</sup>، ويضاف إلى هذا فقد أظهر فرحات عباس إعجابه بفلسفة الحضارة والتواصل الحضاري، حيث نجده يدافع عن قيم الحضارة الإسلامية وينتصر للنبي صلى الله عليه وسلم<sup>(2)</sup> ، وهنا يرى الأستاذ "نور الدين ثنيو" بأن "الإسلام في مجمل كتابات فرحات عباس، هو جملة من القيم الحضارية"<sup>(3)</sup>.

يرفض فرحات عباس اعتبار الدين كعنصر هوية، ويرى بأن القرآن الكريم لا يمنع أن يكون الفرد مسلما وفي الوقت نفسه فرنسي الهوية والانتماء، كما اعتبر الإسلام سلوكا يوميا ومفتحا على العصر، يرفض الاهتمام بالشكل بدل الجوهر، فالإسلام -حسبه- عقيدة بسيطة بدون زخارف، ويحتوي على عدة مبادئ اجتماعية تتمثل في تقديس الأسرة بصفاتها الخلية الأساسية للمجتمع ، ونظاما مبنيا على الأخلاق والمساواة ، كما أنه ديمقراطي<sup>(4)</sup>.

يحللنا هذا الطرح إلى الوقوف على مدى تأثير النظرية القومية الفرنسية التي وضعها أرنتس رينان ernest renan على فرحات عباس، والتي تقول بأن " الرغبة في العيش المشترك "هي العامل الرئيسي في تشكل أي أمة، وبناء على هذه النظرية، فقد رأى فرحات عباس عدم وجود مانع في التحاق المسلمين الجزائريين بالأمة الفرنسية<sup>(5)</sup>، لذلك استبعد الدين كمقوم لعناصر الهوية.

إن الدارس لتاريخ الجزائر المعاصر، يعي جيدا زخم الأحداث السياسية أثناء فترة ثلاثينيات القرن العشرين، بدءا بظهور حركة العلماء الإصلاحية المتمثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومن جهة أخرى المبدأ الصريح الذي تبناه نجم شمال إفريقيا والذي أعلن عن ثورته، ومن جهة ثالثة استطاعت النخبة الجديدة من الانفصال وتأسيس فدرالية النواب المسلمين على حساب النخبة الوراثية، وما هذه

<sup>1</sup> فرحات عباس: الشباب الجزائري، مصدر سابق، ص 97.

<sup>2</sup> كتب فرحات عباس مقالا عاملا تحت عنوان "الإستعمار والأحقاد الدينية على الإسلام -النبي صلى الله عليه وسلم- عالج فيه الموضوع الذي كنا قد أشرنا إليه. للإطلاع ينظر. فرحات عباس: الشباب الجزائري، ص ص 80 89.

<sup>3</sup> نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، ص 435.

<sup>4</sup> عبد الحفيظ بوعبد الله، المرجع السابق، ص 69.

<sup>5</sup> للمزيد حول نظرية أرنتس رينان. ينظر رابح لونيسي: التيارات الفكرية...، مرجع سابق، ص 354.

الأحداث سوى دليل على فشل الاستعمار - إلى حد ما - في السيطرة على الوضع خاصة بعدما دعا ابن باديس إلى عقد جبهة وطنية تجمع الجزائريين وتقف في وجه الاستعمار.

في خضم هذه الأحداث نشر فرحات عباس في 27 فيفري 1936م في العدد 24 من جريدة الوفاق مقالته المشهورة الذي عنوانها ب: "على هامش الوطنية، فرنسا هي أنا"<sup>(1)</sup>.

إنّ التحليل التاريخي لخطاب فرحات عباس كما يؤكد الكثير من الباحثين أن صيحة (فرنسا هي أنا) تمثل لحظة خيبة عاشها الرجل في فرنسا الأنوار التي آمن بمبادئها الإنسانية السامية، حيث اكتشف أنه كان واثقا فوق اللزوم عندما كان ينتظر أن تمنح فرنسا الأهالي كل حقوقهم غير منقوصة، فهذه الصيحة لا تعني سوى رغبة فرحات عباس في اعتبار نفسه مجسدا لأفكار ثورة 1789م، وفرض لنفسه الاندماج في فرنسا الديمقراطية<sup>(2)</sup>.

وعلى النقيض من هذا توضح الأستاذة نفيسة دويذة أن صرخة "فرنسا هي أنا" تمثل ثورة من أجل البحث عن الهوية الحقيقية للجزائريين المسلمين، وأنه يقصد بالقبور التي لم يجدها تلك الشواهد على الأصالة، والهوية مادامت غير موجودة فهي ممسوخة متوارية بفعل الاستعمار<sup>(3)</sup>.

وفي رأي آخر يؤكد الباحث "الزاوي بغورة" بأن المقال الذي كتبه فرحات عباس، تلقى على إثره موجة من الانتقادات، فمن انتقده لم يراع الظروف والسياق التاريخي الذي كتب في، كما تم التركيز على فقرات من المقال دون فقرات أخرى، فالدارسون والمتفهمون للمقال الذي كتبه يكون قد ميّز بدقة بين فكرة الدولة وفكرة القومية المرتبطة أساسا بالأمة، وعليه فالفكرة الأخيرة مادامت لم تظهر للوجود إلا في القرن الثامن عشر فإنه من البديهي حسب فرحات عباس ألا يعي الجزائريون عبر تاريخهم دولة الأمة الجزائرية، والشيء الذي عرفوه فقط فكرة مفادها أنها إمبراطورية إسلامية أو عربية ودولة لم تكن مبنية على أسس قومية، وعليه فمادام أن الفكرة القومية قد عرفها الجزائريون وهم موالون للدولة والأمة الفرنسية، فلماذا لا يلتحقون بهذه الأمة بناء على الرغبة في العيش المشترك بينهم وبين الفرنسيين<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> ينظر الملحق رقم (9). L'entente : N 24 , 27 fev 1936.

<sup>2</sup> حميد عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، (د ت)، ص43.

<sup>3</sup> نفيسة دويذة: تطور فكرة الوطنية عند فرحات عباس (1927-1955)، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف د عمار بن سلطان، المدرسة العليا للأستاذة، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2005، ص87.

<sup>4</sup> الزاوي بغورة: الخطاب الفكري في الجزائر...، مرجع سابق، ص146.

لقد كان فرحات عباس متشعبا بالثقافة الفرنسية، وثقافة الأنوار والحريات والعقلانية، ولم يكن يرغب في التحلل منها، وفي الوقت نفسه كان مناصرا للأهالي ومطالباً بضرورة ترفيتهم ومدافعا عن ثقافتهم ودينهم وعاداتهم وحضارتهم، ففي حوار له مع وزير الداخلية الفرنسي حين التقى به سنة 1935م أخبره بأن: "الإسلام لا يعيق التقدم والاندماج يعني المساواة والمواطنة ضمن مبادئ الجمهورية" وبالتالي يمكن تحقيق التوازن والدمج بين الإسلام والمدنية، وهكذا ظل يطالب فرنسا بالاعتراف بالأهالي كفرنسيين وفي الوقت نفسه كمسلمين<sup>(1)</sup>، وانطلاقا من هذا فطبيعي جدا أن يكتب فرحات عباس مقالا مثل الذي كتبه في 27 فيفري 1936م كونه ظل وفيا لأفكاره وطروحاته، خاصة وأن أغلب الآراء التي استعرضناها تجمع على نقطة مهمة جدا كان يطالب بها فرحات عباس وهي الاندماج والرغبة في العيش المشترك.

إن هذا التوجه سيظل يشكل إزعاجا كبيرا في الحياة السياسية لفرحات عباس، فلم يمر المقال الذي كتبه من قبل مرور الكرام، فقد اتخذت جمعيه العلماء المسلمين ممثلة في رئيسها عبد الحميد بن باديس موقفا صارما وكان ردها عنيفا جدا، فبعد شهرين من صدور مقال فرحات عباس رد عليه ابن باديس بمقال نشر في مجلة الشهاب بعنوان "كلمة صريحة" مؤكدا على وجود الأمة الجزائرية بكل مقوماتها منذ أقدم العصور، ولديها من المميزات ما تختلف به عن فرنسا فكتب قائلاً: "...إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة وموجودة كما تكونت ووجدت أمم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها...ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، بل هي أمة بعيدة كل البعد عن فرنسا في لغتها وأخلاقها وفي عناصرها وفي دينها"<sup>(2)</sup>.

لقد شكلت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية لحظة مهمة عرفت خلالها تغيرات جذرية في فكرة فرحات عباس، فنجدته قد تخلى عن فكرة العيش المشترك مع الأمة الفرنسية لأنه اكتشف رفض الجزائريين والفرنسيين لها، وعلى اثر ذلك أصبح يؤمن بأمة جزائرية لها مميزاتها وخصائصها ووصل لمرحلة

<sup>1</sup> مصطفى كيجل: جدل الهوية في الخطاب الجزائري المعاصر، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر، 2022، ص74.

<sup>2</sup> عبد الحميد ابن باديس: "كلمة صريحة"، مجلة الشهاب، مج 12، ج1، أبريل 1936، ص ص 47 48.

اكتشاف الأمة الجزائرية في التاريخ، وقد اتضحت هذه الرؤية من خلال صحيفة الجمهورية الجزائرية، واعتماد علي الحامي الذي كان عضوا في الاتجاه الاستقلالي الذي انضم بعد ذلك للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، الذي أصبح مؤرخا رسميا للجريدة، الذي كتب وعالج العديد من المواضيع التي تخص توجهات الحزب والأمة والقومية المغاربية<sup>(1)</sup>.

لقد اتسمت نظرة فرحات عباس لمسألة المغرب العربي، والإصرار على تحقيق وحدة بلدانه في العديد من المناسبات، ذلك أن الجزائر حسبه لا يمكن أن تنفصل عن جارتها الشقيقتين تونس والمغرب اللتين تتماثلان معها في الوحدة الطبيعية والإقليمية وتكاملان في التكوين الإنساني والتقاليد الحضارية وتشاركان في المصير نفسه، فقد جاء في المؤتمر الوطني الأول للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري سنة 1946م "أن الجزائر لا يمكن أن تنفصل عن الجارتين الشقيقتين المغرب وتونس اللتين تربطهما بالجزائر الجغرافيا والتاريخ واللسان العربي والدين والاقتصاد"<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> رابح لونيبي: التيارات الفكرية...، مرجع سابق، ص 387.

<sup>2</sup> فرحات عباس: نظرات في حاضر الجزائر ومستقبلها...، مصدر سابق، ص 31.

## خاتمة الفصل.

- خلصنا بعد دراستنا لهذا الفصل إلى عدّة نتائج تمثلت في:
- لقد ساهمت المرجعية الثقافية للاتجاه الليبرالي دورا كبيرا في التكوين الثقافي والأيدولوجي لأعضاء النخبة، وذلك باعتبار أن هذه الفئة كانت من نتاج السياسة الفرنسية تم إعدادها لتبني وتحتضن مشروع الإدماج وتطبيقه في الجزائر على أرض الواقع وفق ما يخدم مصالحها، ومن جهة أخرى تكون بمثابة همزة وصل بين الإدارة الفرنسية وبقية الأهالي.
  - ساهمت المدرسة الفرنسية بدرجة كبيرة في التكوين الفكري لدى النخبة، التي حاولت ظاهريًا القيام بعمليات التعليم والتوعية والتثقيف، لكن باطنياً هدفها كان أعمق مما نتصور، فقد كانت بالنسبة للفرنسيين عبارة عن مشتلة، كان الهدف منها استمالة المثقفين الجزائريين حتى ينظموا إليها وانطلاقاً من هنا تسهل عملية دمجهم بالوسط الفرنسي.
  - مثل الانتماء الاجتماعي لأعضاء هذا الاتجاه دورا بارزا في التوجيه الفكري والثقافي لديهم والذي اتسم بتفرنسهم بدرجات متفاوتة، فمنهم من كانت مواقفه معتدلة ومنهم من اظهروا علانية انسلاخهم من ذاتيتهم الوطنية عرفا ولغة ودينا وتماهوا في ذات الآخر، وعليه فإن الدارس للنخب المثقفة الجزائرية عبر مراحل تطورها، يلاحظ مدى عجزها عن بلورة رؤية وطنية واحدة إزاء الكثير من القضايا والمسائل الوطنية بأبعادها السياسية والثقافية وإذا كان الاختلاف غير مطروح بالنسبة لمرجعياتها الفكرية الغربية، إلا أنها مواقفها من الإسلام وقيمه وحضارته هو الذي جعلها تنقسم إلى تيارات عد.
  - لقد تمحورت أيديولوجية النخبة الفرنكومسلمة أساساً في الإدماج، وكذلك المطالبة بحقها في التمتع بالقانون الفرنسي مع رغبتها في التمتع بامتلاك الجنسية المزدوجة، وحتى لا تتعرض للانفصام عن بقية الشعب الجزائري طالبت هذه النخبة بحقها في التمثيل البرلماني الفرنسي وتوسيع رقعة هذا التمثيل في الجمعية الجزائرية، لكنها اختلفت عن بقية التيارات الأخرى في قضية الدين الإسلامي حيث أنها نادى بالتمسك بالأحوال الشخصية، هذا وعرفت باعتدال مطالبها في مختلف برامجها.
  - لقد كان تأثير الثقافة الفرنسية وحضارتها كبيراً على التيار الفرنكوفيلي "المتطرف"، فكان من مظهرات هذا التأثير أن انتزعت هذه الفئة جذورها كلية من المجتمع الجزائري، وصارت تنفي



انتماءها إلى مجتمعها الأصلي، وأحياناً تنفي صلتها بالإسلام وابتعدت عنه لدرجة التحنس والاندماج في الحياة الفرنسية، وتضع هذه الفئة نفسها داخل النموذج الحضاري الفرنسي، كما دعت إلى الاندماج التام في فرنسا ثقافياً وسياسياً وحتى دينياً، والأخطر من ذلك أنها اعتبرت الدين الإسلامي عاملاً معرقلاً لفرنسة الجزائر، ومنها من ذهب إلى أبعد من ذلك فعمل على الترويج لفكرة انفصال الجزائر عن العالم العربي والإسلامي.

- إلى جانب هذا فقد ظهر تيار آخر "إنفصالي" بالرغم من أن فئته كانت محدودة ومحصورة في منطقة القبائل، إلا أنه كان بمثابة الخيار الذي تجسدت فيه كل المواصفات التي أرادت الإدارة الفرنسية عند إطلاقها لمشروعها التغريبي، فالتكوين الذي تلقاه أفراد هذا التيار جعلهم متشبعين باللائكية وتقديس أفكار الثورة الفرنسية، لذلك كانت كل طروحاتهم تنتكر لماضي الجزائر وتاريخها الحضاري، وهذا ما جعلهم يتبنون فكرة النزعة البربرية، وذلك في محاولة منهم لاقتلاع الجزائر من انتماءاتها العربية والإسلامية ومن ثم يسهل عملية ربطها بفرنسا.

- لقد كانت مساعي الإدارة الفرنسية لبناء المشروع الاجتماعي ليس هدفه تحقيق ما يُعرف بالمشروع الثقافي الفرنسي فقط، الذي يهدف إلى إلغاء الشخصية الجزائرية ودمجها في الآخر، بل تعداه، فالمشروع مرتبط أساساً بتفكيك بني المجتمع الجزائري، وإعادة بناء وخلق جزئي لقوى اجتماعية جديدة، وهذا ما انعكس بصفة مباشرة على أفراد الاتجاه الليبرالي الذي تلاقى تياراته بمختلف مستوياتهم الإيديولوجية في نقطة التنكر للهوية الجزائرية.

## الفصل الرابع:

أفكار وجهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

المبحث الأول: المرجعيات الثقافية والفكرية للاتجاه  
الإصلاحي.

المبحث الثاني: الفكر الإصلاحي في خطاب جمعية العلماء  
المسلمين الجزائريين.

المبحث الثالث: الهوية في خطاب الإصلاحية الجزائرية  
(جمعية العلماء المسلمين).

خاتمة الفصل.

## المبحث الأول: المرجعيات الثقافية والفكرية للاتجاه الإصلاحية.

إن كل مشروع مجتمعي مرتبط بمنظومة أفكار وقيم، هي من تؤسس وجوده وتبرز مشروعية تحقيقه، وكذا مراحل إنجازه، ومن هذا المنطلق فإنه لدراسة المجهود الفكري والإيديولوجي في إطار الخطاب الإصلاحية، لا بد علينا من تحديد أهم المصادر والمرجعيات الثقافية والفكرية التي استمدت منها الحركة الإصلاحية الجزائرية أفكارها ومبادئها، ساهمت من خلالها في بروز جيل من المصلحين تبنا تلك الأفكار لأجل تحقيق مشروعهم الإصلاحية من جهة ومواجهة الخطاب الاستعماري من جهة أخرى، يجعلنا هذا إلى طرح تساؤل مهم: فيما تمثلت أهم المرجعيات التي ساهمت في التكوين الثقافي والفكري لرواد الحركة الإصلاحية في الجزائر؟

### 1- المصادر الخارجية وتأثير الإصلاحية الحديثة في المشرق.

يقول الأستاذ علي بودريالة: أنه لا يمكن إدراك وفهم مضامين وأبعاد وآليات الخطاب الإصلاحية للحركة الإصلاحية في الجزائر من دون ربطه بخطاب الإصلاحية في المشرق العربي، بل وفي العالم الإسلامي ككل هذا من جهة، وبأوضاع الجزائر الداخلية خاصة الدينية والسياسية والاجتماعية من جهة أخرى<sup>(1)</sup>، ومن هذا المنطلق سنحاول أن نتحدث عن أهم الأفكار الرائجة للإصلاحية الحديثة بالمشرق العربي التي استلهمت منها الحركة الإصلاحية الجزائرية أهم أفكارها، لتبناها وتؤسس من خلالها مشروعها الإصلاحية الذي عملت على تحقيقه في الجزائر.

لقد عرف العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر ظهور حركة إصلاحية واسعة كانت ترمي إلى إيقاظ الشعوب الإسلامية من سباتها ودفعها إلى مجارة الدول الأوروبية في تقدمها، وقد رأت هذه الحركة أنه لا سبيل لتقدم العالم الإسلامي إلا بتحرير العقول من العادات القديمة المتوارثة وترك الشوائب التي أدخلت على الإسلام، وقد مثل هذا الاتجاه خاصة المصلحان جمال الدين الأفغاني(1838م-1897م) ومحمد عبده(1849م-1905م)، وبدون شك فإن هذه الأفكار والاتجاهات كانت تصل

<sup>1</sup> علي بودريالة: إشكالية الدين والدولة في الخطاب الإسلامي المعاصر بين الثوابت والمتغيرات، منتدى المعارف، ط1، بيروت، لبنان، 2021، ص 125.

إلى مسامع النخبة الإصلاحية بوسائل مختلفة: كالجرائد والرحلات العلمية ورحلات الحج<sup>(1)</sup>، ويؤكد هذا الكلام الأستاذ حنفي بن عيسى الذي قال: "بأنه من الثابت أن الفكر الأفغاني قد دخل إلى الجزائر، والجزائريون الذين درسوا في الأزهر والزيتونة والقرويين قد عملوا على نشر مبادئ الجامعة الإسلامية كما صورها الأفغاني"<sup>(2)</sup>.

مثلت الحركة التي قادها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، رد فعل متوازن للتحدي المزدوج الذي كان العالم الإسلامي يواجهه منذ القرن التاسع عشر، تمثل في تدهور المجتمعات الإسلامية بل والحضارة الإسلامية ككل، وذلك بسبب الهيمنة الغربية على العالم الإسلامي عسكرياً من ناحية ثانية.

لقد هدفت الحركة التي قادها جمال الدين الأفغاني إلى إيجاد حل شامل للمشاكل الإسلامية العالقة انطلاقاً من الآية الكريمة: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)<sup>(3)</sup>، وبذلك عمل الأفغاني على إيقاظ ضمائر الشعوب الإسلامية بهدف قياس نقاط الضعف فيهم ومن ثم العمل على تداركها، وما تجدر الإشارة إليه أن هاته الحركة الإصلاحية برزت في وقت مناسب، كانت فيه الشعوب الإسلامية على دراية بفارق القوة بينها وبين أوروبا ولهذا لقيت رواجاً.

وفي هذا السياق فإن الجامعة الإسلامية كانت قد وصلت تأثيراتها إلى الجزائر، والجامعة الإسلامية هي حركة تهدف إلى إحداث التضامن في أوساط العالم الإسلامي والتصدي للاستعمار من أجل تحقيق الوحدة، منهجها في ذلك الإصلاح الديني والاجتماعي بتحرير العقل والعودة إلى صفاته الأول كما كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان قد احتضن هذه الدعوة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1842م-1918م) لأنها كانت تصب في تثبيت ركائز الإمبراطورية العثمانية، لذلك اعتبر نفسه هو الرمز الروحي والسياسي لها<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> أحمد صاري: شخصيات وقضايا...، مرجع سابق، ص ص 15-16.

<sup>2</sup> حسن حنفي: "تأثير جمال الدين الأفغاني على الفكر الجزائري المعاصر"، مجلة الثقافة، ع 38، 1977، ص 114.

<sup>3</sup> سورة الرعد، الآية 11.

<sup>4</sup> فتح الدين بن أزواو: "جذور الفكر الإصلاحي في الجزائر و مؤثراته (1830-1931)"، المجلة التاريخية الجزائرية، ع 4، سبتمبر

2017، ص 205.

إن ما يمكن التنويه به هو أن الحركة الإصلاحية التي ظهرت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، كانت حركة معقدة كما وصف الأستاذ خالد بوهند: "ذلك لأن مذهبها لم يركز فقط على الجانب الديني، بل وشملت جوانب أخرى منها الجانب الاجتماعي والسياسي"<sup>(1)</sup>.

وفي ذات السياق أكد الأستاذ نور الدين ثنيو هذا الكلام، معتبرا أن الحركة الإصلاحية العربية الحديثة تختلف عن الحركات الإصلاحية التي شهدتها تاريخ الإسلام، ذلك أنها لم تقتصر على الدين فقط، بل طالت أيضا حياة جديدة في جميع تجلياتها ومظاهرها وأبعادها المختلفة، فالإصلاحية العربية الحديثة حسبه باعتبارها عاصرت الحداثة الأوروبية، حاولت أن تقتفي أثرها، لاسيما الموضوعات التي تطرقت لها، كالآداب والسياسة والاجتماع والاقتصاد، ذلك من أجل بلورة خطاب متكامل ورسامين، يبلغ إلى قطاع واسع من الجماهير، وفق الفكرة التي اختزلت النهضة العربية الحديثة في كيفية التوفيق بين الإسلام و الحياة المدنية الحديثة<sup>(2)</sup>.

وعلى هذا الأساس ومن أجل التوفيق بين الدين والجوانب الأخرى في إطار الحركة التي قادها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ولأجل تمرير أفكارهم، نجدهم اعتمدوا على الصحف وكانت أبرزها جريدة العروة الوثقى<sup>(3)</sup> التي ركزت على الإصلاح الديني والتربوي، أما جريدة المنار<sup>(4)</sup> فاهتمت أكثر بالإصلاح السياسي، غير أنهما تلتقيان في النزعة السلفية باعتمادها على القرآن والسنة، هذا وفي

<sup>1</sup> خالد بوهند، المرجع السابق، ص 283.

<sup>2</sup> نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، ص ص 303-304.

<sup>3</sup> جاء في العدد الأول من جريدة العروة الوثقى أهم الأهداف التي تصبوا لتحقيقها وحضرت مبادئها في التأكيد على محاولتها لإحياء الأمل في النفوس من أجل النهضة والتكفل بإطلاع العالم الإسلامي بالأحداث العالمية وأسرارها، بالإضافة إلى العمل على تقوية الصلات بين الأمم وذلك بخلق اتحاد يجمع الشعوب التي تعيش في كنف الإسلام لكي يتيسر لها التخلص من السيطرة الأجنبية، وأيضا إيقاظ حس التحدي لديها، بحيث يشكلون حلفا دفاعيا كبيرا يستطيع أن يصون نفسه من الانحطاط. للمزيد ينظر: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده: العروة الوثقى والثورة

التحريرية الكبرى، تح: صلاح الدين البستاني، دار العرب، ط3، القاهرة، مصر، 1993، ص ص 29-34.

<sup>4</sup> أسس هذه الجريدة محمد رشيد رضا، اهتمت بالجوانب السياسية للعالم الإسلامي آنذاك والإصلاح السياسي، كان للجريدة تأثير واضح على أفكار المثقفين الجزائريين، وكان لها أيضا دور فعال في نقل أفكار الشيخ محمد عبده إلى الجزائر، كما كان لها أثر واضح في تفعيل النشاط الفكري بالمنطقة. للإطلاع ينظر: عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان: إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار

الأمّة، الجزائر، 1998، ص 20.

السياق ذاته نجد كلتا الجريدتين شنتا حرباً على التقليد الأعمى في المسائل الدينية بين المسلمين، والتي عرفت هذه الظاهرة تفشيًا رهيبًا آنذاك، وفي المقابل نجدتها تدعوا إلى فتح باب الاجتهاد بل وممارسته بالفعل في بعض المسائل الفقهية.

بالإضافة إلى هاتين الصحيفتين، نجد الكتب والمنشورات المعبرة عن الفكر الإصلاحية التجديدي أنها دخلت إلى الجزائر، وتأكيدًا على ما ذكرنا سابقًا فقد كانت مجلة المنار ذات إقبال متقطع النظير لدى المثقفين بالعربية، بل والأكثر من هذا فقد كانوا يعتبرونها "لسان الإسلام ومنبر الإصلاح"<sup>(1)</sup>.

يضاف إلى الذي تم ذكره، تأثير بقية دعاة الإصلاح المشاركة الآخرين، الذين تسرب إنتاجهم الفكري كذلك إلى الجزائر مطلع القرن العشرين، فقد كان الجزائريون يتربون وصوله بشغف ويحيطونه بعناية واهتمام، كما هو الشأن مع جريدة " المؤيد " لعللي يوسف (1863م-1913م)، و كذا جريدة " اللواء " للزعيم المصري مصطفى كامل (1874م-1908م)، هذا الأخير كانت أفكاره تلقى رواجًا وإعجاب من المثقفين الجزائريين من خلال مقالاته الفاضحة لأساليب الاستعمار وسياسة الخفية، والقول نفسه ينطبق عن عبد الرحمان الكواكبي (1855م-1902م)، و كتاباته هي الأخرى لقيت رواجًا في الجزائر خاصة كتابي "أم القرى" و "طبائع الاستعباد"<sup>(2)</sup>.

إن الإصلاح هو دعوة إلى تجديد الذات، فضلاً عن البحث عن وسائل التجديد<sup>(3)</sup>، لذلك فقد كان مضمون الحركة الإصلاحية هو العمل على تحقيق النهضة الإسلامية بإتباع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والاستفادة من تجارب ومنجزات الحضارات الأخرى، وعلى وجه الخصوص الحضارة الغربية، وبالرغم من الاختلاف الحاصل بين المصلحين في الوسائل المعتمدة في الإصلاح، فقد ارتكز مفهوم الإصلاح عند الأفغاني على الإصلاح السياسي ومنه دعا إلى الجامعة الإسلامية في المقابل تعلق الإصلاح عند محمد عبده بالجانب الديني والتعليمي، ولعل أهم ما ميّز حركتي محمد عبده والأفغاني فيما

<sup>1</sup> محمد علي ديبوز: نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، ج2، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، (د.ت)، ص 29.

<sup>2</sup> فتح الدين أزواو، المرجع السابق، ص ص 206 207.

<sup>3</sup> نور الدين ثنيو: الحركة الإصلاحية الجزائرية بحوث ووثائق، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2018، ص 42.



يخص الإصلاح السياسي، هو تباين مواقفهما من إصلاح النظم السياسية في الدول الإسلامية والتحرر من الاستعمار والوحدة الإسلامية<sup>(1)</sup>.

## 2- الحواضر الإسلامية الخارجية ودورها في التكوين الثقافي والفكري لرواد الإصلاح الجزائريين.

حسب المذكرات وكتب التراجم والمراجع التي اختصت بدراسة السير الذاتية لعلماء الإصلاح في الجزائر، تذكر أن أغلبهم زاول دراسته العليا في الجامعات العربية الإسلامية، كالزيتونة والقرويين والأزهر وغيرها، ولكنهم قبل ذلك كانوا قد تلقوا تعليمهم الأولي بالجزائر، لاسيما في الكتاتيب القرآنية والزوايا والمساجد، وهو التعليم الذي كان متاحا قبل الاحتلال الفرنسي وأثناءه وهو الذي عوض التعليم العالي في الجامعة في ظل غياب جامعة إسلامية جزائرية حرة<sup>(2)</sup>.

إن الرحلة أو المهجرة العلمية والسياسية للجزائريين ظاهرة قديمة، وآخرها الموجات التي تسبب بها الاحتلال، أما العنصر الجديد فهو أنها أصبحت من فعل شباب يتوقون إلى التعلم واستكمال زادهم العلمي بعدما حصل من حصار أو دمار لمؤسسات التعليم التقليدية، كما تحولت بمرور الوقت إلى عملية منظمة يراد منا تكوين أجيال متحمسة للإصلاح، وبالفعل فإن معظم رموز العمل الإصلاحي وأغلبهم المنتمين لجمعية العلماء كانوا قد تلقوا دراستهم المتوسطة أو العليا في تونس أو المشرق، حيث تعرفوا إلى رجال الإصلاح وآرائهم، وعلى مستوى العدد يمثل من قصد المشرق أقلية، إلا اثنين من بينهم أديا دورا أساسيا، هما الشيخان البشير الإبراهيمي والطيب العقبي، أما الذين تخرجوا من الزيتونة واحتكوا بالوسط الديني والفكري التونسي فهم الأغلبية الساحقة، وعلى رأسهم زعيم الإصلاح الجزائري عبد الحميد ابن باديس إلى جانب شخصيات محورية أمثال مبارك المليي والعربي التبسي وأحمد توفيق المدني ومحمد العيد آل خليفة<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص 94. ينظر كذلك: محمد طهاري: مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، الفصل الخامس، ص ص 77-97.

<sup>2</sup> خالد بوهند، المرجع السابق، ص 288.

<sup>3</sup> عبد اللطيف الهرماسي: المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر: دراسة مقارنة من منظور علم الاجتماع التاريخي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط 1، بيروت، لبنان، 2018، ص 212.

مما لا شك فيه أنه من بين أكثر البلدان المغاربية تأثرًا بالأفكار الإصلاحية للشيخ محمد عبده كانت تونس، والتي تبوتقت في جامع الزيتونة العتيق، بحيث يذكر أحد الباحثين بأن هذا الأخير كان له الفضل في الحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية أثناء الاحتلال الفرنسي، وكان له الفضل أيضًا في قلب التيار الجارف في الجزائر نفسها لفائدة العربية والإسلام بواسطة جمعية العلماء المسلمين، ومعهد ابن باديس و الطلبة الجزائريين الذين زاولوا تعليمهم في الزيتونة بتونس<sup>(1)</sup>.

لقد تمتع الشبان التونسيون بحرية الإحتكاك مع الشبان المصريين من خلال الجرائد التي كانت تدخل مثل "الإسلام" و"المصور" و"اللطائف"، في ظل الأحداث التي كان يعيشها العالم الإسلامي، خاصة وأن عناصر النخبة التونسية لا تزال مشدودة إلى الجامعة الإسلامية وأفكار الإصلاح أمثال علي ومحمد باش حمبة، وعبد العزيز الثعالبي وغيرهم، الذين كانت تأثيراتهم تصل إلى الجزائر عبر الصحف التي كانت توزع في مدن قسنطينة وسكيكدة وعنابة، هذا كما زارت بعض الشخصيات التونسية الجزائر، كل هذه العوامل أثرت على مثقفي الجزائر أنذلك<sup>(2)</sup>.

لقد تميزت الحياة الثقافية في تونس بالانتعاش، خاصة مع اتصالها وتفاعلها الدائم مع ما كان يدور في المشرق العربي، وفي مصر على وجه الخصوص من أفكار إصلاحية جديدة أو بوادر نهضة فكرية عربية إسلامية، ونستطيع تحديدها في "المنار" التي اهتمت بأوضاع تونس خاصة الجانب التعليمي والإصلاح الديني، بالإضافة إلى الجرائد التونسية التي كانت تردد الأفكار الإصلاحية<sup>(3)</sup>، أمثال "جريدة الحاضرة"<sup>(4)</sup> التي كان مديرها علي بوشوشة<sup>(5)</sup>،

<sup>1</sup> علي الزايدي: "الوضع العام بالتعليم الزيتوني عن إصلاح سنة 1951"، المجلة التاريخية المغربية، ع 33-33، ص 11، جوان 1984، تونس، ص 78.

<sup>2</sup> سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص 95.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 95.

<sup>4</sup> جريدة الحاضرة: جريدة قريبة من جمعية الخلدونية نحت التوسط في الدعوة للإصلاح من خلال القبول بالحدثة الغربية كأفق حضاري، واشتراط تحسين الذات بخوض هذا الرهان، وهو ما جسده بدعوتهما إلى الحفاظ على التكوين الديني واللغة العربية وإصلاح التعليم الزيتوني مع الإقبال على المدرسة الحديثة، ثم تعليم المرأة لتكون قادرة على القيام بوظيفتها التربوية في نطاق الحفاظ على قيم المجتمع وعاداته، ينظر: عبد اللطيف الهرماسي، المرجع سابق، ص ص 180 181.

<sup>5</sup> الطاهر الحداد: التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة، تح: محمد أنور بوسنينة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1981، ص 25.

وصحيفة "سبيل الرشاد"<sup>(1)</sup> لصاحبها عبد العزيز الثعالبي، إضافة إلى كل هذا فقد كان لظهور الجمعية الخلدونية وإقبال العديد من الطلبة الزيتونيون على دروسها دور في زيادة استقبال الأفكار الإصلاحية، وكان لهذه الجمعية أثر كبير لدى مرتاديها كما يقول "الطاهر حداد": "وقد كان لهذه الحركة الإصلاحية العظيمة التأثير الكبير في الناشئة الزيتونية. وتخرج العديد منها بثقافة عالية"<sup>(2)</sup>، هذا ومن ناحية أخرى فقد كان لزيارة محمد عبده إلى تونس والتقاءه بشخصيات تونسية<sup>(3)</sup> أثر بليغ في استقبال ورواج الأفكار الإصلاحية التي أتى بها كما وصف الحداد مرة أخرى: "والشيخ المصلح محمد عبده عند زيارته لتونس والدرس العام الذي ألقاه بقاعة المحاضرات قد ترك أطيّب الذكر والأثر"<sup>(4)</sup>.

إن المتمعن في أوضاع الساحة الدينية والمنابر الإصلاحية في تونس خلال تلك الفترة، لا يسعه إلا أن يسجل تصاعداً في نشاط العلماء الإصلاحيين، وهذا ما انعكس على الطلبة الذين تتلمذوا على يد هؤلاء العلماء و من بينهم ابن باديس الذي صرح بأن الفضل في تكوينه العلمي والإصلاحي يرجع إلى أساتذته في الزيتونة وعلى رأسهم محمد النخلي والبشير صفر والطاهر بن عاشور قائلاً في حقهم: "المشايع الذين علموني العلم وخطوا لي مناهج العمل في الحياة ولم يخسوا استعدادي حقه أذكر منهم رجلين كانا لهما الأثر البليغ في تربيتي وفي حياتي العلمية...أحد الرجلين هو حمدان الونيسي القسنطيني، أما الثاني فهو الشيخ النخلي"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> سبيل الرشاد: صحيفة تميزت بخطاب تحريضي يدافع عن الجامعة الإسلامية والخلافة العثمانية، للمزيد ينظر: عبد اللطيف الهرماسي،

المرجع السابق، ص 181.

<sup>2</sup> الطاهر الحداد، المصدر سابق، ص ص 25-26.

<sup>3</sup> من بين الشخصيات التي التقت محمد عبده أثناء زيارته لتونس نجد الشيخ سالم بوحاجب والشيخ محمد الطاهر بن عاشور إضافة إلى عبد العزيز الثعالبي وغيرهم، وتقريباً كل هؤلاء المشايخ تتلمذ على يدهم ابن باديس ونهل من علومهم.

<sup>4</sup> الطاهر الحداد، المصدر السابق، ص 26.

<sup>5</sup> عبد الحميد ابن باديس: "كلمة المختفل به"، الشهاب، ج4، م14، جوان، جويلية 1938، ص ص 189 190.

هذا وفي إطار الشخصيات التي تأثر بها بن باديس، وساهمت في تكوينه وسار على نهجه في إبداء مواقف وآراءه في بعض القضايا التي تخص الأمة الإسلامية<sup>(1)</sup>، كان الثعالبي الذي قال في حقه: "لا الزعيم التونسي فقط، وإنما الزعيم الإفريقي وعلم العروبة والإسلام فيها ورمز الوحدة بين أبنائها"<sup>(2)</sup>. إن الحديث عن المنطلقات الفكرية للحركة الإصلاحية يعود بلا شك إلى الزيتونة على أساس أنها المدرسة التي تربى فيها جيل من علماء الإصلاح الجزائريين، وعلى رأسهم عبد الحميد بن باديس<sup>(3)</sup> هذا الأخير أقر بدور أساتذته هناك الذين لم يخلوا عليه بنصائحهم، ونزعوا عن بصيرته غشاوة التقليد وتخليص أسلوبه من الزلات اللفظية وإيقاظ حسه بالعروبة والإسلام، وبذلك يكون الوسط الزيتوني عموماً أدى دوراً في تكوينه الفكري والسياسي من خلال مطالعته للجرائد والمجلات والمقالات السياسية والإخبارية والتحليلية حول الوضع العام في الجزائر، وقد عبر عن هذا ابن باديس شخصياً بقوله: "وأنا شخصياً أصرح بأن كرايس -البشير صفر<sup>(4)</sup> - الصغيرة الحجم، الغزيرة العلم هي التي كان لها الفضل في اطلاعي على تاريخ أمي وقومي التي زرعت في صدري هذه الروح التي انتهت بي اليوم لكي أكون جندياً من جنود الجزائر"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> من القضايا التي كان يدور حولها النقاش في العالم الإسلامي أن ذلك كانت مسألة إلغاء الخلافة، والمتعارف عليه أن الشيخ الثعالبي كانت له صحيفة تحت اسم "سبيل الرشاد" الذي من خلالها حاول الترويج للجماعة الإسلامية، وكان من أشد المدافعين عن الخلافة العثمانية، وسار على نهجه العلامة عبد الحميد بن باديس الذي كان في بادئ الأمر ضد إلغاء الخلافة، لكن موقفه ظهر تحايلاً سنة 1938 بعد المقال الذي نشره في مجلة الشهاب. ينظر: عبد الحميد بن باديس: "الخلافة أم جماعة المسلمين"، الشهاب، ج2، مج14، ماي 1938، ص ص 61 63. للإطلاع أكثر حول مسألة إلغاء الخلافة ينظر كذلك: أحمد صاري: "ابن باديس ومسألة إلغاء الخلافة"، مجلة الآداب والعلوم الإسلامية، ع1، أفريل 2002، ص ص 141-159.

<sup>2</sup> سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص 95.

<sup>3</sup> محمد صالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962)، ش و ن ت، الجزائر، 1983، ص 75.

<sup>4</sup> كان من بين الأساتذة الذين درسوا في جامع الزيتونة، ومن الأساتذة الأوائل الذين كانوا يلقون دروسهم بالجمعية الخلدونية -سميت بهذا الاسم نسبة إلى عبد الرحمان بن خلدون- حيث كان يلقي دروس في الحساب والجبر والفلسفة والتاريخ والجغرافيا، للإطلاع ينظر: الطاهر حداد: المصدر السابق، ص 25.

<sup>5</sup> عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، ج4، تص: عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، ط3، الجزائر، 1997، ص 327.

لقد كان جامع الزيتونة من أهم الحصون الحامية للكيان الإسلامي<sup>(1)</sup>، وهذا ما زاد في افتخار الجزائريين الذي درسوا هناك تخرجوا منه، فكان حينهم واشتياقهم دائم للجامع وللمجلة، باعتباره المعهد الإسلامي الذي شهد توافداً كبيراً للطلبة الجزائريين من كل قطر الوطني فنهلوا من علومه، واحتموا به لصيانة ما تبقى من كيانهم الإسلامي الذي شنت عليه فرنسا حرباً ضربت في أعماق الذات الجزائرية، فقد صرح عبد الحميد بن باديس قائلاً: " ...كنت تلميذ من تلامذة الزيتونة، أن أغتبط بالمجلة الزيتونية خاصة، ويحق لي ، وأنا جندي من جنود الإصلاح الإسلامي"، ومن جهة أخرى راح الزاهري وهو أحد خريجي الزيتونة، يعد فضائله عليه بقوله: " وأنا مدين لجامع الزيتونة ، تخرجت من هناك وحصلت على شهادة التطويق، إن الحرك العلمية والأدبية والإصلاح الديني التي تشهده الجزائر كان لجامع الزيتونة فضل في ذلك فكثير من رجال هذه الحركة الوطنية قد تخرجوا من الزيتونة وأحرزوا على شهادتها العلمية"<sup>(2)</sup>.

لقد تعمقت الروابط الثقافية والفكرية والعلمية بين جامع الزيتونة والعلماء المسلمين الجزائريين الذين تخرجوا منه، وأسسوا فيما بعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وذلك بعد تأسيس معهد ابن باديس سنة 1947م بقسنطينة الذي نشأ بمجهود الأهالي ليكون بمثابة فرع للزيتونة، حيث تم تسطير وتكييف برنامج وفق ما يوجد عليه بجامع الزيتونة، لضمان التواصل، طالب الإبراهيمي إلى تدعيم هذه العلاقة من خلال دعوة نظارة الجامع إلى الاعتراف بالحركة العلمية الناشئة في الجزائر، وهذا ما كان يخشاه الاحتلال الفرنسي لما له من تغلغل في الأوساط الدينية والاجتماعية، وقد تدعم معهد ابن باديس بالكلية الكتانية التي حصلت بدورها على اعتراف جامع الزيتونة<sup>(3)</sup>، وبذلك فقد كان جامع الزيتونة المؤسسة الدينية التي تم اعتبارها بمثابة حلقة للتواصل العلمي والثقافي والسياسي بين البلدين الجزائر وتونس، استقطبت الطلبة الجزائريين قصد الاستزادة العلمية والفكرية والثقافية، بحيث بدأت رحلات المحجرات العلمية من الجزائرية إلى تونس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد ازدادت بداية القرن العشرين، ومنهم عبد الحميد ابن باديس الذي قصدتها سنة

<sup>1</sup> محمد العزيز ابن عاشور: جامع الزيتونة المعلم ورجاله، دار سراس للنشر، تونس، 1991، ص 132.

<sup>2</sup> سلوى لهلال، المرجع السابق، ص 96.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 97.

1908م للدراسة وحصل منها بتفوق على شهادة التطويح سنة 1912م، وكان الطالب الوحيد الجزائري في تلك الدورة<sup>(1)</sup>.

لقد كانت هجرة ابن باديس إلى جامع الزيتونة في أولى الهجرات العلمية الجزائرية في القرن العشرين والجزائر الذي امتد لتعبير عليه البعثات العلمية التي لحقت تباعا بعد هذا التاريخ من الجزائر وإليه يرجع الفضل الكبير في إرسال الرعيل الأول للبعثات الطلابية للزيتونة، فبعد عودته إلى الجزائر سنة واحدة فقط وبرعاية وتشجيع منه وصلت أول بعثة طلابية إلى تونس 1913م، وشهدت الفترة نفسها تدفق حركة الهجرة العلمية من منطقة ميزاب بالجنوب، حيث حل وفد من الطلبة إلى تونس، رفقة الشيخ إبراهيم أبو اليقضان للدراسة بجامع الزيتونة سنة 1912م، لتتولى بعدها البعثات العلمية بحكم التجانس الفكري وتطور مظاهر النهضة هناك بظهور المدارس العصرية، والأساليب الحديثة في التربية والتعليم وكثرة نواديها الأدبية والسياسية وصحافتها الحرة، وهذا ما جعل الجزائريين يشعرون بالشغف الشديد للتعلم فيها، لاسيما التعليم العربي الثانوي والعالي المزدهر في جامع الزيتونة<sup>(2)</sup>.

لقد لاحظت الإدارة الفرنسية الدور الهام الذي يؤديه جامع الزيتونة، وكان من تجليات ذلك أنه أثر على الحياة العلمية في الجزائر وعجل في نهضتها الإصلاحية، هذا ولاحظت شراسة العلماء الذين تخرجوا منه، وللحد من خطورة ذلك عملت على تقييد الهجرات العلمية إلى هناك، فقد ربطت الهجرة إليها لا تتم إلا برخصة خاصة ولا يتم منحها للتلاميذ، الأمر الذي حتم عليهم الذهاب مشيا على الأقدام، وكان من بين من خاضوا هذه التجربة محمد علي دبوب<sup>(3)</sup>.

لم تقتصر هجرة الجزائريين في رحلاتهم إلى تونس فحسب، فهناك من توجه إلى المدينة المنورة وزاول دراسته بها أمثال البشير الإبراهيمي والطيب العقبي<sup>(4)</sup>، هذا وشملت رحلات الطلبة الجزائريين أقطار أخرى لاسيما مصر، أين كان هؤلاء الطلبة المتعطشين للعلم يجدون ضالتهم في جامع الأزهر، أمثال

<sup>1</sup> عبد الرشيد زروقة: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1940)، دار الشهاب، بيروت، لبنان، 1999، ص ص 86-89.

<sup>2</sup> غانم بون: "النشاط الثقافي والسياسي للطلبة الجزائريين بتونس خلال النصف الأول من القرن العشرين"، مجلة دفاتر البحوث العلمية، مج9، ديسمبر 2021، ص ص 222-223.

<sup>3</sup> محمد علي دبوب، المصدر السابق، ص 21.

<sup>4</sup> عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 212.



الشيخ العربي التبسي، ورغم صعوبة الحياة التي واجهها الطلبة الجزائريين هناك، وحسب أحد المؤرخين خلال سنة 1916م، إلا أن هجرتهم نحوها استمرت دون انقطاع خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، لتتضاعف بعد الحرب العالمية الثانية وتبلغ أوجها خلال الخمسينيات من القرن العشرين<sup>(1)</sup>.

### 3- البيئة الداخلية وتحولاتها بالجزائر المستعمرة.

لقد قامت مخططات الاستعمار الفرنسي في المجال الثقافي على محاولة إبطال مفعول الوجدان الروحي والديني والنفسي والخلقي وإعلاء شأن المفاهيم المادية، وإطفاء مفاهيم الفكر والروح، ومن جهة أخرى الهجوم على القرآن الكريم والإسلام وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخ الإسلام والثقافة الإسلامية واللغة العربية<sup>(2)</sup>، ولذلك فقد كانت هذه المخططات الاستعمارية في الجزائرية عامل تدمير لهوية الشعب الجزائري الثقافية، فضلاً عن محاولة نسف مقومات وجود هذا الشعب المتأخر جزاء الواقع الاجتماعي المزري الذي كان يعيشه، ومما لا شك فيه فقد كانت آثار هذا الاستعمار على المستوى الثقافي أكثر خطراً من خلال بث الشكوك والتناقضات في المكونات الأساسية للفرد الجزائري، بمسوخ شخصيته الإسلامية العربية، وجعله يعيش في حالة انفصام، بتسخير موروثه وأصالته لضرب الانتماء الإسلامي العربي بهدف التمكين لواقع تهيمن عليه الثقافة الفرنسية، وأمام هذا الوضع تسهل عملية تشتيت الهوية الجزائرية، انطلاقاً من تدمير ذاكرة الشعب الجزائري التاريخية الجماعية وتفكيك بنيته الاجتماعية<sup>(3)</sup>.

إن السياسة الفرنسية الممنهجة الرامية إلى محو معالم الشخصية العربية والإسلامية وبعث النزعة البربرية وفرنسة النخب، مع ترك سائر الأمة فريسة الجهل، أفرزت نقيضها وهو نخبة جعلت من إحياء العربية ونشر التعاليم وإعادة الاعتبار إلى الثقافة العربية الإسلامية في رأس أولوياتها<sup>(4)</sup>.

لقد تفتن الضمير الجمعي الجزائري للخطر الذي كان يهدده، ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين طفت إلى السطح محاولات فردية وفتوية لإحداث الإصلاح في الجزائر والمرتبطة

<sup>1</sup> عمار هلال: "الطلبة الجزائريون في الأزهر عام 1916"، مجلة الثقافة، ع 79، جانفي - فيفري 1984، ص ص 140-141.

<sup>2</sup> أنور الجندي: الاستعمار والإسلام، دار الأنصار، القاهرة، مصر، (د ت)، ص 18.

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني: المسألة الثقافية في الجزائر...، مرجع سابق، ص ص 87 88.

<sup>4</sup> عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 217.

بالفكر، فحسب رأي الدكتور أبو القاسم سعد الله فإن الأصول الأولى للعلماء تعود إلى فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى: "حين كان مصلحون من رجيل آخر يخوضون في المسائل العقلية والاجتماعية"<sup>(1)</sup>، وكان من بينهم صالح بن مهنا القسنطيني(1840م-1910م)<sup>(2)</sup> الذي حارب البدع والخرافات والطرقية المنحرفة وكانت له العديد من الآراء والمواقف الإصلاحية، والنهج نفسه سار عليه عبد القادر المجاوي(1848م-1914م) الذي كان رجل إصلاح ديني تخرج على يده الكثير أمثال حمدان الويسي القسنطيني(1856م-1920م) الشيخ الأول لابن باديس، إضافة إلى المولود بن الموهوب(1866م-1939م) الذي اعتبره الأستاذ أحمد صاري رائدا من رواد الحركة الفكرية الثقافية، وكان من أبرز من مهد لظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر بداية العشرينيات من خلال جهوده التعليمية التي سعى من خلالها لإحياء الثقافة العربية الإسلامية<sup>(3)</sup>، شأنه شأن الرواد الأوائل الذين قادوا حركة الإحياء في نسختها التقليدية"<sup>(4)</sup>.

لقد أجمعت أغلب كتابات المؤرخين على تأثير النهضة العربية في مؤسسي الحركة الإصلاحية بالجزائر، لكن من الصعب علينا تحديد مدى تأثيرها، فالحركة التي قادها محمد عبده كان تأثيرها جزئيا - في نظرنا- في أوساط رجال الإصلاح الجزائريين، ذلك لأن جهود الشيخ كانت أكبر في تونس وبذلك فقد كان تأثيره هناك وخاصة بجامع الزيتونة وشيوخها الذين تتلمذوا مباشرة على يد محمد عبده، الذين أثروا بدورهم على الطلبة الجزائريين خاصة أولئك الذين تلقوا العلم على يد المشايخ ك: محمد الطاهر بن عاشور والبشير صفر ومحمد النخلي"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله: "العلماء الجزائريون (1919-1931)", المجلة التاريخية المغربية، ع2، مطبعة الإتحاد التونسي للشغل، تونس، ص 125. نقلا عن: سلوى لهلاي: المرجع السابق، ص 98.

<sup>2</sup> للاستزادة أكثر وللإطلاع عن حياة وأهم المواقف الإصلاحية للشيخ بن مهنا ينظر: مراد بن زفور وعميراوي أميدة: "الشيخ بن مهنا: حياته ومواقفه الإصلاحية (1840-1910)", مجلة البحوث التاريخية، ع 02، مج 05، ديسمبر 2021، ص ص 261-276.

<sup>3</sup> أحمد صاري: شخصيات و قضايا ...، مرجع سابق، ص 7.

<sup>4</sup> للمزيد ينظر: ناصر الدين سعيدوني: المسألة الثقافية في الجزائر...، مرجع سابق، ص ص 91-96.

<sup>5</sup> حميدي أبو بكر الصديق: قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية (1920-1954)، دار الهدى، الجزائر، 2021، ص ص 267 268.

وما يؤكد هذا الكلام، ما جاء به البشير الإبراهيمي حين تحريره لسجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، ففي معرض حديثه عن أهم العوامل التي أدت إلى نشوء الحركة الإصلاحية في الجزائر التأثير الجزائري لأفكار محمد عبده في نفوس العلماء الجزائريين<sup>(1)</sup>، بحيث قال في حقه: " كان الأستاذ الإمام أعجوبة الأعاجيب في الألمعية وبعد النظر وعمق التفكير وحدّة الخاطرة واستنارة البصيرة وسرعة الاستنتاج واستشفاف المخبات، حكيم بكل ما تؤديه هذا الكلمة من معنى"<sup>(2)</sup>.

لكن وبالرغم من هذا، لا يمكن بأي حال نفي أوجه التشابه في مساحات العمل بين محمد عبده والحركة الإصلاحية الجزائرية، في منطلقاتها ووسائل العمل والاهتمام بقضايا الأقطار الأخرى خاصة المجاورة منها، وأن الزيارة التي قام بها سنة 1903م في حد ذاتها هي سلوك عملي للاهتمام بالأقطار الأخرى<sup>(3)</sup>، وقد علق الدكتور عثمان أمين عن زيارته الإمام إلى الجزائر في كتابه رائد الفكر الإسلامي محمد عبده فقال: "...كان على الأستاذ الإمام إبان عودته من أوروبا أن يقف بنفسه على أحوال المسلمين في شمال إفريقيا، فقام بجولة إلى الجزائر وتونس وقد اكتشف هناك وجود حزب إصلاحي كبير ينتمي إليه"<sup>(4)</sup>.

إن ما يجدر التنبيه إليه، فإن هذا التأثير لم يكن مباشراً أو نتيجة هذه الزيارة للجزائر، حيث أن هذه الزيارة كانت لوقت قصير جداً إضافة إلى ما أحيط بها من المراقبة الفرنسية، كون محمد عبده عالم ذائع الصيت ومفت مشهور تخشاه فرنسا، وتحدث بخصوص هذا "محمد الطاهر فضلاً" قائلاً: " هذه الزيارة التي تحققت داخل سياج حديدي، ضربه الاستعمار الفرنسي عليها حيث اشترط منذ البداية عدم التدخل في شؤون السياسة من قريب أو من بعيد"<sup>(5)</sup>.

وفي السياق ذاته ، فقد صرح العلامة عبد الحميد بن باديس حول هذه الزيارة: " زيارة محمد عبده إلى الجزائر و تونس كانت شبه رسمية وقد أوعزت السلطات الاستعمارية إلى من وظفتهم في

<sup>1</sup> سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المصدر السابق، ص 37.

<sup>2</sup> نفسه، ص 33.

<sup>3</sup> حميدي أبو بكر الصديق، المرجع السابق، ص 30.

<sup>4</sup> المهدي البوعبدلي: "جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده للجزائر عام 1903م/1322هـ"، مجلة الأضالة، ع 54-55، ص 7،

فيفري-مارس 1978، ص ص 77 78.

<sup>5</sup> محمد الطاهر فضلاء: دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1984، ص 82.

المساجد أو المدارس من الأئمة والمفتين والمدرسين بالالتفاف حوله، حتى يحصوا عليه حركاته وسكناته وكل صغيرة وكبيرة من كلماته وأقواله، كان درسه الذي ألقاه في أحد المساجد بالعاصمة في تفسير سورة العصر درساً ضيقاً يتسع إلا لهؤلاء الرسميين، وليس من بينهم عالم حر يستطيع أن يتبادل معه الرأي خارج هذا الدرس في أحوال المسلمين عامة والجزائريين منهم بصفة خاصة، فزيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر وتونس كانت إذًا محدودة الأثر لإحاطة الرسميات بها من كل جانب، وإذا تأثرنا نحن علماء الجزائر الأحرار فيما بعد، فإن تأثرنا عن طريق دراسة دعوته هو وجمال الدين الأفغاني لا عن طريق زيارته للجزائر وتونس<sup>(1)</sup>.

هذا ويقرُّ عبد الحميد بن باديس في موضع آخر بأن قراءته لمحمد عبده كانت قليلة وجاءت متأخرة، ففي مقال نشر في جريدة "السنة" في عددها الثالث الصادر يوم 24 أبريل 1933م الذي عنوانه ب: "عبدالويون! ثم وهابيون! ثم ماذا؟ لا ندرى والله!" : يقول فيه: "...والله يوم جئت قسنطينة، قرأت كتب الشيخ محمد عبده إلا القليل<sup>(2)</sup>".

إضافة إلى هذا، فقد ساهمت الظروف التي كانت تعيشها الجزائر دورًا كبيرًا في بلورة الفكر الإصلاحية لدى العلماء الجزائريين، خاصة تلك التي تتعلق بالمجال الثقافي، فالسياسة الاستعمارية هدفت لإحداث شروخ عميقة طعنًا في شخصية الجزائر دينيًا و لغويًا، لذلك فمن البديهي أن تكون هناك ردة فعل جراء هذه الممارسات، فشكل الدفاع عن مقومات التعليم وإصلاح نظمه، موضوعاً مركزياً في مضمار مقاومة الاستعمار والعمل على تجاوز مضاعفاته على عروبة الجزائر وانتماءها الإسلامي<sup>(3)</sup>.

وفي سياق متصل، أكد هذا الطرح الدكتور علي مراد قائلاً: "تؤدي الأحوال المأساوية إلى تعطيل أو كبح الحركة الجماعية، وهدر الإمكانيات المادية، والقضاء على آمال الجميع، وتعجز الدولة وتشجيع هيجان العناصر المعادية للمجتمع، وتحميل الإسلام الإخفاقات والإهانات، فانه في هذه الحال

<sup>1</sup> باعزير بن عمر: من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسيين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، منشورات وزارة المجاهدين، ط2، الجزائر، 2008، ص ص 61 62.

<sup>2</sup> محمد الطاهر فضلاء، المصدر السابق، ص 84.

<sup>3</sup> أحمد مالكي: "الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي مقارنة لعلاقة "الأنا" ب "الآخر" في وعي الجيل الأول من الوطنيين المغاربيين (1926-1946)", أعمال المؤتمر الأول لمنتدى التاريخ المعاصر حول منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية في المغرب العربي، تق: عبد الحليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي، تونس، 1998، ص 52.

ينبري رجال ليرفعوا عقيرتهم بالصياح باسم صوفية سياسية دينية، ويفرضوا أنفسهم كمقومين ومصلحين ويبدوا بروز هؤلاء المصلحين إذا مساوقا لفترات من الانهيار الجماعي والقلق العام<sup>(1)</sup>، وما تجدر الإشارة إليه أن الدكتور علي مرّاد أكد على فكرة تأثير محمد عبده في الإصلاحية الجزائرية، فيرى: "بأن محمد عبده كان له دور كبير في نقل أفكار الإصلاحية بالمشرق الإسلامي للجزائر، كما ساعدهم على استيعاب التوجه الإصلاحي للإسلام المعاصر بشكل سريع<sup>(2)</sup>، وعليه فبالاعتماد على ما تم طرحه يكون علي مرّاد قد زواج بين عاملين أساسيين ساهما بشكل كبير في نشوء الإصلاحية الجزائرية وتبلور فكرها لدى روادها.

لئن كانت اللغة العربية تمثل ذلك الحاجز في مقومات الفكر العربي، الذي واجهها التغريب بحملات ضخمة<sup>(3)</sup>، فلا غرابة أن نجد المخططات الفرنسية كانت تهدف إلى تشويه البنية الفكرية والثقافية والحضارية للشخصية الوطنية الجزائرية، وكان جل تركيزها يراهن للقضاء على اللغة العربية، فتدخل المستشرقين<sup>(4)</sup> كان من أهم عوامل حركة هذا الصراع الثقافي، والسيطرة على التعليم وتوجيه مناهجه وبرامجه واختيار مادته، هذا الوضع لم يكن ليخفى على العلماء الجزائريين وعلى رأسهم ابن باديس الذي كان مشروعه الإصلاحي نابعا من وعيه بأهداف فرنسا والوسائل المستخدمة في ذلك، ثم طرق المواجهة، لهذا رمى بثقل مشروعه على التعليم العربي، هذا الواقع لم يرقم بشرحه محمد عبده أو جمال الدين الأفغاني بل ولم تكن الظروف في الجزائر مماثلة مثلما كان عليه الحال في مصر، فانجلترا لم تأت بمشروع مصر الإنجليزية كما فعلت فرنسا في الجزائر، لهذا كانت الظروف في الجزائر كفيلة لوحدها بظهور الإصلاح بالرغم من أن بعض المؤرخين يشيرون إلى ظروف أخرى كالاحتفالات المعوية والقوانين الفردية...<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> علي مرّاد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر: بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 35.

<sup>2</sup> علي مرّاد، المرجع نفسه، ص 37.

<sup>3</sup> أنور الجندي: الثقافة العربية المعاصرة في معارك التعريب والشعبوية، دار الرسالة، مصر، (د ت)، ص 35.

<sup>4</sup> للمزيد حول المشروع الفرنسي لإلغاء الوجود التاريخي والثقافي للجزائر ينظر: ناصر الدين سعيدوني: المسألة الثقافية في الجزائر...، مرجع سابق، ص ص 76-87.

<sup>5</sup> سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص ص 102 103.

لقد ارتبط الاستعمار منذ اليوم الأول بقوتين أساسيتين هما التبشير والإستشراق وكان الهدف هو دعم الوجود الاستعماري، بخلق عقلية موالية للغرب، منحرفة عن أصالة الإسلام الذي يعطيها دائما القدرة على المقاومة والجهاد والمواجهة<sup>(1)</sup>، هذا ومن جهة أخرى فقد ساهم الاستعمار الفرنسي بتدمير المؤسسة الدينية العالقة وإلحاق بقاياها بإدارته، في دعم هيمنته شيوخ الطرق والزوايا على الحياة الدينية كما عمل على ضمان ولاء أغلبهم، الشيء الذي جعل من هذه الفئة العدو الرئيس للعلماء الإصلاحيين<sup>(2)</sup>، وبناء على هذه المعطيات، إذاً يعتبر الإستشراق كمشروع - في نظرنا - من أهم الدوافع لظهور حركة الإصلاح كرد فعل طبيعي للدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية، ومن ناحية أخرى كان من الضروري مواجهة رجال الزوايا والصوفية المنحرفة التي أصبحت يد فرنسا بالمنطقة وجب بترها.

جدير بالذكر، فقد كان للريف<sup>(3)</sup> والمؤسسات الدينية والتعليمية المنتشرة به دوراً كبيراً في عملية تكوين الكوادر الثقافية والاجتماعية، فقد ساهم إلى حد بعيد في تطور إيديولوجية النضالية وذلك بوجود هياكل ثقافية كالمدراس القرآنية والمعاهد الدينية، هذا وكان من جهة أخرى مظهرًا من مظاهر الصمود المعنوي والثقافي في وجه الاستعمار، وقد كانت مهمته تغذية الحقد ضد الاستعمار، وعليه فحركة الإصلاح الديني قد نمت وتطورت بالجزائر بفعل هذه الهزة التي أحدثتها في مجال التوجيه الديني، مما سمح بإطلاق قوى وطاقات كانت مقيدة بقيود الجماد والانغلاق<sup>(4)</sup>.

إلى جانب كل الذي تم استعراضه، فقد وجدت الحركة الإصلاحية الجزائرية، في النوادي إطاراً مهماً للارتباط بمكونات المجتمع المدني الناشئ، فكان من تأثيرات الحياة الحديثة، علاوة على ظهور الأحزاب والنقابات والصحافة بروز هذا القضاء الجديد، كما التحول الذي طرأ على وظائف بعض الفضاءات الاجتماعية القديمة ومنها المقهى، فالنادي الذي ولد مع النخبة عرف ازدهاره في الثلاثينيات

<sup>1</sup> أنور الجندي: الإستعمار والإسلام، مرجع سابق، ص 5.

<sup>2</sup> عبد اللطيف الهرمسي، المرجع السابق، ص 215.

<sup>3</sup> للمزيد حول دور الريف ينظر: محمد إبراهيم المليي: "البعد الريفي في الثورة الجزائرية"، مجلة الأصالة، ع22، ص 3، أكتوبر - نوفمبر 1974، ص ص 50-58.

<sup>4</sup> سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص 103.



غير الطابع الفكري الجاد لأنشطته، شكل فضاء يتحاور فيه المثقفون من توجهات مختلفة، فعلى الرغم من أن النوادي لم تكن متجانسة من حيث اتجاهات منشطيتها، إلا أنها عبارة عن مراكز استقطاب لتيار الإصلاح، وفي هذا الإطار الجديد احتل نادي الترقى في العاصمة مكانة مميزة، إذ أصبح يرمز إلى عملية "استرداد" العاصمة فكريًا وسياسيًا من العنصر الأهلي، وإلى الصعود الثقافي كحركة العلماء<sup>(1)</sup>.

مهما يكن من أمر فقد أفرزت السنوات التي عقت الحرب العالمية الأولى نشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر، ويمكن تخلص عوامل نشأتها في أربع نقاط رئيسية تمثلت في تأثير حركة الإمام محمد عبده على بعض المصلحين الجزائريين ويضاف إلى هذا مطالعة البعض "لمجلة المنار" لصاحبها محمد رشيد رضا، كما كانت لكتب المصلحين القيمة أمثال كتاب الشيخ أحمد بن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية والشوكاني دور في ذلك، هذا ومن ناحية أخرى فقد كانت للثورة التعليمية التي أحدثها عبد الحميد بن باديس بدروسه الحية وتربيته السليمة ثم إرسال بعثات علمية لتستكمل تكوينها الذي بدأته الجزائر لنتهيته في الزيتونة، يضاف إلى هذا عودة الجزائريين المثقفين من الخارج وخاصة من الحجاز مهد الإسلام الأول ومنبت الدعوة إلى الحق ومبعث الإصلاح الإنساني العام، بعد أن تلقوا تكوينًا صحيحًا بفكرة إصلاحية ناضجة هذا دون نسيان التأثيرات التي أعقت نهاية الحرب العالمية الأولى وتأثيراتها في بروز جيل متطور فكريًا كما وصف البشير الإبراهيمي<sup>(2)</sup>.

لقد تبلورت هذه المؤثرات في ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931م بعد خطوات وسنوات من الإعداد والفهم العميق لمعنى الإصلاح ووسائله، وبعد دراسة وتحليل لوضع المجتمع الجزائري والطرق الكفيلة لإصلاح هذا المجتمع، انطلقت كوكبة من علماء الجزائر وعلى رأسهم عبد الحميد ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين في تطبيقهم لمشروع الإصلاح، الذين هدفوا من خلاله إلى إصلاح ما أفسده الاستعمار وأذنا به بالمنطقة.

<sup>1</sup> عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 217.

<sup>2</sup> سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مصدر سابق، ص ص 37-39.

## المبحث الثاني: الفكر الإصلاحى فى خطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

إن ما يميّز به الفكر الإصلاحى الإجتماعى والسياسى عند جمعية العلماء المسلمين، التنظيم العملى والنزوع المستقبلى فى آن واحد، فهم لم يكتبوا بنشر دعوتهم الإصلاحية بين طلابهم وفى معاهدهم الشعبية الحرّة وحسب، وإنما كان لهم برنامج عمل شامل فى تكوين الإنسان المسلم وإخراجه من التخلف حتى يكون نواة للدولة المتحرّرة فى المستقبل<sup>(1)</sup>.

لقد كان برنامج الجمعية كما يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله أنه ارتكز على ثلاث زوايا: دينية واجتماعية وسياسية، رغم أن الزاوية الأخيرة لم تكن صريحة ومباشرة<sup>(2)</sup>، فأسسوا المدارس العربية الحرّة والنوادي الثقافية وأصدروا المجلّات الأدبية والسياسية وحاربوا الأمراض الاجتماعية، وفى الحقل السياسى النظرى كان لهم دستور كامل فى إصلاح الشعب الجزائرى العربى من الواجهة الدينية والوطنية والأدبية والعلمية، كما دعوا إلى قومية عربية إسلامية وعارضوا بشدّة بل ووقفوا فى الصفوف الأولى ضد حرب التجنيس التى سنتها الإدارة الفرنسية، وكانوا يعملون على تحقيق هدفين أحدهما ظرفى (حالى) تمثل فى محاولة تعبئة القوة المثقفة لتكون إلى جانبهم فى معركة الإصلاح والتكوين الثقافى والسياسى للجماهير الشعبية. أما الهدف الثانى فقد كان يتمثل فى فصل الجزائر عن فرنسا تحت العلم الوطنى الجزائرى، وكان الشعار الأيديولوجى الذى وضفته هذه الجماعة عنواناً لبرنامجها وهدفاً عملت على تحقيقه، شعاراً بسيطاً وواضحاً تستطيع الجماهير أن تعتنقه، فىكون لها كالإطار الفكرى إزاء التيارات الأيديولوجية المتزاحمة بشدّة وإلحاح وهو ( الجزائر وطننا و الإسلام ديننا و العربية لغتنا)<sup>(3)</sup>.

يذكر المؤرخ أبو القاسم سعد الله بأن الجيل الجزائرى الجديد رحب بالفكر الدينى الذى جاء به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان "يبدو محل جاذبية ونجاح" كما يصف، وذلك بسبب تفسيرهم المتفتح للدين وثورتهم على الخرافات والاعتقادات المتأخرة، وبذلك انجذب هذا الجيل خاصة حين تناولهم للتفسير الدينى التقدمى وللمشاكل الاجتماعية التى كانت تواجه الجزائر فى ذلك الوقت<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> عبد الله شريط: مع الفكر السياسى الحديث...، مرجع سابق، ص 109.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص 396.

<sup>3</sup> عبد الله شريط، المرجع السابق، ص 101.

<sup>4</sup> أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص 398-405.

إن دعوة العلماء المسلمين إلى التفسير الديني التقدمي للمصادر الإسلامية، كان قد مهدّ الطريق أمام الوطنيين الآخرين من أجل الملائمة بين الوطنية في مفهومها الحديث وبين الأفكار الدينية والاجتماعية التي اعتبرت في أماكن أخرى في غالب الأحيان عقبات في طريق نجاح الوطنية، إن كثيرا من زعماء الحركة الوطنية كانوا يلتفتون إلى العقود السابقة ليتذكروا "حمدان خوجة وحزب المقاومة"<sup>(1)</sup> الذي قاده إبان الاحتلال الفرنسي، والأمير عبد القادر وحره الطويلة، فالأرض التي كانت تقف عليها هذه الحركة كانت غنية، قادرة على أن توحى للزعماء الجدد أن يحدّدوا أهدافهم ويقيموها على قاعدة ثابتة ومتينة، ولم تكن الأيديولوجيا العالمية المحيطة بهم سوى مساعدة لهم وليست مصدر وحي<sup>(2)</sup>.

من جهة أخرى يؤكد الباحث عبد الله شريط أن مذهب العلماء كان يقوم على إحياء العنصر الحركي في الدين، وكان شعارهم البسيط في الحقيقة برنامج عمل يمتد إلى الميدان الديني والاجتماعي والثقافي والسياسي، وأسلوبهم ليس أفلاطونيًا؛ أي أنه لم يكن أسلوبا مثاليا مبتعدا على الواقع ومنفصلا عنه، بل على العكس من ذلك فهو يعتمد على الشرح وكان واقعيًا متفاعلا مع الجماهير، وأحيانا تكون حملاتهم حماسية وعنيفة، وبفضل حركتهم الإسلامية استمد الشعب الجزائري وحدته الوطنية لمواجهة "الكفاح السياسي"<sup>(3)</sup>، وكانت الإدارة الفرنسية في المقابل تستعمل كلمة (المسلم) لتنتعج بها الجزائريين من الدرجة الثانية، أما من حيث كون الإسلام عامل تعبئة وتجنيد، فإن ناحيته السياسية في الحركة الجزائرية، كانت أبرز من ناحيته التعبدية الألوهية، إنه في ضمير الشعب عبارة عن وعي لإرادة المقاومة ضد الاستعمار، وحتى المساجد كانت تؤدي وظيفة الملجأ للوطني المطارد من قبل الشرطة والجيش الفرنسي<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> للإطلاع أكثر حول الموضوع ينظر: عمراوي أمهيدة: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827-1840، دار البعث، ط 1، قسنطينة، الجزائر، 1987، (الفصل الثالث و الفصل الرابع).

<sup>2</sup> عبد الله شريط: مع الفكر السياسي الحديث... مرجع سابق، ص 111.

<sup>3</sup> إن السياسة أفكار، لأن الصراعات السياسية عبر مراحلها التاريخية هي في جوهرها صراعات بين اتجاهات الأيديولوجيات نفسها أو بين العقائد، وهي في النهاية مذاهب و آراء و أفكار غالبًا ما تظهر في حزب سياسي يتمسك ببرنامج معين ملزم لأعضائه بالتعصب لمبادئه و غالبًا ما تكون هذه الأحزاب على جانب عالٍ من التنظير. للإطلاع والاستزادة ينظر: أمهيدة عمراوي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، ط 2، الجزائر، 2004، ص 108.

<sup>4</sup> عبد الله شريط: مع الفكر السياسي الحديث... مرجع سابق، ص 111.

إن ما تجدر الإشارة إليه، أن الفكرة الدينية قد مثلت الدور الجوهري، ذلك لأن العنصر الديني يتدخل مباشرة في عناصر الشخصية التي تكون (الأنا)، وهذه الطاقة الحيوية المنظمة لدى الفرد تتحول بدورها إلى نشاط اجتماعي يبدع النشاط المشترك في التاريخ ويولد حركة دائمة صاعدة، تتصرف فيها الإرادة، وذلك بأن تقوم هذه الإرادة بتوزيع تلك الطاقة الحيوية على مختلف قطاعات النشاط الاجتماعي للفرد، فتتحكم بذلك في توزيع النشاط المشترك للجماعة، حتى يصل هذا النشاط إلى نسج شبكات من العلاقات الاجتماعية قد وصلت إلى أقصى درجة من الفاعلية وإلى أسمى معنى من معانيها" و أصبح شعارها الفرد للمجتمع والمجتمع للفرد"<sup>(1)</sup>.

إن وعي رواد جمعية العلماء المسلمين كان على مستوى عالٍ، فلم تكن لتخفى عنهم هذه الجزئية الهامة التي مثلت الأرضية الأساسية في عملية الإصلاح التي قادوها، فتمحور أساس نشاطهم على إصلاح الفرد، بتصحيح عقيدته وتهذيب أخلاقه، وهكذا تأسس العمل الإصلاحي لديهم في بعده التربوي، وهدفه الوطني، عن طريق جعل الإسلام ممارسة تكسب المناعة الذاتية للفرد الجزائري وترسخ تماسك الأسرة، وتبعد الجماعة الإسلامية عن ظاهرة الفردانية التي قد تتسبب في انحلالها<sup>(2)</sup>.

إن كل فكر له البيئة التي ينشأ فيها، أي أن كل فكر هو بالضرورة فكر حضاري يعبر عن روح العصر<sup>3</sup>، وعلى هذا الأساس فقد تبلور لدى الجمعية مفهوم متكامل في رؤيتها الإصلاحية، واتخذت منهجًا محددًا في سعيها إلى بث الوعي الحضاري في الشعب الجزائري، ما أصبغ عليها صفة إحياء وتيقظ اجتماعي وتحرر ثقافي، وجعل من مشروعها مضادًا للسياسات الاستعمارية، وعملا على ذلك فقد كترس زعماء الحركة الإصلاحية الجزائرية جهودهم لخدمة العقيدة الإسلامية واللغة العربية والاهتمام بتوعية الشعب وتربية الناشئة تربية وطنية، وكان في طبيعة من قاد هذا المشروع الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس الذي عمل على نشر فكرة الإصلاح وتكريسها في الواقع، رفقة ثلة من علماء الجزائر<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> محمد طهاري: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 107.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني: المسألة الثقافية في الجزائر...، مرجع سابق، ص 114.

<sup>3</sup> حسن حنفي: قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار التنوير، ط2، بيروت، لبنان، 1983، ص 79.

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني: المسألة الثقافية في الجزائر...، مرجع سابق، ص 109.

نظرًا إلى محورية شخصية الإمام عبد الحميد ابن باديس في العمل الإصلاحية وفي نشاط جمعية العلماء المسلمين، فإنه من المفيد- في نظرنا- في هذه الدراسة أن نقوم بإبراز فكره الإصلاحية، ومنهجه المتبع في ذلك، وكذا مميزات خطابه الإصلاحية.

### 1- الفكر الإصلاحية عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس:

لقد مثل الشيخ عبد الحميد ابن باديس شخصية محورية في الحياة الثقافية للجزائر، إذ كانت لشخصيته المتصفة بالعقلانية والإقدام والاعتدال وتدير الأمور مساهمة كبيرة في نجاح جمعية العلماء المسلمين في أداء مهامها الإصلاحية ورسالتها الحضارية، كما وصف الأستاذ ناصر الدين سعيدوني فكانت وسيلة فعالة في بلورة الشخصية الجزائرية، وإعادة بناء مكونات هويتها التي نال منها الاحتلال الفرنسي، وكان لابن باديس دور محرك في بعث الأمة الجزائرية، انطلاقًا من منهج متزن في العمل الإصلاحية والتفاعل مع العمل السياسي، لأن مشروعه الإصلاحية كان يهدف إلى تفكيك آلية التبعية التي أوجدها الاستعمار الفرنسي على مدى عقود، وعلى المستوى السياسي كانت مواقفه تتميز بالحكمة والذكاء<sup>(1)</sup>.

وبذلك فقد عهد الإمام ابن باديس مؤسس الخطاب الإسلامي الإصلاحية في الجزائر، وقد تركز خطابه الذي يقوم على مبدأ الواقعية الاجتماعية الجزائرية، متأثرًا ومستلهمًا خطابه من التيار السلفي<sup>(2)</sup>. لقد مثلت الظروف التي كانت تعيشها الجزائر جراء الاستعمار الفرنسي سببًا رئيسيًا في انخراط وانحدار المسلمين، الأمر الذي أدى إلى بروز رد فعل من قبل العلماء الذين حاولوا من خلاله دعوة الجزائريين لأن يتأملوا في مصيرهم الديني، وحثهم للعودة إلى التعاليم الحقيقية للإسلام النقي الذي جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ذلك لأنه الدافع الأساسي لتطور البشرية وازدهارها، باعتبار أن مقياس القوة الإسلامية ليس في التقليد الأعمى للغرب، وإنما المبادئ المستمدة من الإسلام نفسه<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني: المسألة الثقافية في الجزائر...، مرجع سابق، ص 110 111.

<sup>2</sup> علي بودريالة: المرجع السابق، ص 127.

<sup>3</sup> Andre Dirlik: Abd al-hamid ben badis (1889-1940) ideologist of Islamic reformism and leader of Algerian nationalism, a thesis submitted to the Faculty of graduate studies and research in partial fulfillment of the requirements for degree of Doctor of Philosophy, Institute of Islamic studies, Mc Gill University, Montreal, March 1971, p p 10-11.

إن العمل على تطهير الدين من الخرافات والأوهام والشوائب التي ألصقت به، والرجوع به إلى أصل الكتاب والسنة وما كان عليه في القرون الأولى، كان موضوع الإصلاح عند الشيخ عبد الحميد بن باديس كإطار عام<sup>(1)</sup>، الذي هدف من خلاله إلى نشر الدين الصحيح بكل الوسائل التربوية وذلك من أجل "تكوين طائفة منسجمة التعليم مطبوعة بالطابع الإصلاحية عملاً وعلماً، مسلحة بالأدلة مدرية على أساليب الدعوة الإسلامية والخطابة العربية"<sup>(2)</sup>، وقد اعتمد لتحقيق ذلك على التعليم الديني الحرّ بالعربية، بالإضافة إلى الحملات الدعوية والتفسيرية التي كان يقودها، وينشر الصحف والمجلات ومصنفات المذهب الإصلاحية<sup>(3)</sup>.

لقد تمحور المبدأ الأساسي الذي ارتكز عليه الفكر الإصلاحية عند الإمام عبد الحميد ابن باديس في نص الآية الكريمة: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)<sup>(4)</sup>، إذ كان يرى بأنه لا يمكن القيام بأي عمل في النظام السياسي أو الاجتماعي قبل تحرير الضمائر، والعمل على إصلاح الفرد قبل كل شيء<sup>(5)</sup>.

وعليه فإن إيمان الشيخ عبد الحميد ابن باديس بهذا المبدأ كانت قناعة راسخة، ومن جهة أخرى كان يرى بأن عملية الإصلاح الديني والفكري، لا يمكن أن تتخذ سبيلها إلى المواطنين إلا إذا كانت

<sup>1</sup> إن الوجه الآخر الذي حدّد مضمون الحركة الإصلاحية عمومًا والجزائرية على وجه الخصوص التصدي للمؤسسة الطرقية، القائمة على التقليد وإعادة إنتاج وتيرة الحياة الاجتماعية والدينية نفسها الوافدة من عصور التخلف العربي، زمن أفول الحضارة الإسلامية، فالتوجه الذي سعت إليه جمعية العلماء هو البحث عن الإسلام الصحيح في حضم الفراغ الذي خاضته عند الطرقية التي تناصرها الإدارة الفرنسية، من أجل تكريس الإسلام الجزائري، فالإسلام كما ورد في المادة الأولى من دعوة الجمعية و أصولها "هو دين الله الذي وضعه لهداية عباده" وتوضح المادة الثانية الإسلام الصحيح "هو دين البشرية التي تثق به". وواضح من هذه الفقرة أن الشيخ عبد الحميد ابن باديس واضع هذه الأصول مناهضةً للطرقية، عمل على محاربتها لأنها ساهمت-الطرقية- في انتشار البدع والاعتقادات الفاسدة والشرك، وفي هذا الصدد يذكر بن باديس قائلاً: "كان الناس كأهم لا يرون الإسلام إلا بالطرقية، وقد زاد ضلالهم... فلما ارتفعت دعوة الإصلاح حسب الناس أن هدم تلك الأضاليل التي طال عليها الزمان و رسخها الجهل و أيدها السلطان (يقصد فرنسا)، محال، وقد تصدى (الشهاب) للطرقية و يجارب ما أدخلته على القلوب من فساد عقائد على العقول من باطل وأوهام، وعلى الإسلام من زور وتحييف وتشويه". ينظر عبد الحميد بن باديس: الآثار...، ج2، ص369 - 368.

ينظر كذلك: نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، ص ص 319-320. ينظر للملحق رقم (10) مقال لابن باديس في جريدة البصائر يفضح فيها الطرقيين وممارساتهم ويبين حقيقتهم.

<sup>2</sup> سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، مصدر سابق، ص 39.

<sup>3</sup> علي بودريالة، المرجع السابق، ص 127.

<sup>4</sup> سورة الرعد: الآية 11.

<sup>5</sup> عبد الحميد ابن باديس: آثار ابن باديس، مج1، ج1، تص: عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، ط3، الجزائر، 1997، ص 11.



مصحوبة بالتعليم، والتعليم القومي على وجه الخصوص، الذي يشتمل بالإضافة إلى القراءة والكتابة على دراسة التاريخ العربي والإسلامي<sup>(1)</sup>.

هذا من جهة و من جهة أخرى، بالإضافة إلى تنويحه بضرورة التعليم، فقد كان يرى بأن التربية هي أنجع وسيلة للإصلاح الاجتماعي والثقافي والسياسي، وفي هذا الصدد كتب مقالاً تحت عنوان "صلاح التعليم أساس الإصلاح" أقر فيه هذه الحقيقة: "لن يصلح المسلمون إلا إذا صلح علمائهم لأنهم بمثابة القلب للأمة، ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم"<sup>(2)</sup>.

كان الإمام عبد الحميد ابن باديس يدرك تمام الإدراك بأنه لا قيمة للتعليم والإصلاح، إذا لم يوجه إلى الشباب، لأنهم رجال المستقبل وقادة مجتمعه، ولهذا ركز جهوده منذ البداية على تعليم النشء ودعوته إلى إصلاح الشباب وتربيتهم، فقام بفتح المدارس وألقى لهم فيها الدروس والمحاضرات، كما قام بإشراكهم في الجمعيات التربوية والكشفية ونظم لهم الأناشيد الحماسية وأنشأ لهم الجرائد وجعلها ناطقة بلسان الشباب الناهض الواعي بوطنه ودينه ولغته<sup>(3)</sup>.

إن الجهود التعليمية والتربوية التي كانت يسعى إلى تحقيقها، ما هي إلا محاولة لإعادة إحياء وبعث الإنسان الجزائري المسلم من جديد، لأجل إيقاظه حتى يحافظ على مقومات الشخصية المسلمة ووطنه وهويته الجزائرية، وهنا تتجلى الواقعية في الخطاب التربوي، الذي يتميز به عبد الحميد ابن باديس فقد جاء في أهداف الجمعية التعليمية: "إن غرضنا من الوجهة التربوية بعد تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم، ومن الوجهة التعليمية تثقيف أفكارهم بالعلم"<sup>(4)</sup>.

لقد اشتملت أبعاد المشروع التربوي الذي قاده عبد الحميد ابن باديس على رؤية علمية صحيحة، تقوم على ركائز سليمة مستوحاة من هوية الشعب الجزائري العربي المسلم، تمثلت في الدين

<sup>1</sup> عبد الرزاق عطلاوي: الأبعاد الفكرية في النضال الوطني الجزائري (1930-1954)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف قادة الأحرار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2019-2020، ص 262.

<sup>2</sup> عبد الحميد بن باديس: الآثار...، ج 1، مصدر سابق، ص 101.

<sup>3</sup> عبد العزيز فيلاي: الشيخ عبد الحميد بن باديس وعيه بالاستعمار والثقافة الفرنسية من خلال أرشيف الاستخبارات الفرنسية، دار الهدى، الجزائر، 2016، ص ص 25 26.

<sup>4</sup> عبد الحميد ابن باديس: الآثار...، ج 1، مصدر سابق، ص 107.

واللغة والوطن، ذلك لأن الدين عماد الحياة وبه تستقيم أحوال المجتمع، وأن اللغة واللسان مكن الشعور أما الوطن فهو الأرض، وعلى الجميع أن يحافظ عليه بل وأن يعتز به<sup>(1)</sup>.

لئن كانت اللغة مقوما أساسيا لوجود أي أمة، فقد كان الدفاع عن اللغة العربية يطرح على الصعيدين الثقافي والديني وحتى على الصعيد السياسي<sup>2</sup>، ومن هذا المنطلق تمحورت رؤية الإمام ابن باديس بأن الدين الإسلامي لا يفهمه الجزائريون إلا بلسانهم القومي، فجاء تركيزه على ضرورة تعلم اللغة العربية، ومن ثم جاءت نظرية وحدة التصدي الحضاري بالمزاوجة بين اللغة والدين، وهذا ما أكده قائلا: "عقدنا على المقاومة المشروعة عزمنا وسنمضي بعون الله في تعليم ديننا ولغتنا... إن الإسلام والعربية قضى الله بخلودهما ولو اجتمع الخصوم على محاربتهما"<sup>(3)</sup>.

إذا فالمسألة الثقافية في خطاب الحركة الإصلاحية الجزائرية كانت أولى من المسائل الاجتماعية وقضايا التحديث والعصرنة بالمفهوم الغربي التي باتت تهدد الشخصية الوطنية العربية الجزائرية المسلمة، ولذلك تعتبر المسألة الثقافية عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس ذات بعد استراتيجي بحيث لا يمكن أن يكون هناك إصلاح ديني من دون أن يكون مرتبطاً باللغة العربية الحاملة له، وهي اللغة العربية، ولا يمكن فصل العربية عن الشخصية العربية ذاتها، فليست العربية في منظوره لساناً فحسب، بل هي ثقافة وهوية وانتماء تاريخي، فهل يمكن إدراك أصول الإسلام محور دعوتهم السلفية وخطابهم من دون التمكن من العربية لسان حالهم<sup>(4)</sup>، بمنهجها ذات البعد العربي والمغاربي والعربي الإسلامي<sup>(5)</sup>.

لقد هدف عبد الحميد بن باديس من خلال مشروعه الإصلاحي إلى خلق نخبة مثقفة وطنية جزائرية أصيلة، لذلك عمل باجتهاد على تعليم النشئ وتربيته تربية سليمة، لتكون متسلحة بالإيمان والعلم والفكر الصحيح، وأخذه بأسباب الحضارة والتقدم وناهضه بالدعوة والإصلاح، فالعلم عنده قبل

<sup>1</sup> عبد الرزاق عطلاوي، المرجع السابق، ص 263.

<sup>2</sup> محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، مرجع سابق، ص 479.

<sup>3</sup> عبد الحميد ابن باديس: البصائر، س 3، ع 107، 8 أبريل 1938، ص 1 2. ينظر كذلك: عبد الحميد ابن باديس: الآثار، ج 1، مصدر سابق، ص 107.

<sup>4</sup> علي بودريالة: المرجع السابق، ص 133.

<sup>5</sup> عبد الحميد ابن باديس: الآثار...، ج 1، مصدر سابق، ص 106.

العمل مقتدياً بقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في هذا المجال، وتحرير الأذهان قبل تحرير الأبدان، لأنه يؤمن بالعمل الجماعي وبالتشاور والتحاور<sup>(1)</sup>.

يتضح لنا مما تم استعراضه أن طبيعة الفكر الباديسي أو مسيرته العقلية، أنه يجمع بين الفكر والعمل، وبين النظر والتطبيق، وهي ميزة النفوس القوية، وطبيعة المفكرين المؤمنين، وحياته كلها مصطبغة بهذا الطابع، وقد عبر عن هذه الحقيقة بقوله: " العلم قبل العمل ومن دخل العمل بغير علم لا يُأمن على نفسه من الضلال"<sup>(2)</sup>.

في حقيقة الأمر، إن ما كانت تعمل عليه جمعية العلماء المسلمين بقيادة عبد الحميد ابن باديس وما أنجزته، يمثل خير تمثيل للصورة التي يمكن أن تتخذها الدعوة إلى النهضة، فقد اعتمد في أسسها النظرية على العلم الصحيح و الخلق المتين ونبد الجمود، وترقية المسلم الجزائري في حدود إسلاميته التي هي حدود الكمال الإنساني، وحدود جزائريته التي يكون بها عضواً حياً عاملاً في حقل العمران البشري، وحدود عربوته التي تمنحه مع الجزائرية والإسلامية والإنسانية الشخصية التاريخية الثقافية المميّزة<sup>(3)</sup>.

لذلك فابن باديس كان صريحاً جداً في موقفه من عملية التغيير الاجتماعي الذي نوه بضرورة انطلاقها من داخل الذات أو الضمير الإنساني - كما سبق لنا وأن قلنا- والإسلام الذي يحقق هذا التغيير الاجتماعي، وهنا تحديداً يفرق بين الإسلام الوراثي التقليدي والإسلام الذاتي العقلي الذي مبدأه الفكر والنظر ولحمته البرهان وبناء العقل على العلم، أما الإسلام الوراثي التقليدي المأخوذ عن الآباء من دون نظر أو تفكير، مبني على الجمود والتقاليد، فلا فكر فيه<sup>(4)</sup>.

إن نظرية الإسلام الذاتي والإسلام الوراثي التي حلّ لها ابن باديس بكثير من العناية والحرص هي في الحقيقة ثورة على المسلمين بواسطة الإسلام، وليست مجرد تنكر عاطفي للتقاليد التي دخلت حياة المسلمين، هي ثورة لتجاوز الإسلام الوراثي المظهري وبناء الإسلام الذاتي الداخلي، لم يستعمل ابن باديس فيها أسلوب التهجم بل استعمل التحليل المتأني، ووجد أن هذا الإسلام العقلي هو الذي يخلق في الأمة الإسلامية القدرة على التفاعل مع الحضارات والثقافات العلمية، وهو الذي يكون الإنسان

<sup>1</sup> عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 27-28.

<sup>2</sup> عبد الحميد ابن باديس: الآثار...، ج1، مصدر سابق، ص 102.

<sup>3</sup> عبد الحميد ابن باديس: آثار ابن باديس، ج2، مج 2، نص: عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، ط3، الجزائر، 1997، ص 358.

<sup>4</sup> علي بودريالة، المرجع السابق، ص 130.

المسلم والمجتمع الإسلامي الذي يكون مصدر الدولة الإسلامية الحديثة، وليست الدولة هي من تبنى المجتمع الإسلامي بقوانينها وسياساتها ومنجزاتها، ومن ثم مزج ابن باديس بين الوطنية السياسية والوطنية الدينية والبيئة الشعبىة التي تتكامل كلها عنده ولا تتعارض<sup>(1)</sup>.

إن بناء المجتمع - الدولة يقوم عنده على الوطن "باعتبار أن الوطن قبل كل شيء"<sup>(2)</sup> وعلى الدين والقاعدة الشعبىة الواسعة، فالوطنىة بدون دين أو عقيدة دينىة تنظم حياة الجماهير الشعبىة، هي وطنىة عاجزة، فقدت أبعادها الحضارىة والبشرىة، والدين الذي لا يخدم هذه القاعدة الشعبىة نفسها بالتربىة العلمىة هو دين محكوم عليه بالانعزال لأنه لا يعيش في سلوكات الناس، بل في الكتب والآثار التاريخىة، ومن الدين والوطنىة وجماهير الشعب تتألف القومىة العربىة، وهي بدون الدين الإسلامى مبتورة من أبعادها الإنسانىة، لذلك فالدين هو الذي يعطيها عظمتها السياسىة<sup>(3)</sup>.

يرتكز مفهوم القومىة عند بن باديس بأن تكون على أساس المبادئ الإسلامىة والحضارة العربىة بعنصرى الدين والحداثه، ومن جهة أخرى فقد أبرز القومىة العربىة في الجزائر واعتبار اللغة والدين والتاريخ المشترك والتفاعل المنسجم بين أفراد المجتمع كلها عناصر أساسىة في وحدة الشعب الجزائرى وتكوين وطنىة وقومىة العربىة الإسلامىة<sup>(4)</sup>.

بناءً على هذا فإن ابن باديس كان ينظر إلى الجزائر كأمة لها مقوماتها ومميزاتها الخاصة التي تختلف بها عن باقي الأمم<sup>(5)</sup>، وعلى فرنسا خصوصاً، وفي هذا الإطار فقد ميّز هذه المقومات إلى قسمين الجنسىة السياسىة والجنسىة القومىة، وقال بخصوص ذلك: "الجنسىة القومىة- مجموع تلك المقومات والمميزات، وهي اللغة التي يعرب بها ويتأدب بأدبها، والعقيدة التي يبنى حياته على أساسها، والذكرىات التاريخىة التي يعيش عليها، والشعور المشترك بينه وبين من يشاركه -أما الجنسىة السياسىة-

<sup>1</sup> عبد الله شريط: مع الفكر السياسى الحديث...، مرجع سابق، ص 113.

<sup>2</sup> عبد الحميد ابن باديس: الآثار، ج2، مج 2، مصدر سابق، ص 365.

<sup>3</sup> عبد الله شريط: مع الفكر السياسى الحديث...، مرجع سابق، ص 114.

<sup>4</sup> عبد الكريم بوصفصاف: "ابن باديس بين الأصالة و المعاصرة"، مجلة سيرتا، ع 11، س 7، ماي 1998، ص 89.

<sup>5</sup> ينظر للمقال الذي نشره عبد الحميد بن باديس تحت عنوان "كلمة صريحة"، الشهاب، ج1، مج 12، أبريل 1936، ص ص 42-45.

فهي أن يكون لشعب ما لشعب آخر من حقوق مدنية واجتماعية وسياسية مثل ما كان عليه، ومثل ما على الآخر من واجبات اشتراكاً في القيام بها لظروف ومصالح ربطت بينهما<sup>(1)</sup>.

يبدو أن بن باديس كان ينظر إلى الجنسية السياسية كنوع من البطاقة الخارجية التي يلتزم بها تحت ظروف معينة، ومن شأنها أن تتعرض لتغيرات مع مرور الزمن، وعلى النقيض من ذلك تماماً فإن الجنسية القومية تعبر عن واقع عميق للشعب الجزائري المسلم، وتدل على هويته الحقيقية<sup>(2)</sup>، يتضح لنا من خلال هذا الطرح أن ابن باديس اتبع هذه الإستراتيجية الذكية لغاية مقصودة في اعتقادنا - سنتحدث عنها بشيء من التفصيل في العنصر الثالث من هذا المبحث -

## 2- النزعة الإنسانية<sup>(3)</sup> في خطاب الإصلاحية الجزائرية:

تميّز الخطاب الإصلاحي في الجزائر الذي أرسى قواعده عبد الحميد ابن باديس "باعتباره لعب دور كبير في نشأته"<sup>(4)</sup> بالنزعة الإنسانية، وتتضح هذه السمة في الخطاب الفكري الذي تميز به الإمام ابن باديس، الذي قيّم الأستاذ علي مرّاد جزءاً منه قائلاً: "إن فكر ابن باديس ليس فكراً جزائرياً نموذجاً لأنه لا يقتصر على البعد الوطني المحلي، وإنما فكر إسلامي عربي مؤسس على فكرة العروبة والإسلام، والمبني على التسامح والعلاقات الإنسانية الخيرة، وهذا ما يفسر موقف المصلحين الجزائريين وعلى رأسهم الإمام ابن باديس غير المعادي للكنيسة المسيحية واليهودية في الجزائر"<sup>(5)</sup>.

إن هذه السمة التسامحية مستمدة من روح الإسلام كدين عالمي للبشرية جمعاء وأفضل الأديان على الإطلاق، ذلك لأن "الإسلام دين البشرية الذي لا تسعد إلاّ به" لكنه ليس الدين الوحيد، كما أن الجزائر ليست الوطن الوحيد، فلكل الناس واجبات أخلاقية إزاء أوطانهم، والأديان كلها ستحقق الاحترام<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> عبد الحميد بن باديس: "الجنسية القومية و الجنسية السياسية"، الشهاب، ج 12، مج 12، فيفري 1937، ص ص 504-506.

<sup>2</sup> عبد الرزاق عطلاوي، المرجع السابق، ص 289.

<sup>3</sup> لتوسيع أكثر حول المفاهيم الضرورية الخاصة بمصطلحات (الإنسانية، الإنسانيّة، النزعة الإنسانية) ينظر: أمّيدة عميراي: من الملتقيات التاريخية الجزائرية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 2000، ص ص 188-197.

<sup>4</sup> سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، مصدر سابق، ص 40.

<sup>5</sup> أمّيدة عميراي: من الملتقيات التاريخية للجزائر، مرجع سابق، ص 198.

<sup>6</sup> علي بودريالة، المرجع السابق، ص 135

وفي هذا السياق جاء في أهداف النصوص التي كتبها بن باديس قائلاً: " فليس الإسلام وحده ديناً للبشرية ولا الجزائر وحدها وطن الإنسان"، وانطلاقاً من هنا يتضح لنا أن بن باديس يؤمن بحق الديانات الأخرى، ومن ناحية ثانية كان على قناعة تامة وراء كلامه باعتبار أنه يوجد بلدان أخرى غير الجزائر تكون أوطاناً لكل الناس<sup>(1)</sup>.

وفي موضع آخر يُقرُّ بأن الإسلام يحترم الإنسانية في جميع أجناسها، ويقرر التلاحم والمساواة والتعاطف بين الناس جميعاً، ويعتقد أن خدمة الوطن تأتي في الدرجة الأولى "وأنا أشعر بأن مقوماتي الشخصية مستمدة من الوطن، فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل بشيء تتصل به مباشرة"، ثم تأتي خدمة الوطن المغربي ثم العربي الإسلامي، ثم وطن الإنسانية العام<sup>(2)</sup>.

معنى الإسلام في نظر ابن باديس هو لا تعصب بين الأجناس والشعوب، وأكد على ضرورة التمسك بالمحيط الإقليمي وعدم الانسلاخ من بلاد المغرب العربي الذي يتشارك معه عديد المميزات والخصوصيات، ذلك لأن لغتهم واحدة وعقيدتهم واحدة وتاريخهم مشترك وعاداتهم وتقاليدهم كذلك، وعدم الانفصال عن الوطن العربي الإسلامي ومن ثم على وطن الإنسانية العام<sup>(3)</sup>.

إن هذا البعد الأخلاقي المتسامي في خطاب ابن باديس وروحه، إنما يريد به أن يجعل من قضية الجزائر قضية ضمير إنساني، وأن دفاعه عن وطنه وحبه له هو عمل مشروع وإنساني ولا تعارض أو أنانية بين هذا وذلك، لذلك كان موقفه معتدلاً وغير معادياً للكنيسة وبقية الأديان، كما لم يكن له موقف من الثقافة الفرنسية بل اللغة الفرنسية والغرب وبقية الأجناس، ما لم تسيّس وتقصد من أجل محور الشخصية الجزائرية<sup>(4)</sup>، وبخصوص هذا يوضح الأستاذ علي مرّاد علي أن الموقف الإصلاحى للشيخ عبد الحميد بن باديس إزاء المسيحية الموسوم بميسم الاعتدال، لكن تحفظه كان موجه بالأحرى للشخصيات الدينية المسيحية التي كانت تخلط السياسة بالدين، والتي كانت تعمل تحت عباءة المسيح لأجل تحقيق

<sup>1</sup> أحيدة عميراي: من الملتقيات التاريخية للجزائر، مرجع سابق، ص 200.

<sup>2</sup> عبد الحميد بن باديس: الآثار، ج1، مج 1، مصدر سابق، ص ص 105 106.

<sup>3</sup> أحيدة عميراي: من الملتقيات التاريخية للجزائر، مرجع سابق، ص 201.

<sup>4</sup> علي بودريالة، مرجع سابق، ص 135.



الأهداف الاستعمارية، هنا نبه الإمام وأعرب عن مخاوفه من صنيع المدرسة الفرنسية المسؤولة في نظره على تجريد جزء هام من الشبيبة الجزائرية ذات الأصل الإسلامي من الثقافة<sup>(1)</sup>.

يطرح هذا الموقف الهام لدى ابن باديس بوضوح مبدأ النزعة الإنسانية لديه، التي تستمد جوهرها من الإسلام، كما يوضح أحد ثوابت المذهب الباديسي، لذلك نجده في خطابه الإصلاحية يتغاضى عن بعض القضايا الجزئية، ولم يترك المشاكل الصغيرة تطغى عليه، وذلك من أجل قضايا أكبر وأشمل، وهي إحياء الإسلام والاعتراف بالقضية الجزائرية، وإسماع صوت الجزائر المسلمة في الخارج وأمام الضمير الإنساني<sup>(2)</sup>، وهذا ما يفهم من المقال الذي كتبه في جريدة الشهاب وجاء عنوانه في شكل سؤال "لمن نعيش؟" وقال فيه: " أعيش للإسلام و الجزائر"<sup>(3)</sup>... قد يقول قائل أن هذا ضيق في النظر وتعصب للنفس وقصور في العمل ورغبة في عدم الإفادة، ذلك أن الإسلام ليس وحده ديناً للبشرية، ولا الجزائر وحدها وطن الإنسان، ولأوطان الإنسانية كلها حق على كل واحد من أبناء الإنسانية، ولكل دين من أديانها حقه من الاحترام... فأقول: بأن خدمة البشرية-الإنسانية- في جميع شعوبها، والحدب عليها في جميع أوطانها، واحترامها في جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها وهذا ما نقصده ونرمي إليه... فبعد إعمال النظر في الإسلام، علمنا أنه دين الإنسانية الذي لا نجاة لها ولا سعادة إلاّ به، وأن خدمتها لا تكون إلاّ على أصوله، ذلك لأنه الدين الذي يقيم المساواة والأخوة بين جميع أعراق البشرية ويخدمها، لذلك فإذا عشت له فإنني أعيش للإنسانية لخيرها وسعادتها في جميع أجناسها وأوطانها و في جميع مظاهر عاطفتها وتفكيرها<sup>(4)</sup>."

<sup>1</sup> علي مزاد، المرجع السابق، ص ص 455 456.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص ص 457.

<sup>3</sup> لقد كان ابن باديس ينزع بالنزعة إنسانية، فاعتبر أن خدمة وطنه وخدمة أمته سبيلا لخدمة الإنسانية قاطبة، لأنه لا يمكن في نظره أن نخدم الإنسانية ما لم نخدم أوطاننا وشعوبنا، ينظر: عمار طالبي: "النزعة الإنسانية و الجمالية عند ابن باديس"، مجلة الأضالة، ع7، ص 2، أفريل 1972، ص 50.

<sup>4</sup> عبد الحميد ابن باديس: "لمن أعيش"، الشهاب، ج10، مج12، جانفي 1937، ص ص 424-428.

يعتقد بن باديس أن تلك هي تعاليم الإسلام<sup>(1)</sup> وأهدافه الإنسانية السامية، لذلك فإن خدمة الإنسانية - البشرية - بتنوعها العرقي والجغرافي والثقافي والفكري، هو ما كان يقصد به ويصبو إليه<sup>2</sup>.

### 3- البعد السياسي في خطاب الحركة الإصلاحية الجزائرية.

اختلف الكثير من المؤرخين والباحثين في الحركة الإصلاحية الجزائرية، وتضاربت الرؤى حول القاعدة الأساسية والأطر العامة لغاية العلماء ورجال الإصلاح في تعاملهم مع القضية الوطنية من جهة وتعاملهم مع السياسة الاستعمارية من جهة أخرى، خاصة وأن التصريحات العلنية بل وحتى النصوص الصادرة في البدايات الأولى عن أعضاء الحركة الإصلاحية لم تكن تبين أنهم يتعاطون السياسة، أو من أجلها قامت حركتهم، فجاء في القانون الأساسي للجمعية أنها "جمعية إرشادية تهذيبية، ولا يصوغ لها بأي حال من الأحوال أن تخوض في مسائل السياسية، وهي التي لا علاقة لها مع الشعب إلا في ميدان الإصلاح الديني والتهذيب الاجتماعي ورفع الأمية عن القوم"<sup>(3)</sup>.

لكن تطور الأحداث وتشعبها جعل من الجمعية تعبيراً في لهجتها الخطابية، ومن موقفها إزاء بعض القضايا الوطنية التي لا يمكن أن تمر من دون أن يكون لرجال الإصلاح منها موقف، ويذكر الأستاذ علي مراد بعض الأسباب التي ساعدت الجمعية إلى التحول السياسي قائلاً: "تفاقم الأزمة الاقتصادية والاضطراب الاجتماعي، التوتر الجم بين المنتخبين المسلمين الجزائريين والحكومة العامة، بالإضافة إلى النقاش السائد حول منح الحقوق السياسية للمسلمين"<sup>(4)</sup>.

في ذات السياق، فقد كان للمؤرخ الفرنسي شارل روبري أجيرون رأي آخر بخصوص ولوج العلماء إلى المجال السياسي، ذلك لارتباط الفعل السياسي ارتباطاً وثيقاً بالفعل الديني، لأنه لا يمكن فصل تطهير العقيدة والنهوض بالثقافة العربية في نظر العلماء عن توجه سياسي أساسي يصبوا نحو العروبة والوطنية الجزائرية، وإن ما يمكن ملاحظته تطور النزعة الإصلاحية من الدفاع عن العروبة الذي يعد موقفاً عاطفياً ودينياً على الخصوص، إلى القومية العربية السياسية وتأكيد هذا التوجه السياسي ابتداءً

<sup>1</sup> إستمد بن باديس هذه النزعة الإنسانية من التصور القرآني للحقيقة لإنسانية، تلك الحقيقة التي احترمت الكائن البشري وأولته الدرجة الأولى من الكرامة، وأوضحت للناس أن جميع البشر من طينة واحدة، ينظر: عمار طالبي: مرجع سابق، ص 50.

<sup>2</sup> علي بودريالة، المرجع السابق، ص 136.

<sup>3</sup> عبد الرحمان شيبان: من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2008، ص ص 21-27.

<sup>4</sup> علي مراد، المرجع السابق، ص

من إحياء الذكرى المئوية للاحتلال، وازداد تأكيداً بعد انعقاد مؤتمر القدس في ديسمبر 1931م<sup>(1)</sup> وهذا ما يفهم من كلام بن باديس: "وكلامنا اليوم عن العلم والابتعاد عن مسالك السياسة، مع أنه لا بد من الجمع بين السياسة والعلم، ولا ينهض العلم والدين كل النهوض إلا إذا نهضت السياسة مجد<sup>(2)</sup>".

الرأي نفسه استقر عليه البشير الإبراهيمي بخصوص ذلك، ويتضح جلياً هذا من كلامه الذي قال فيه: "إذا كان الإسلام ديناً وسياسة، فجمعية العلماء المسلمين دينية وسياسية، قضية مقنعة لا تحتاج إلى سؤال وجواب، وجمعية العلماء ترى أن العالم الديني إذا لم يكن عالماً بالسياسة ولا عاملاً لها فليس فبعالم، وإذا تخلى العالم الديني عن السياسة فمن يعرفها ويديرها<sup>(3)</sup>".

ومهما يكن من أمر فإن التجربة الإصلاحية لم تتوقف عند حد معين، ولم تقتصر على مجال خاص، بل امتدت إلى قطاع واسع في المجتمع والسياسة، كما أنها في حراك دائم لا يتوقف لأن الأصل فيها حركة تتغذى من الصراع والحوار والتواصل مع المفاهيم والمعاني الجديدة، والتطلع المستمر إلى تحقيق المشاريع والبرامج والأفكار التي تقتضيها الأمة<sup>(4)</sup>.

من بين القضايا ذات الطابع السياسي التي تجلت في خطابات الإصلاحية الجزائرية "الوطنية" وتتمثل في شعار حب الوطن والمحافظة على صفاته الشخصية القومية المتميزة، وهذا كرد فعل على دعاة الإدماج وقطع الطريق أمامهم، وحتى لا يؤلب على نفسه السلطات الفرنسية على أنه من دعاة الانفصال عن فرنسا، لجأ ابن باديس في خطابه إلى التمييز الذكي بين مفهومي الجنسية القومية والجنسية السياسية<sup>(5)</sup>.

والحقيقة - في نظرنا - أن إتباع بن باديس لهذه الإستراتيجية التي كان يهدف من خلالها لهدفين أحدهما آني والآخر مستقبلي، فأما الآني فأراد أن يحارب السياسة الفرنسية الرامية لمسح الشخصية العربية الإسلامية للجزائر والحفاظ عليها، أما الهدف المستقبلي فغاياته واضحة بتحقيق الانفصال عن

<sup>1</sup> شارل روبيير أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ج2، تر: إبراهيم صحراوي وآخرون، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص 527.

<sup>2</sup> عبد الحميد بن باديس: "الحركة العلمية و السياسة بالقطر الجزائري الشقيق"، الشهاب، ج 5، مج 13، 10 جويلية 1937، ص 233. ينظر كذلك: عبد الحميد بن باديس: الآثار، ج2، مج 2، مصدر السابق، ص 333.

<sup>3</sup> محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ص 170.

<sup>4</sup> نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة...، مرجع سابق، ص 316.

<sup>5</sup> علي بودريالة، المرجع السابق: ص 137.

فرنسا<sup>(1)</sup>، وبطرحه يكون قد عبر بصورة دقيقة عن الوضع الذي كانت تعيشه الجزائر في ضل الاحتلال الفرنسي خاصة أنه ميّز بين الجنسيتين<sup>(2)</sup>، أما العلاقة بينهما في كيان دولة واحدة فلم يكن عنده ضرورياً، إذ يمكن لأمتين أن تختلفا في الجنسية القومية وتشتركا ولو جزئياً أو كلياً في الجنسية السياسية أن تتحدا، وهو الأمر القائم ضمناً بين الجزائر وفرنسا في ضل ظروف السيطرة القائمة، قد يدوم الإتحاد إذا تناصفتا وتخالصتا في ما ارتبطتا به، وإذا لم ترتبطا فأحد الأمرين: اندماج أضعفهما في أقوامهما بتخليه عن مقوماته فيذوب ويزول عن الوجود، وإما أن يبقى محافظاً عليها فيؤول أمره ولا بد إلى الانفصال، وهو الأمر الذي تنبأ به ابن باديس في مواقع أخرى من خطابه حول الجزائر، فالقومية الجزائرية التي يحرص عليها الخطاب الباديسي لها خصائص ثقافية و اجتماعية دينية يمكن ردها للإسلام والعروبة، وبالتعريف فإن ما هو مرتبط بالهوية ثابت (الشخصية الوطنية أو القومية) عميق و غير قابل للهدم، بخلاف الجنسية السياسية فهي مؤقتة تنتهي بانتهاء الظروف التي أوجدتها<sup>(3)</sup>.

إن ما يوضح هذا المطلب السياسي، البيان الذي جاء بعنوان "كلمة صريحة" سنة 1936م ردّاً على المقال الشهير لفرحات عباس "فرنسا هي أنا" فقال ابن باديس: "إن هؤلاء المتكلمين بإسم "المسلمين الجزائريين" والذين يصورون الرأي العام الإسلامي الجزائري بهذه الصورة، إنما هم مخطئون يصورون الأمور بغير صورتها... فهم في واد و الأمة في واد... فنقول لكم ولكل من يريد أن يسمعنا، ولكل من يجب عليه أن يسمعنا إن أراد أن يعرف الحقائق ولا يختفي وراء الخيال، فنقول لكم إنكم من هذه الناحية لا تمثلوننا ولا تتكلمون باسمنا، ولا تعبرون عن شعورنا وأحاسيسنا، إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الأمة<sup>4</sup> الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت

<sup>1</sup> يذكر أبو القاسم سعد الله أنه هناك عدة مواقف عبّرت من خلالها الجمعية خلال فترة الثلاثينيات على رؤيتها السياسية على لسان رئيسها ابن باديس، الذي قال بأن الاستقلال حق طبيعي لكل الشعوب الأرض. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، عالم المعرفة، دار الرائد، الجزائر، 2009، ص ص 87 88، ومن جهة أخرى نقل شارل روبيير أجبرون "إحدى التصريحات التي أدلى بها ابن باديس شهر ماي 1937 يقول فيها: "إن الاستقلال لا يطلب بل ولا يعطى ولا يمكن نيله بالأقوال بل بالأفعال" وهذا ما يؤكد المشروع المستقبلي الذي كانت تعمل لأجله الجمعية، ينظر: شارل روبيير أجبرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ج2، مرجع سابق، ص 531.

<sup>2</sup> أنظر مقال ابن باديس: "الجنسية القومية والجنسية السياسية"، الشهاب، ج 12، مج 12، فيفري 1937، ص ص 504-506.

<sup>3</sup> علي بودريالة، مرجع سابق، ص 138.

<sup>4</sup> آمن عبد الحميد ابن باديس بوجود أمة جزائرية فكرس جهوده لإعادة بناءها و منذ العدد الافتتاحي لجريدة المنقد التي تأسست سنة 1925 الذي كان شعارها "الحق فوق كل أحد و الوطن قبل كل شيء"، كان يستعمل تارة كلمة الأمة و تارة أخرى الوطن "ليعبر عن المنطقة الواقعة غرب تونس وشرق المغرب و بين البحر الأبيض المتوسط شمالاً و الصحراء الكبرى جنوباً". ينظر: Andree Dirlik: op-cit, p p 276-277.

ووجدت كل أمم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها... إن الأمة الجزائرية المسلمة ليست فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة كل البعد عن فرنسا في لغتها وأخلاقها وفي دينها، لا تريد أن تندمج<sup>(1)</sup>."

إن ما يمكن أن نقف عليه من خلال هذا النص، أن الجمعية ورجالها وعلى رأسهم عبد الحميد ابن باديس، كانوا من أشد المعارضين لفكرتي "التجنيس والإدماج"، بل ويروا في ذلك أنهما من العقبات التي حالت دون وصول أهدافهم إلى مبتغاهما وخاصة في المحافظة على الشخصية الجزائرية المسلمة، ونظرًا لخطورتها على المجتمع الجزائري فقد أعطاها ابن باديس بعدًا دينيًا عقديًا تصل في من يقبل التحلي عن شخصيته القومية من أجل الحقوق السياسية عدّ مرتدًا<sup>(2)</sup>، يقول في هذا الشأن: "التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة، ومن رفض حكمًا واحدًا من أحكام الإسلام عدّ مرتدًا على الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع<sup>(3)</sup>".

وفي السياق ذاته، ومن جهة أخرى فقد كان يرى الإصلاحيون أن الحضارة الأوروبية لا تقوم بمسح الشخصية فحسب، بل إنما تحمل في طياتها بذور الفساد الأخلاقي، لذلك توجب عليهم توجيه الكفاح ضد دعاة الحضارة والقيم الغربية، الذين كانوا تقريبًا جلهم يطالبون بالاندماج والتجنيس<sup>(4)</sup> - ما عدا الاتجاه الليبرالي المعتدل الذي رفض التحلي عن أحواله الشخصية -.

لقد جعلنا هذين العاملين من خطاب الحركة الإصلاحية الجزائرية تتبنى الفصل إن شئنا بين الدين الإسلامي في الجزائر والدولة الفرنسية<sup>(5)</sup>، ونظرًا للمضايقات التي كان يتلقاها رجال الإصلاح من الإدارة الفرنسية التي وصلت إلى درجة منعهم من دخول المساجد الرسمية، وهنا أصبحت الدعوة إلى الفصل بين المساجد وتعليم الديني عن الدولة مطلبًا رسميًا وعلنيًا خاصة في لوائح المؤتمر الإسلامي

1 عبد الحميد ابن باديس: آثار ابن باديس: ج3، تص: عمار الطالبي: الشركة الجزائرية، ط3، الجزائر، 1997، ص ص 308-309.

2 علي بودريالة، المرجع السابق، ص 137.

3 عبد الحميد ابن باديس: "فتوى جمعية العلماء في التجنيس الكلي والجزئي"، البصائر، جانفي 1937، ص 02.

4 علي مزاد، المرجع السابق، ص ص 357 358.

5 قضية فصل الدين عن الدولة" ينظر بالتفصيل: محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ص ص 71-86. ينظر كذلك: "جمعية العلماء ومسألة فصل الدين عن الدولة" ينظر: نور الدين ثنيو: إشكالية الدولة... الفصل الحادي عشر، ص ص 357-385.

1936م " فصل الشؤون الدينية عن الدولة"<sup>(1)</sup>، وكانت قد شاركت فيه الجمعية تحت ضغط هذه الظروف وأملاً في الانفراج السياسي، والذي يعتبره الكثير بمشاركتها فيه منعرجاً في توجه الجمعية وخطابها الإصلاحية، وميلاً نحو التوجه السياسي.

وبخصوص التوجه السياسي للجمعية تذكر الباحثة الفرنسية كوري شارلوت Correye Charlotte أنه ابتداءً من سنة 1936م التي مثلت سنة المؤتمر الإسلامي، نلاحظ في جرائد الجمعية نزعة سياسية متصاعدة، في حين أن المواثيق الخاصة بالجمعيات الإسلامية في تلك الفترة تنص جميعها على أنها غير سياسية، لكن يبدو أن هذه الإحترازاات وجدت وفرضت من أجل عدم إثارة انتباه السلطات الفرنسية حتى لا تتعرض للتأليب والمتابعة والحصول على ترخيصها، لكن الواقع شيئاً آخر، إن نشاط الجمعية فيما يتعلق بتعليم اللغة العربية ومبادئ الإسلام في مدارسها الخاصة، قادها لأن تتموضع في الإطار السياسي، ثم إن الدفاع عن الهوية الجزائرية إلى جانب النضال في الأطر الرسمية بإرسال العرائض والبعثات أو التواصل مع الجماهير لا يُعد إلا عملاً سياسياً<sup>(2)</sup>.

ومهما يكن من أمر، ولأجل توفير الشروط التي تساعد بن باديس على إنجاز مشروعه الإصلاحية بيسر وفعالية<sup>(3)</sup>، ومن أجل تحقيق هذه الغاية، لا ضير في الاشتغال بالسياسة كما حدث في تجربة المؤتمر الإسلامي، فالسياسة وسيلة لإثبات الوجود والمشاركة في صوغ المطالب والتعبير عن المواقف، وعدم التهرب من التعاطي معها بحجة أن جمعية العلماء المسلمين ذات طابع ديني تربوي، غير أن الملاحظ كما يقول الأستاذ ناصر الدين سعيدوني أن خلفاء ابن باديس في إدارة الجمعية لم يستوعبوا هذا المنهج ومتطلباته، فتحاشوا الخوض في العمل السياسي، مفضلين الاكتفاء بالعمل الإصلاحي والنشاط التربوي<sup>(4)</sup>، لكن - حسب اعتقادنا - أن الظروف التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك حتمت على

<sup>1</sup> أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين و أثرها الإصلاحي في الجزائر، م.و.ك، الجزائر، 1985، ص 247.

<sup>2</sup> Correye Charlotte: l'association des Oulémas musulmans Algériens et la construction de l'état algérien indépendant: fondation héritages, appropriât et antagonismes (1931-1991), Thèse de doctorat en littératures et civilisation, école doctorale langues, littératures et sociétés du monde, institut national des langues et civilisation orientales, université sorbonne, Paris, 2016, p99.

<sup>3</sup> تمثلت المطالب الأساسية التي كان قد رفعها ابن باديس ويسعى إليها من خلال مشاركته في المؤتمر الإسلامي في: إلغاء القوانين القمعية والاستثنائية، وفصل الشؤون الدينية على الدولة وإعادة الأوقاف إلى جماعة المسلمين، حرية تعليم العربية، والتمكين لحرية التعبير... ينظر: محمد خير الدين: مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985، ص 334 335.

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني: المسألة الثقافية في الجزائر...، مرجع سابق، ص 112.



العلماء التفكير بواقعية خاصة عندما يتعلق الأمر بالمسائل السياسية وذلك لأجل الحفاظ على المكاسب التي حققتها جمعية العلماء المسلمين.

إن المتتبع لمسار الجمعية خلال الفترة التي تولى فيها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئاستها حتما سيلاحظ بأن الجمعية لم يكن نشاطها السياسي كما كان سابقاً، فاكثفت ورئيسها بإبداء آرائهم في محطات نادرة، ويعتقد أن الظروف التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك (الحرب العالمية الثانية ثم مجازر 8 ماي 1945م) وتبعاتها كانت قد حتمت عليهم عدم الخوض في المسائل السياسية.

ومن المحطات التي ساهمت فيها الجمعية وعلى رأسها البشير الإبراهيمي في المجال السياسي حينما زارت لجنة الإصلاحات الثانية الجزائر في 12 ديسمبر 1943م، بهدف دراسة الإصلاحات الواجب القيام بها، بطلب من الجنرال شارل ديغول Charles de Gaulle، كان أخذ رأي الإبراهيمي مهماً، فرد على ذلك بتقرير في 03 جانفي 1944م<sup>(1)</sup> بين فيه طريقة الإصلاحات<sup>(2)</sup>، الذي ارتكز تقريره على ثلاثة أولويات لهذه الإصلاحات، فطالب في مجال القضاء الإسلامي بضرورة إصلاحه عن طريق تكوين القضاة و توسيع برامج التعليم القضائي الإسلامي، كما رأى بضرورة تأسيس مجلس قضائي إسلامي يتولى تعيين القضاة، أما في مجال التعليم فطالب بضرورة فتح المدارس العربية والسماح لأبناء الجزائر بالتعلم فيها، و أخيراً بخصوص الجنسية، فكان موقفه واضحاً برفضه لكل أشكال التجنيس باعتباره يؤدي للإدماج الأمر الذي يسهل عليه مسح ومحو مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية<sup>(3)</sup>.

لقد جاء رأي محمد البشير الإبراهيمي ملخصاً في رده على هذه الإصلاحات، ورفضاً لها، كون أن المقترحات المعروضة والتي تقضي على الشخصية العربية، وتعديل من الأحوال الشخصية الإسلامية ومما قاله بأنه لا يريد أن يتجرد من أحواله الشخصية، كذلك الجزائريون لا يرغبون تصنيفهم إلى فئات عديدة وأنهم يفضلون أن يضلوا عرباً مسلمين، كذلك أنهم لا يلتمسون الشرف في رفقاتهم إلى مرتبة المواطنة الفرنسية لأنهم يعتبرون أن صفتهم الإسلامية رفعتهم كثيراً<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> Claude Collot et Jean Henry : op-cit, p p 177-183

للاطلاع أكثر عن تقرير الإبراهيمي ينظر  
<sup>2</sup> عبد الرزاق عطلاوي، المرجع السابق: ص 297.

<sup>3</sup> Charlotte Courreye: op-cit, p p 115-116

<sup>4</sup> أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ...، مرجع سابق، ص ص 253 254.

وبسبب فشل الإصلاحات المقترحة على الحكومة الفرنسية حدث تقارب كبير بين زعماء الحركة الوطنية الجزائرية، إذ عقد الإبراهيمي مجموعة من الاتصالات بينه وبين مصالي الحاج وفرحات عباس أسفرت عن ميلاد جبهة موحدة في 15 سبتمبر 1944م وأصدروا جريدة المساواة لسان حال هذه الجبهة، للتعبير عن وجهة نظرها من أجل حشد الجماهير الشعبية للالتفاف حول الحركة الجديدة<sup>(1)</sup>، فكانت أول ردة فعل للجزائريين هي مقاطعة الانتخابات الفرنسية عن طريق تسجيل أسمائهم في قوائم الانتخابية وعدم التصويت<sup>(2)</sup>.

بالإضافة إلى هذا فقد كان لمجازر 8 ماي 1945م آثار سلبية على نشاط العلماء المسلمين الجزائريين<sup>(3)</sup>، إلاّ أنّها كانت بداية جديدة للعمل السياسي الذي ظهر من خلال رأيهم في دستور الجزائر 1947م، وفي الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها عند فشلها في الانتخابات والتمثيل البرلماني<sup>(4)</sup>.

إن ما يمكن أن نقف عليه، وانطلاقاً مما قمنا باستعراضه فيما سبق، يمكن القول بأن النشاط السياسي للجمعية مورس بمرونة وفقاً للظروف وبطريقتهم الخاصة وفي حدود وسائلهم، لذلك فوضع الجزائر العام كبلد محتل، حتم عليهم أن يتبعوا إستراتيجية خاصة لتحقيق أهدافهم، فكان عليهم ولأجل تحقيق هدفهم القريب إرتكز مشروعهم على إصلاح الفرد لتغيير ذهنيته، ومن ثم تكوين جيل يقوم تحت سقف الإسلام النقي والعروبة والوطنية، الذي يحقق الهدف البعيد الذي كانت تصبوا إليه الجمعية وتعمل لأجله ألا وهو تحقيق الاستقلال.

<sup>1</sup> يذكر أحمد الخطيب أن الحركة قد حققت نجاحاً منقطع النظير على الصعيد الشعبي، و ذلك بسبب التزامها بالقضايا الوطنية، فقد جاء في المادة 4 من قانونها الأساسي: "تقريب فكرة الأمة الجزائرية و الترغيب في إنشاء جمهورية مستقلة بالجزائر ...". أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين، مرجع سابق، ص ص 255، 256.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، مرجع سابق، ص ص 222، 223.

<sup>3</sup> بعد مجازر 8 ماي 1945 تم اعتقال وسجن العديد من مسؤولي الجمعية أمثال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والشيخ العربي التبسي وغيرهم

من أعضاء الجمعية. ينظر: Charlotte Courreye : op-cit, p 122

<sup>4</sup> عبد الرزاق عطلاوي، مرجع سابق، ص 299.

المبحث الثالث: الهوية في خطاب الإصلاحية الجزائرية (جمعية العلماء المسلمين):

لقد ركزت إدارة الاحتلال الفرنسي في الجزائر إلى تفكيك عناصر الهوية واختراق القيم الدينية والثقافية للمجتمع الجزائري، فكانت من بين أكثر الأقطار التي حُصِّت بنصيب وافر من الإجهاز التغريبي على البيئة الاجتماعية والثقافية الجزائرية يقول الباحث أحمد مالكي بهذا الخصوص: "أما الجزائر فقد كانت هي الدولة التي تعرضت شخصيتها لأعمق الشروخ دينيا ولغويا وثقافيا"<sup>(1)</sup>.

لئن كان الاستعمار يصرّ في مضامين مشاريعه على تغريب المجتمع الجزائري واختراق قيمه الدينية والثقافية، وأوجد لذلك الكثير من النظريات، فان تشديد الدفاع عن عناصر الهوية من اللغة والانتماء والدين في صلب الدعوة التي نافحت من أجلها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين<sup>(2)</sup>.

لذلك فإن دفاع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن الهوية ما هو إلا نقيض الآخر الاستعماري الذي أراد فرض هوية جديدة في إطار صدمة الهوية التي ولّدها الاستعمار، ومجتمع جديد في إطار سياسة النزع الثقافي: "إن منطق الاستعمار يفترض مسبقا وجود شخصية الطرف الآخر، لكي يقضي عليها في الوقت نفسه، حيث يؤكدّها تأكيدا سلبيا بإذلالها وإنكارها كقيمة، بنظرته الحقود"<sup>(3)</sup>.

وفي هذا الإطار، ما يمكننا أن نقف عليه أن الهوية تم استخدامها من كلا الطرفين من منظور إستراتيجي، وتحولت إلى أداة صراع بينهما، فهي بالنسبة للجزائريين أداة للبقاء أما بالنسبة للغزاة الفرنسيين فقد اعتبروها عائقا لا بد من إزالته لابتلاع الأرض وتفرغ سكانها من الانتماء إليها وإلى عمقها المعنوي ( الدين واللغة وهما أهم دعائم الانتماء إلى مجموعة وطنية)<sup>(4)</sup>.

ومهما كانت سلبيات السياسة الاستعمارية في الجزائر، إلا أنّها كانت بمثابة الدافع للجزائريين ذلك أن "الاستعمار كان دافعا قويا في تحقيق الاستجابة، وردود الفعل الوطنية، خاصة في الدفاع عن الهوية"<sup>(5)</sup>، وفي هذا الإطار نجد أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت قد أدت ضمن التوجهات

<sup>1</sup> أحمد مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي لعلاقة "الأنا" ب"الأخر"....، مرجع سابق، ص 198.

<sup>2</sup> عبد الرزاق عطاوي، المرجع السابق، ص 234.

<sup>3</sup> أحمد مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مرجع سابق، ص 109.

<sup>4</sup> محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، منشورات ثالثة، الجزائر، 2003،

ص 119.

<sup>5</sup> أحمد مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مرجع سابق، ص 321.

الفكرية والتيارات السياسية، دورا حاسما في بلورة الهوية الجزائرية، وحددت مرجعيات ثقافة الشعب الجزائري الذي خلدتها مقولة "الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا"<sup>(1)</sup>.

لقد عمل عبد الحميد ابن باديس وبعده محمد البشير الإبراهيمي في إطار مبادئ الشعار الذي ذكرناه سابقا، حيث عمدا إلى تحديد مقومات الأمة الجزائرية وبعثها في نفوس الجزائريين، وكثيرا ما تحدثا عن العربية والعروبة وصلتها بالمجتمع الجزائري وبالإسلام.

حدّد المؤرخ "غابريال اسكور gabriel Esquer" مفهوم الأمة عند ابن باديس وحصر مكوناتها عنده قائلا: "تتكوّن الأمة عند ابن باديس من عدّة مكونات تمثلت في الدين واللغة والاعتزاز بالماضي والافتخار به"<sup>(2)</sup> لقد حدّدت هذه المقومات إذا العناصر الأساسية التي تشكل الهوية لدى ابن باديس وتجسدت في الشعار المذكور أعلاه، الذي بذل جهدا كبيرا في إطار الدفاع عنها والتمسك بوجودها ضد المخططات الفرنسية التي تهدف إلى القضاء على الدين الإسلامي وإحلال النصرانية بدله وتغيير اللسان العربي فرض اللغة الفرنسية ومن ثم محو وطن اسمه الجزائر، وبالتالي فإن هذه التركيبة الثلاثية مترابطة ببعضها البعض ومتكاملة إذ لا يمكن فصل عنصر عن الآخر، فالحديث عن مكون يقضي بالضرورة إلى الحديث عن المكونات الأخرى.

وفي هذا السياق فقد أشار الإمام ابن باديس لهذه المقومات قائلا: "تختلف الشعوب بمقوماتها ومميزاتها، كما تختلف الأفراد، ولا بقاء لشعب إلا بقاء مقوماته ومميزاته كالأفراد وهذه المقومات والمميزات هي اللغة التي يعرب بها ويتأدب بآدابها والعقيدة التي يبني حياته على أساسها والذكريات التاريخية التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلالها"<sup>(3)</sup>.

لقد تولى رجال جمعية العلماء المسلمين وعلى رأسهم ابن باديس الذي اضطلع بمهمة التعريف بالأمة الجزائرية وتصوير هويتها، وكانوا قد حصروا عناصرها في مقومين أساسيين تمثلتا في الدين الإسلامي في مواجهة المشروع التغريبي "فالاستعمار قبل كل شيء، اعتداء على الدين بل ومساس بعزة

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني: المسألة الثقافية في الجزائر...، مرجع سابق، ص 119.

<sup>2</sup> gabriel Esquer: histoire de l'algérie (1830-1960), presses universitaires de France, paris, 1960, p 64.

<sup>3</sup> عبد الحميد ابن باديس: الآثار...، ج3، مصدر سابق، ص 352.

الإسلام<sup>(1)</sup> "واللغة العربية في مواجهة اللغة الفرنسية، كما أنّ العلماء وفق ما يذكر الباحث محمد الكوحي كانوا قد تصورا الدولة الجزائرية الجديدة على أنها أمة إسلامية مكونة من أفراد يتجهون نحو العمل الجماعي، ومتحرّرون من الروابط القَبَلِيَّةِ والولاءات المبنية على النسب، وبذلك فقد صنع العلماء وطنية لا تنفصل عن الإسلام<sup>(2)</sup>.

انطلاقاً من هنا، مثلاً الإسلام واللغة العربية في تصور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجهان ملازمان للهوية الجزائرية، بحيث لا يمكن الفصل بينهما أو القضاء عليها إلا بزوال الشعب الجزائري وهذا ما عبر عنه ابن باديس بقوله: "إن الإسلام والعربية قضى الله بخلودهما ولو اجتمع الخصوم كلهم على محاربتهما<sup>(3)</sup>".

شكل الدين الإسلامي العنصر الأساسي في البنية الفكرية والاجتماعية والثقافية لبلاد المغرب عموماً والجزائر على وجه الخصوص منذ القرن الأول الهجري، حيث رأى فيه ساكنة المنطقة تلك المكانة التي رأوا أنفسهم يتبوأونها في صفوف العرب الفاتحين الأمر الذي دفعهم إلى تبني الإسلام في أوساط الأمازيغية<sup>(4)</sup>.

وعليه فقد اعتبر ابن باديس الإسلام العنصر الفعال الذي صهر أبناء الجزائر في بوتقة حضارية واحدة موحدة، ردّاً على مشاريع فرنسا وطروحاتها في محاولة منها للتفرقة العرقية يقول: "إن أبناء يَعْربُ وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرناً، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء وتؤلف بينهم.... حتى كونت منهم في أحقاب بعيدة عنصراً مسلماً جزائرياً أمه الجزائر وأبوه الإسلام<sup>(5)</sup>".

<sup>1</sup> هشام جعيط: الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، تر: المنجي الصيادي، دار الطليعة، ط3، بيروت، لبنان، 2008، ص 42.

<sup>2</sup> محمد الكوحي، المرجع سابق، ص 357.

<sup>3</sup> عبد الحميد ابن باديس: "كلمة: بالله والإسلام والعروبة في الجزائر"، البصائر، س2، أفريل 1939.

<sup>4</sup> أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، م و ك، الجزائر، 1987، ص 193.

<sup>5</sup> محمد المليي: ابن باديس وعروبة الجزائر، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 50.

هذا واعتبر البشير الإبراهيمي إن الدين الإسلامي بالنسبة للأمة الجزائرية بأنه "دين اجتماع وعمران و حياة وبناء"<sup>(1)</sup> إذ يشهد له التاريخ بأنه على مدى الأزمان بقى ديننا متميزا عن باقي الأديان يقول مرة أخرى: "...إلا دين الإسلام فهو لا يختص بجنس، وهو صالح لكل جنس وهو موافق لكل فطرة، وهو ملائم لكل نفس"<sup>(2)</sup>، ذلك لان الإسلام هو دين البشرية الذي لا تسعد إلا به<sup>(3)</sup>.

إن الإسلام هو الدين الذي يدين به الشعب الجزائري، يقول ابن باديس في هذا الخصوص: "وهو الدين الذي أرسل به جميع أنبيائه، وكمل هدايته وعمم الإصلاح البشري على لسان خاتم رسله، هو دين جامع لكل ما يحتاجه البشر أفرادا وجماعات لصالح حالهم وما لهم، فهو دين لتنوير العقول وتزكية النفوس وتصحيح العقائد وتقويم الأعمال، فيكتمل الإنسانية وينظم الأجماع ويشيد العمران ويقيم ميزان العدل وينشر الإحسان"<sup>(4)</sup>.

وهكذا فقد انبرى الشيخ عبد الحميد ابن باديس للدفاع عن الإسلام باعتباره الأساس المتين الذي يقوم عليه الكيان الجزائري، فقد كتب في جريدة البصائر مقالا تحت عنوان "ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان"<sup>(5)</sup> الذي من خلاله حاول إبراز قيمة الإسلام في إرساء دعائم الأمة الجزائرية، فعنده الإسلام كان قد أدى الدور الأساسي في التكوين التاريخي للشعب الجزائري، وفي حياته الاجتماعية والثقافية والسياسية.

وعلى هذا الأساس، فالإسلام في نظر ابن باديس، هو العنصر الذي تُبنى عليه كل المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية، فهو الذي يحمي هذه الشخصية من كل تهديد داخلي كان أو خارجي لذلك نجد ورفاقه كانوا قد بذلوا جهودا مضمينة في سبيل "تطهيره من البدع الخرافات والشوائب التي

<sup>1</sup> محمد البشير الإبراهيمي: أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ص 134.

<sup>2</sup> محمد البشير الإبراهيمي: الآثار...، ج1، مصدر سابق، ص 108.

<sup>3</sup> القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومبادئها الإصلاحية: المطبعة الجزائرية الإسلامية، ص 11.

<sup>4</sup> عبد الحميد ابن باديس: الآثار، ج3، مصدر سابق، ص 342.

<sup>5</sup> للإطلاع عن المقال كاملا ينظر: عبد الحميد ابن باديس: "ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان"، البصائر، ع3، جانفي 1936، ص 2.



ألصقت به من طرف الدجالين أذنان فرنسا<sup>(1)</sup>، فكان من الضروري محاربه هؤلاء الطريقين المتاجرين باسم الدين، والمنحرفين به عن مساره الصحيح الذين رَسَّخُوا مظاهر الجهل والتخلف في المجتمع الجزائري، وفي هذا الصدد كتب ابن باديس قائلاً: " نحن قوم مسلمون جزائريون... نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعوا إلى كل كمال إنساني... وفي المحافظة على هذه التقاليد: المحافظة على أهم مقومات قوميتنا وأعظم أسباب سعادتنا وهنائنا لأننا نعلم أن الدين قوة عظيمة لا يستهان بها<sup>(2)</sup>" وانطلاقاً من هنا نقف على الهدف الذي حرص ابن باديس وأعضاء الجمعية على تحقيقه من وراء الدعوة إلى العودة للإسلام النقي البعيد عن البدع والخرافات.

وفي السياق ذاته ، فقد برّر العلماء موقفهم المعادي لرجال الطرقية المنحرفة، كونهم يعيقون نهضة المسلمين ويقدمون يد العون إلى الإدارة الفرنسية في محاربتها العمل الإصلاحي، فحارب العلماء بدورهم الطرقية بسبب الفساد وبلاء الذي تفعله في الأمة من الداخل ومن الخارج، لذلك فقد كان من الضروري العمل على كشفها وهدمها.

إن العمل الذي بدأه العلماء حقق نتيجة وبخصوص ذلك قال العلامة عبد الحميد بن باديس في هذا الصدد: " وقد بلغنا غايتنا والحمد لله، وقد عزمنا على أن نترك أمرها للأمة وهي التي تتولى القضاء عليها ثم نمد يدنا لمن كان على بقية من نسبته إليها لنعمل معا في ميادين الحياة على شريطة واحدة: وهي أن لا يكونوا آلة مسخرة في يدي نواح تسخيرهم، فكل طريقي مستقل في نفسه عن التسخير فنحن نمد يدنا إليه للعمل في الصالح العام، وله عقليته لا يسمع منا فيها كلمة، وكل طريقي - أو غير طريقي - يكون أذنا سامعة، وآلة مسخرة، فلا هوادة بيننا وبينه حتى يتوب إلى الله<sup>(3)</sup>"، هذا وكان للشيخ البشير الإبراهيمي رأي هو الآخر، فاعتبر أن الطرقية نوعاً من أنواع الاستعمار الثقافي والجمود الفكري،

<sup>1</sup> كتب العربي التبسي في هذا الموضوع قائلاً: "... والمتآمران هما الخليفان على كيد الجزائر... الاستعمار والطرقية وعلى ما يتآمران يا ترى؟ أهما يتآمران على دين الله، وأهما يحكيان مؤامرة للقضاء على الإسلام الخصم الألد للاستعمار والطرقية في هذه الديار." ينظر، العربي التبسي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، تع: شرفي أحمد الرفاعي، دار البعث، ط1، قسنطينة، الجزائر، 1981، ص 210.

<sup>2</sup> عبد الحميد بن باديس: الآثار...، ج3، مصدر سابق، ص 277.

<sup>3</sup> عبد الحميد بن باديس: " فاتحة السنة الرابعة عشر"، الشهاب، ج1، مج14، مارس 1938، ص 6 و7.

قال في هذا الصدد بأن: "الطريقة في صميم حقيقتها احتكار لاستغلال المواهب والقوى، واستعمار بمعناه العصري الواسع، واستعباد بأفضع صورته ومظاهره"<sup>(1)</sup>.

لقد كانت الطريقة المنحرفة والاستعمار في نظر العلماء إداة عائقا أمام الحفاظ على المقومات الشخصية الوطنية الجزائرية، فكان لابد عليهم من محاربتها، ذلك لأن سياسة الاستعمار كانت ترمي في صلب مشروعها إلى محو الكيان الجزائري والهوية والوطنية والقومية، وهنا لجأ ابن باديس إلى تصنيف الإسلام<sup>(2)</sup> كحل تكتيكي، وهو نوع من حيل التعبير في ظل ظروف القائمة آنذاك، فلجأ لهذا الحل ردًا على ممارسات الاحتلال في حق الهوية الوطنية.

إن رؤية ابن باديس لدور الإسلام في الجزائر، هي عقيدة أساسها الإيمان الصحيح تدفع أهلها إلى التأمل في أوضاع الأمة والعمل على نهوضها بالعلم والتعليم والعمل، ولهذا كانت حركته المتمثلة في جمعية العلماء متميزة ومختلفة عن باقي حركات الإصلاح التي ظهرت بالعالم الإسلامي، فرغم المؤثرات العديدة سواء النهضة أو الإصلاحية من الشخصيات أو الصحافة المشرقية، إلا أنها كانت جزائرية محضة استعملت الإسلام، ووظفته سياسيا وثقافيا بشكل دفعي ضد مرامي الاستعمار الفرنسي مبرزة قوة الإسلام في مواجهة كل ما من شأنه تدمير الشخصية الجزائرية<sup>(3)</sup>.

إلى جانب الإسلام، فاللغة تُوجد نوعا من الوحدة في التفكير وفي الشعور، وترتبط الأفراد بسلسلة طويلة ومعقدة من الروابط الفكرية والعاطفة، ولذلك فهي تكوّن أقوى الروابط التي تربط الأفراد بالجماعات، وإذا أضاعت أمة من الأمم لغتها وصارت تتكلم بلغة أخرى تكون قد فقدت الحياة واندجحت في الأمة التي اقتبست عنها لغتها الجديدة، وإذا استولت أمة على أمة ما، فإن هذا الاستيلاء يفقد هذه الأمة استقلالها، ولكنه لا يمس كيانها ما دامت محافظة على لغتها الخاصة، ولكن إذا فقدت

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني: المسألة الثقافية في الجزائر...، مرجع سابق، ص ص 115 116.

<sup>2</sup> قام ابن باديس بتصنيف الإسلام إلى صنفين: "الإسلام الذاتي" و"الإسلام الوراثي" فهذا الأخير هو الإسلام التقليدي القائم على التقليد والجمود، المأخوذ عن الآباء دون نظر أو تفكير، وقد يتسع لوجود الخرافات والبدع، كما لا يمكنه أن يحقق النهضة، بخلاف الإسلام الذاتي المبني على النظر والفكر. للإطلاع أكثر ينظر: عبد الحميد ابن باديس: "الإسلام الذاتي والإسلام الوراثي"، مجلة شهاب، ج3، مع14، جوان 1938، ص ص 105-107.

<sup>3</sup> سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص 159.

هذه الأمة لغتها، وتبنت لغة الدولة المستولية عليها، واندمجت في كيانها فلا يبقى أصل لعودتها إلى الحرية والاستقلال، ولهذا فان اللغة هي روح الأمة وحياتها<sup>(1)</sup>.

ولهذا فقد اعتبر ابن باديس قضية العروبة عاملا هاما ومترابطا إلى جانب الإسلام في رسم معالم الهوية الجزائرية فيقر بأنه: " لا توجد هناك رابطة أخرى تربط بين ماضي الجزائر المجيد وحاضرها الأعز ومستقبلها السعيد إلا هذا الجبل المتين الذي هو اللغة العربية، لغة الدين، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة"<sup>(2)</sup>.

وعليه فقد ساهمت اللغة العربية بقسط وافر في بلورة الشخصية الجزائرية، باعتبارها الرابطة التي تربط بين ماضي الجزائر وحاضرها، كما اعتبرت أنها لغة الدين، والجنسية القومية، ولغة الوطن، كما كان لها دورا فعالا في وحدة التماسك الاجتماعي، يقول في هذا الصدد: "أنها وحدة الرابطة بيننا وبين ماضيها، وهي وحدها المقياس الذي نقيس به أرواح أسلافنا، وبها يقيس من يأتي بعدنا من أبنائنا وأحفادنا...أرواحهم بأرواحنا، هي وحدها اللسان الذي نعتر به... إن هذا اللسان العربي العزيز الذي خدم الدين وخدم العلم، وخدم الإنسانية، هو الذي نتحدث عن محاسنه منذ سنين فليحقق الله أمانينا"<sup>(3)</sup>.

وفي هذا السياق، فقد ذهب البشير الإبراهيمي إلى اعتبار أن اللغة العربية تشكل أحد الروابط المتينة التي تحدّد المفهوم الصحيح للوطنية الجزائرية، الذي يشكل جزءا مهما من الوطن العربي الإسلامي يقول: "هذه العروبة الأصيلة العريقة في هذا الوطن هي التي صيرته وطنا واحداً لم تفرقه إلا السياسة، سياسة الاستعمار في عصوره الوسطى وسياسة الاستعمار في عهده الأخير، وهذه العروبة هي ماسكة على كثرة المفردات، وهي ملائكة على وفرة العوامل الهادفة، وهي رباطه الذي لا ينفصم ببقية العروبة في الشرق وهي السبب كل مما يوقد من تلك الأجزاء وما يعطيها فينصرها في الملمات، ويتقاضاها النصر في المهلمات، فالعالم العربي بهذه العروبة المكيّنة كالجسد الواحد"<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> ساطع الحصري: آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان، 1985، ص ص 20 21.

<sup>2</sup> سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص 159.

<sup>3</sup> عبد المجيد بن عدة: الخطاب النهضوي في الجزائر، أطروحة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعته الجزائر، 2004/2005، ص 447.

<sup>4</sup> محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ج2، ص ص 478 479.

لذلك فقد كان علماء الجمعية يمجّدون الثقافة العربية كرباط أساسي بين الأمة الإسلامية للجزائر وجسد الأمة العربية الإسلامية الواسعة، إن اللغة العربية هي لغة الإسلام كما أنها تعبر عن الثقافة العربية في الماضي والحاضر، وهي الناقل للتبادلات الفكرية والوجدانية بين المغاربة وشعوب المشرق<sup>(1)</sup>، وعليه فلا غرابة أن نجد عمار أوزقان يقول: " ليس من فعل الصدف أن نجد اللغة العربية اليوم تغذي الإحساس بالانتماء المشترك للأمة الجزائرية، كما كانت تشير حركة التوحيد اللساني في ظل دولة الموحدين أو الفاطميين<sup>(2)</sup>".

وانطلاقا من هنا، ونظرا للمكانة التي كانت تتبوأها اللغة العربية كمقوم أساسي لهوية الأمة الجزائرية، سعى رجال الإصلاح الجزائريين جاهدين لإحيائها في نفوس أبناء الجزائر، ليكون لهم لسانا عربيا أصيلا معبرا عن حضارتهم وثقافتهم المتميزة عن ثقافة المستعمر الغربي، وفي هذا الشأن قال البشير الإبراهيمي: "اللغة من الحضارة جزء لا كالأجزاء، لسان من البدن عضو لا كالأعضاء"<sup>(3)</sup>.

إذاً شكلت اللغة العربية لدى زعماء الإصلاح عنصرا مقوما للأمة العربية الإسلامية، ويعود لأسباب عدة منها: أن العرب أعرق الأمم في التاريخ، ذلك لأن "العروبة جذم بشري من أرسخها عرقا"<sup>(4)</sup> كما وصف الإبراهيمي، كما أنهم من أكثرها محافظة على الفطرة الإنسانية، يشيع ذلك في أمثالهم وأخلاقهم وآدابهم، ولأن الله أكرمهم باختيار آخر أنبيائه وخاتم رسله منهم<sup>(5)</sup>، ومن هنا جاءت دعوته رجال الجمعية إلى اللغة العربية، كونها الأساس فوحدة اللسان تتفوق حتى على رابطة الدم: "ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان فمن يتكلم العربية فهو عربي"<sup>(6)</sup>.

وعلى هذا الأساس فقد حاول الإمام عبد الحميد ابن باديس أن يسير على النهج نفسه متأثرا ومستلهما تجربة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كونه رجل القومية الأول، فكتب في هذا الموضوع

<sup>1</sup> علي مزاد، المرجع السابق، ص ص 228 229.

<sup>2</sup> عمار أوزقان: الجهاد الأفضل، تر: ميشال سطوف وآخرون، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2005، ص 29.

<sup>3</sup> محمد البشير الإبراهيمي: الآثار...، ج1، مصدر سابق، ص 375.

<sup>4</sup> محمد البشير الإبراهيمي: الآثار...، ج3، مصدر سابق، ص 57.

<sup>5</sup> لطيفه عميرة: خطاب النهضة عند زعماء الإصلاح في الفكر الجزائري الحديث (1830-1954)، أطروحة دكتوراه تخصص دعوة

وأعلام، إشراف د محمد زمران، كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة باتنة1، 2018/2017، ص 118.

<sup>6</sup> محمد المليبي، المرجع السابق، ص 51.

مقالا تحت عنوان "محمد صلى الله عليه وسلم رجل القومية العربية"<sup>(1)</sup>، الذي أقرّ فيه بأن الناطقين بالعربية مهما تفرقت أوضاعهم وأحوالهم وأصول أعراقهم فإنهم ضمن الإطار الإسلامي، يشكلون أمة بآتم معنى الكلمة، وأن هذه الأمة ذات قومية متميّزة، وأن الإنتماء إلى هذه القومية شرف كبير، لأنها فيها انتساب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان يبني نظريته على الحديث الشريف الذي ذكرناه في الفقرة السابقة، وعليه فقد كان يؤمن أشد الإيمان بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد وهبنا الجنسية العربية مسبقا لكل من دخل الإسلام، فمؤ الأمة العربية محدّد بعدد من يتكلمون لغتها.

إذاً فرابطة اللغة كفيّلة بتوحيد أبناء الأمة الواحدة تحت لواء قومي عربي واحد لا يضعفه في ذلك اختلاف الأجناس وتمازج الدماء المختلفة، وفي هذا الصدد يذكر ابن باديس أن الأمة وليدة هذه الوحدة اللغوية في قوله: "تكاد لا تخلص أمة من الأمم لا تتكلم بلسان واحد، فليس الذي يكون أمة ويربط أجزاءها ويوحد شعورها ويوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة، وإنما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد... فالفرق عظيم بين الدم واللغة في توحيد الأمم"<sup>(2)</sup>، وهنا ابن باديس إلى جانب اعتبار الإسلام مقوم هام للأمة الجزائرية، فهو يوازي ذلك بلغة الإسلام والقران الكريم ويعتبرها مقوم على نفس الدرجة من الأهمية.

إلى جانب هذا، فالتاريخ يعتبر بمثابة شعور الأمة وذاكرتها، فكل الأمم تشعر بذاتيتها وتكون شخصيتها بواسطة تاريخها الخاص، ووحدة التاريخ تولد تقاربا في العواطف والنزاعات، وهي تؤدي إلى التماثل في ذكريات المفاخر السالفة وفي ذكريات المصائب الماضية وإلى التشابه في آماني النهوض وأمال المستقبل، ولهذا فالذكريات التاريخية تقرب النفوس وتكون بينها نوعا من القرابة المعنوية، والأمة المحكومة التي تنسى تاريخها تكون قد فقدت شعورها ووعيها، ولهذا السبب نجد الدول المستعمرة تعتمد إلى محاربة تاريخ الأمة المستعمرة، وتبذل ما تستطيع من أجل إقصاء ذلك التاريخ من الأذهان، وتسعى من جهة

<sup>1</sup> عبد الحميد ابن باديس: "محمد صلى الله عليه وسلم رجل القومية العربية"، الشهاب، ج3، مع12، جوان 1936، ص ص 103-107.

<sup>2</sup> عبد الحميد ابن باديس: الآثار، ج4، مصدر سابق، ص 20.

أخرى إلى تشويبه، وأما اليقظات القومية فتبدأ عادة بذكر التاريخ القومي، وبالاهتمام به اهتماما خاصا<sup>(1)</sup>.

لذلك فقد نظر رجال الجمعية وعلمائها إلى التاريخ الوطني والقومي للجزائر على أنه يشكل مقوما أساسيا من مقومات الهوية الوطنية، ينبغي الدفاع عنه والدود من أديباته، فأمة بلا تاريخ هي أمة بلا ذاكرة، وأمة بلا ذاكرة فهي لا محالة أمة غير واعية لواقعها، ومستقبلها عرضة للاضمحلال والتلاشي<sup>(2)</sup>. لقد شكل التاريخ بالنسبة لرجال جمعية العلماء المسلمين تراثا حيا يرجع إليه من أجل إحياء أجداد ماضي الجزائر الإسلامي، باعتباره وسيلة فعالة في مقاومة الاستعمار والمحافظة على الشخصية الإسلامية الجزائرية، فنظروا إلى التاريخ من منظور العقيدة واللغة، واستوعبوا حوادثه برؤية تراثية تكرر انتساب الجزائر إلى الفضاء الحضاري العربي الإسلامي، فحسب الأستاذ سعيدوني أنهم فسروا وقائع التاريخ بغرض دحض أطروحات الفرنسيين المعادية لعقيدة الجزائر ولغتها وعاداتها، فصاغوا التاريخ بطريقة جوهرانية، تسمح بإعادة بناء شخصية الشعب الجزائري كي يسترجع الفرد الجزائري اعتزازه بماضيه وتراثه ولا يقف أعزلا في وجه إدعاءات أعدائه، فجاء التاريخ الذي في تصور الجمعية صورة المعاكسة للأساطير المؤسسة للجزائر فرنسية<sup>(3)</sup>.

وفي هذا السياق يقول الأستاذ رابح لونيسي بأن أغلب الكتابات التاريخية الصادرة عن رجال جمعية العلماء المسلمين سيطرت عليها فكرة "معارضة النظريات الاستعمارية، وإبراز وجود الأمة الجزائرية ووصف مختلف المقاومات ضد الدخيل الأجنبي، وإظهار مدى تقدم الجزائريين في المجالات الثقافية والفنية والتقنية"<sup>(4)</sup>.

إن سعي علماء الجمعية في ترسيخ التاريخ الوطني، شكّل أكبر الأثر في تعزيز الهوية الوطنية بكل إبعادها الحضارية في نفوس الجزائريين، الذي لا شك بأنه يعدّ المفتاح الحقيقي لدوائر الانتماء الحضاري بالنسبة للجزائر، في فضائها العربي الإسلامي<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> ساطع الحصري: أراء وأحاديث...، مرجع سابق، ص ص 22 23

<sup>2</sup> عبد المجيد بن عدة، المرجع السابق، ص 449

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني: المسألة الثقافية في الجزائر...، مرجع سابق، ص 120.

<sup>4</sup> رابح لونيسي: التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة...، مرجع سابق، ص 358.

<sup>5</sup> عبد المجيد بن عدة، المرجع السابق، ص 456.



لقد أولى الاتجاه الإصلاحى اهتماما بالغا بالتاريخ، غير أنه ما يمكن ملاحظاته أن عبد الحميد ابن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي بالرغم من غزارة كتاباتهم في القضايا الأخرى، لم يكتبوا بشكل كبير وواسع في هذا المجال، فمن النادر جدا أن نجد ابن باديس قد كتب مقالات عن تاريخ الجزائر في الوقت الذي أولى فيه نوعا من الاهتمام بالتاريخ الإسلامى، شأنه شأن البشير الإبراهيمي الذي ابتعد كذلك عن الكتابة التاريخية باستثناء أرجوزة ألفها حول تاريخ الجزائر المعاصر منذ القدم وإلى فترة كتابته لها وتتكون من ثلاث آلاف وستمئة بيت، وأربع محاضرات قيّمة حول تاريخ الجزائر المعاصر، كان قد ألقاها في بداية الخمسينات من القرن الماضي بمعهد الدراسات العليا بالقاهرة<sup>(1)</sup> تحت عنوان "الاستعمار الفرنسى في الجزائر"<sup>(2)</sup>.

بالرغم من هذه المساهمات إلا أنها كانت قليلة، وربما يعود سبب عدم اشتغال ابن باديس والبشير الإبراهيمي بالكتابة التاريخية إلى ما يتطلبه ذلك من التوسع في المطالعة والبحث، مما يمكن أن يشغلها عن المهام الكبرى الملقاة على عاتقهما، ولهذا فضلا ترك هذه المهمة لكل من الشيخ مبارك الميلي الذي يعد أول مؤرخ وطنى جزائري حديث، وأحمد توفيق المدني صاحب المؤلفات العديدة حول تاريخ الجزائر في مختلف العهود، خاصة وأنه كانت له ميولات وخبيرة كبيرة في هذا المجال كما وصف الأستاذ رابح لونسى<sup>(3)</sup>.

لقد حاول كل من مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني إنتاج تاريخ مضاد، يستند إلى رؤية ورواية لتاريخ الجزائر تنقض الأطروحات التي روج لها الاحتلال الفرنسى من أن الحضارة الرومانية هي المدينة الوحيدة التي عرفتها بلاد المغرب، وأن العرب جاءوا كغزاة لينشروا الفوضى والخراب، فسعوا للبرهنة على إستمرارية الأمة الجزائرية عبر التاريخ، وإبراز مساهمتها في الإرث الحضارى العربى الإسلامى، ودور أبطالها البواسل من ماسينيسا ويوغرطا إلى الأمير عبد القادر والمقراني<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> رابح لونسى: التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة...، مرجع سابق، ص 360.

<sup>2</sup> للإطلاع عن مضمون هذه المحاضرات وللإستزادة أكثر ينظر: محمد بشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، ج5، دار الغرب الإسلامى، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ص ص 98-148.

<sup>3</sup> رابح لونسى: تفكيك الخطاب التاريخى حول الثورة الجزائرية، دار المعرفة، الجزائر، 2012، ص 35.

<sup>4</sup> عبد الطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 305.

ولأجل هذا فقد ألف مبارك الميلبي كتابا تحت عنوان "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"<sup>(1)</sup> الذي حاول من خلاله أن يدافع عن كيان الأمة الجزائرية، ويفند الطروحات التي جاءت بها المدرسة التاريخية الاستعمارية المؤسسة للتاريخ الروماني في المنطقة ضد الوجود العربي، وفي ذات الكتاب حاول أن يؤكد بأن الأمة الجزائرية ليست جزءا من الأمة الفرنسية، ولا متأثرة بالوجود الروماني كما دحض الأطروحة الفرنسية المبنية على أساس الفراغ الحضاري في المنطقة لتبرير الإحتلال، فالجزائر ليست أرضا بدون رعية بالإضافة إلى هذا حاول من خلال كتابه أن يرد على إتهامات الفرنسيين التي ركزت على فترة ما قبل التاريخ الحديث وعن حقيقة هذه الفترة من تاريخ الجزائر، كما تطرق للعصور الإسلامية التي اعتبرتها بعض الكتابات الفرنسية وعلى رأسهم "غوتيه" عصورا مظلمة.

لقد تجاوز مبارك الميلبي بهذا العمل، المؤلفات الفرنسية التي كانت تهدف لإخضاع تاريخ الجزائر وكتاباتة وفق ما يخدم أهدافهم الاستعمارية، فعدَّ هذا العمل كمدخل من مداخل تشويه الهوية ومن ثم تفكيكها، لذلك فقد حاول الميلبي ضرب الاستعمار بسلاحه-الكتابة التاريخية- الذي فند بمؤلفه هذا كل الطروحات التي جاءت بها المدرسة الاستعمارية، وفي المقابل أصرَّ على ضرورة الاعتزاز بماضي الجزائر<sup>(2)</sup>، وبالتالي فالكتابة التاريخية عند مبارك الميلبي لم تكن رغبة منه فقط، بل كان هدفه وطنيا بالدرجة الأولى أراد من خلاله الحفاظ على هوية الشعب الجزائر وتاريخه المجيد، وكذا إيقاظ الحس الوطني والقومي للشعب الجزائري.

بالإضافة إلى مبارك الميلبي، برز اسم آخر خلَّف العديد من المؤلفات حول تاريخ الجزائر على مرِّ عصوره خاصة وأنه يمتلك من الخبرة ما يؤهله للتأليف وتوظيف كتاباته لنضال الوطني، ساعده على ذلك تحكمه في اللغات، فقد كان يتقن اللغة العربية واللغة الفرنسية كما يمتلك ثقافة عالية ومتفتحة، هذه العوامل لعبت دورا في تميّز أحمد توفيق المدني الذي أثري بأعماله المكتبة الجزائرية<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> يتألف الكتاب من ثلاثة أجزاء، صدر سنة 1929، للإطلاع عن مضمون الكتاب ومحتوياته ينظر: مبارك الميلبي: تاريخ الجزائر في

القديم والحديث، ج 3.2.1، تق: محمد الميلبي، م و ك، الجزائر، (د ت).

<sup>2</sup> سلوى لهلاي، المرجع السابق، ص ص 167 168.

<sup>3</sup> رابح لونسى: تفكيك الخطاب التاريخي...، مرجع سابق، ص 38.

يملك أحمد توفيق المدني العديد من المؤلفات<sup>(1)</sup>، لعل أبرزها كتاب "قرطاجنة في أربعة عصور: من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي" الذي حاول من خلاله كشف زيف ومزاعم بعض الكتاب الغربيين والفرنسيين على وجه الخصوص الذين حاولوا تلفيق بعض الإدعاءات المشوهة لهوية وأصالة المنطقة المغاربية، وخاصة ما قام به "لوري بارتران" لإثبات لاتينية المنطقة<sup>(2)</sup>.

إضافة إلى هذا فقد ألف كتابا آخر لا يقل أهمية عن الكتاب الذي ذكرناه فيما سبق عنونه ب: "كتاب الجزائر" الصادر سنة 1931م، فحسب ما جاء في المقال الذي نشره الأستاذ حسان رمان تحت عنوان "المؤرخون المنبتون من الحركة الوطنية" يذكر بأن هذا الكتاب جاء ردا على الاحتفالات المئوية الفرنسية، فكان بمثابة معارضة صريحة للطرح الفرنسي المزيف للتاريخ، وعنوانا لتجذر الوطنية الجزائرية<sup>(3)</sup>.

إن المتصفح للكتاب سيقف حتما على عدة ملاحظات أبرزها: أن واجهة الكتاب تحمل شعار جمعية العلماء المسلمين "الإسلام ديننا والجزائر وطننا والعروبة لغتنا"<sup>(4)</sup>، أما مضمونه فقد عالج من خلاله الإشكالية التي كان يعانيها الشباب الجزائري- الفراغ الذهني التاريخي- خاصة ذوو الثقافة الفرنسية الذين تنكر بعضهم لتاريخ بلادهم تأثرا وانجذابا بتاريخ المحتل، يقول المدني في مستهل كتابه: "إنكم ترون كما رأيت، أن أبناء العربية في الجزائر يجهلون عن الوطن الجزائري كل شيء، يجهلون تاريخه، يجهلون طبيعته يجهلون نظمه وقوانينه، يجهلون عناصر سكانه، يجهلون حالته الأدبية وقوته الاقتصادية"<sup>(5)</sup>، وانطلاقا من هذا يتضح لنا سبب تأليف المدني لهذا الكتاب، الذي حاول بدوره خدمة تاريخ الوطن الجزائري، وإبراز حضارته ردا على الزيف الاستعماري الذي حاول تشويه تاريخ الجزائر.

<sup>1</sup> لدى أحمد توفيق المدني مؤلفات عديدة منها ما أصدر خلال فترة الإحتلال الفرنسي ومنها ما أصدر بعد الإستقلال، وما يهمننا في هذا الصدد الأعمال الذي أصدرها خلال فترة الإحتلال لأنها تدخل في صلب المواجهة المباشرة مع مغالطات الكتابات الفرنسية المؤدلجة والمؤسسة لأغراض استعمارية. نجد منها: قرطاجنة في أربعة عصور(1927)- كتاب الجزائر(1931)- محمد عثمان باشا داي الجزائر(1937)- جغرافية القطر الجزائري(1948).

<sup>2</sup> أحمد توفيق المدني: "مبارك المليبي، مؤرخ الجزائر"، البصائر، ع 26، 8 مارس 1948.

<sup>3</sup> Hassen ramane: "les historiens algériene issus du mouvement national", insaniyat, n 25-26, juillet - décembre 2004, p 230.

<sup>4</sup> هذا الشعار يظهر بوضوح في غلاف الكتاب الأصلي أنظر الملحق رقم(11)

<sup>5</sup> أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص 2.

تطرق المدني في هذا الكتاب أيضا إلى تبيان أسس ومقومات المجتمع الجزائري، وتحديد الإثنية منها وعالج أصولها وجغرافية تواجدها، وحاول تبيان اختلافها وتميزها عن المجتمع الأوروبي عموما، وبهكذا عمل حسب الأستاذ "رابح لوني" الذي ذكر بأنه هدَفَ إلى تأكيد وحدة الشعب الجزائري المتكامل فكان هذا العمل بمثابة رد صريح عن السياسة الفرنسية "فرق تسد" التي انتهجتها لتفريق وتفتيت وحدة الشعب الجزائري<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> رابح لوني: تفكيك الخطاب التاريخي...، مرجع سابق، ص 40.

## خاتمة الفصل.

بعد دراستنا لهذا الفصل توصلنا إلى النتائج التالية:

- لقد ظهرت الحركة الإصلاحية في الجزائر نتيجة العديد من العوامل فكان أبرزها تأثير النهضة الفكرية التي ظهرت في المشرق وتزعمها جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده على بعض المصلحين الجزائريين، ويضاف إلى هذا مطالعة البعض "مجلة المنار" لصاحبها محمد رشيد رضا، كما كانت لكتب المصلحين القيّمة أمثال الشيخ أحمد بن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية والشوكاني دورا في ذلك، هذا ومن ناحية أخرى فقد كانت للثورة التعليمية التي أحدثها عبد الحميد بن باديس بدروسه الحيّة ونهجه التربوي السليم ثم إرسال بعثات علمية لتستكمل تكوينها الذي بدأته الجزائر لتنتهي في الزيتونة، يضاف إلى هذا عودة الجزائريين المثقفين من الخارج وخاصة من الحجاز، وبذلك فقد تبلورت هذه المؤثرات في ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931م بعد خطوات وسنوات من الإعداد والفهم العميق لمعنى الإصلاح ووسائله، وبعد دراسة وتحليل لوضع المجتمع الجزائري والطرق الكفيلة لإصلاحه، انطلقت كوكبة من علماء الجزائر وعلى رأسهم عبد الحميد ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين في تطبيقهم لمشروع الإصلاح، الذين هدفوا من خلاله إصلاح ما أفسده الاستعمار وأذنبه بالمنطقة، معتمدين في ذلك على أساليب حديثة اختلفت بها عن بقية الحركات الإصلاحية التي ظهرت في العالم الإسلامي سواء في مفهومها أو في وسائل نضالها.

- إن الحديث عن المنطلقات الفكرية للحركة الإصلاحية يعود بالدرجة الأولى إلى الزيتونة على أساس أنها المدرسة التي تربي فيها جيل من علماء الإصلاح الجزائريين وعلى رأسهم عبد الحميد بن باديس إضافة إلى عديد عوامل أخرى تحدثنا عنهم في النتيجة السابقة.

- لقد ارتكز برنامج جمعية المسلمين الجزائريين على ثلاث زوايا: دينية واجتماعية وسياسية، رغم أن الزاوية الأخيرة لم تكن صريحة ومباشرة.

- إن ما يمكن أن نقف عليه هو تميّز الفكر الديني عند جمعية العلماء المسلمين، وكذلك الفكر السياسي بالتنظيم العملي والنزوع المستقبلي في آن واحد، فالعلماء الجزائريين لم يكتفوا بنشر

دعوتهم الإصلاحية بين طلابهم وفي معاهدهم الشعبية الحرّة وحسب، وإنما كان لهم برنامج عمل شامل في تكوين الإنسان المسلم وإخراجه من التخلف حتى يكون نواة للدولة المتحرّرة في المستقبل.

- لقد تميّز الخطاب الإصلاحي في الجزائر الذي أرسى قواعده عبد الحميد ابن باديس بالنزعة الإنسانية، وتتضح هذه السمة في الخطاب الفكري الذي عُرف به الإمام بن باديس، والذي صنف خطابه في خانة الفكر العربي الإسلامي المؤسس على فكرة العروبة والإسلام، والمبني على التسامح والعلاقات الإنسانية الخيرة، وهذا ما يفسر موقف المصلحين الجزائريين الغير المعادي لبقية الأديان.

- إن ما يمكن أن نقف عنده بأن بُعد الهوية في خطاب الإصلاحية الجزائرية جاء كاستجابة لمنطق الصراع بين الأنا والآخر، بحيث تعرضت هوية الأمة لحرب استدمارية استهدفت مقوماتها بالشكل الذي يمسحها ويبيدها عن ارتباطها بالماضي الذي شكّلها، ومن ثم يسهل توجيه المجتمع الجزائري والتحكم فيه وتوجيهه إلى الوجهة التي يريدتها الاحتلال، في محاولة من هذا الأخير إيجاد هوية جديدة لهذا المجتمع، وعليه فان علماء الجمعية قد وقفوا في وجه كل الممارسات التي تستهدف الاعتداء على الهوية الوطنية (الإدماج، التجنيس، محاربة اللغة والدين)، كما تصدوا كذلك لهؤلاء المتجنسين الذين انسلخوا عن أصلهم وخرج عن ملتهم - كما صنفهم ابن باديس- طمعا في تبوأ مناصب دنيوية، كما وجد الخطاب الإصلاحي في الدفاع عن الهوية الوطنية بُعداً سياسياً ودافعاً قويا لاستنهاض الهمم لمواجهة كل المخاطر التي تريد النيل من مقومات الأمة الجزائرية، لذلك فلم تكن المؤامرة الاستعمارية على الهوية الجزائرية سوى رغبة جامحة لتحطيم البنى الاجتماعية للجزائر ومن ثم تسهل السيطرة عليه حتى لا يجد هذا الاحتلال صعوبة في ربط الجزائر بفرنسا.



# خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## خاتمة:

جملة النتائج التي خلصنا إليها تمثلت في:

ما يُمكن أن نُخلص إليه أنّ الخطاب يختلف مفهومه من علم لآخر، فالخطاب في التاريخ يعني التفكير العقلي، الذي يكون وفق إطار منهجي أيديولوجي، ويتحدّد بملفوظات خطابية تنم عن اتجاهات فكرية، في أشكال خطابية كلامية، وفي ممارسة نظيرية، وكلها مشدودة إلى مرجعية ثقافية، ومطبقة بمنهجية علمية، وساعية إلى تحقيق أهداف مستقبلية، وعليه فمعنى الخطاب الذي يُعنى بالحركة الوطنية الجزائرية هو الممارسة والإبداع بأكثر من مضمون، والذي قد يكون فكرياً أو سياسياً أو إصلاحياً، وبذلك فهو يختلف عن مفهوم الخطاب في اللسانيات وفي اللغة والفلسفة وغيرها.

لقد تنوعت وسائل الخطاب عند زعماء تيارات الحركة الوطنية الجزائرية بحسب تنوع توجهاتهم وميولاتهم السياسية والثقافية ومرجعياتهم وحتى أماكن تواجدهم، ومن جملة تلك الوسائل نجد الصحف التي كان يصدرها هؤلاء الزعماء متخذين منها لسان حال أحزابهم، لأنها تكتسي أهمية بالغة بالنسبة لهم من جهة كما يمكننا أن نعتبرها من المصادر الهامة والأولية لدراسة مواضيع مثل هذه الدراسة التي إنجازناها من جهة أخرى.

بعد أن قُمنّا بدراسة معمّقة تتعلق بمفهوم الحركة الوطنية، وقفنا على اختلاف يخص مفهومها والتاريخ الفعلي لبداية نشاطها بين مؤرخي المدرسة التاريخية الاستعمارية ومؤرخي المدرسة التاريخية الوطنية فكان من الضروري علينا أن نفصل في هذه الجزئية، لذلك فقد رجحنا الطرح الذي قدّمته المدرسة التاريخية الوطنية، ليس تحيزاً أو ذاتيةً، لكن المعطيات التي تم تقديمها تؤكد وجهة نظرهم، انطلاقاً من المفهوم الذي يعبر عن الحركة الوطنية الجزائرية على أنّها جملة ردود الفعل الجزائرية، الجماعية منها والفردية، المنظمة والمعزولة، لأنها كانت تنطلق في مجموعها من قاسم مشترك يتمثل في رفض ومجابهة السياسة الاستعمارية في مستوياتٍ مختلفة، والقصد هنا الإشارة إلى رفض التحنيس والتهجين الثقافي، ورفض التجنيد الإجماعي والمطالبة باسترجاع الأوقاف والدفاع عن القضاء الإسلامي والمطالبة بفصل الدين عن الدولة الفرنسية، وغير ذلك من أشكال الاحتجاج والصمود.

سعت السياسة الفرنسية إلى تعطيل وتقييد البنيات الحضارية للجزائر، وانتهجت في سبيل ذلك أساليب ووسائل متنوعة ومختلفة تتلاءم وطبيعة خصوصيات المجتمع الجزائري، وضمن هذه المصوغات تؤكد الهدف من السيطرة على التعليم وتفكيك المؤسسات التعليمية وإحاقها وهجرت العلماء فكان تأثير هذه السياسة خطير جدا فكان من إفرازاتها ذبوع ظاهري الجهل والأمية، إضافة إلى هذه الممارسات، سنّها مجموعة من القوانين والمراسيم التي تخضع الجزائر أرضا وشعبا، وكنيجة لهذه التراكمات ظهر قادة سياسيين وإصلاحيين حملوا على عاتقهم مهمة الدفاع عن الجزائر والجزائريين الكل حسب توجهاته وأفكاره.

إن الشروط التي حكمت ميلاد الاتجاه الاستقلالي، وساهمت في تحديد منطلقاته الأيديولوجية وتوجهاته السياسية، التي حملت في جنباتها معالم التوجه الصحيح تجاه القضايا الوطنية، كما حدّدت الأدوات الفاعلة والأساليب الناجعة في مواجهة السياسة الفرنسية، ورغم الممارسات الفرنسية التي خلّفت عديد التحولات البنيوية التي مست الواقع الجزائري، استطاع التوجه الاستقلالي من أن يصنع الفارق على صعيد الإدراك الفكري السياسي في توجيه البنى الشعبية الجزائرية، منذ نجم شمال إفريقيا مرورا بحزب الشعب وصولا إلى حركة الانتصار والحريات الديمقراطية.

ساهمت العديد من العوامل في تكوين الفكر السياسي لدى رواد الاتجاه الاستقلالي، فاكشافهم دور التنظيم في تعبئة الطبقة العمالية من خلال الحزب الشيوعي الفرنسي والاتحادية العامة للعمال الموحدة من جهة، وتعلمهم أساليب الدعاية والتوعية السياسية من ناحية ثانية، والذاتية الحزبية في تقليدهم للعمل وللأسلوب والشعارات والمطالب من ناحية ثالثة، ناهيك عن محاولتهم كيفية التسلح بالسلح الفكري الأيديولوجي في تعبئة الجماهير من ناحية رابعة، زيادة عن احتكاكهم بالعالم الصناعي الرأسمالي الذي كان يتسم بصراع الطبقات الأيديولوجية، مما سمح لهم بالتمسك بثقافته السياسية الأصيلة والمتجددة في آن واحد، لذا استمد زعيم هذا الاتجاه جزءا كبيرا- وبكل تحفظ- من ثقافته السياسية من الفكر السياسي الغربي بتوظيف الأيديولوجية الثورية والتنظيم الحزبي في تعبئة المناضلين مع الحرص على الاحتفاظ بالقيم العربية الإسلامية والتأكيد على ركن الجهاد.

إذا قمنا بتقييم المطلب الاستقلالي لدى هذا الاتجاه، فقد كان رئيسه همّه الوحيد هو التأكيد على الاستقلال والحرية، فمنذ مطالب 1927م إلى غاية المؤتمر الثاني لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية

سنة أبريل 1953م، مرورا بقوانين الحزب سنة 1928م وبرنامج 1933م ثم برنامج حزب الشعب الجزائري سنة 1937م، لم يتوقف عن المطالبة بالاستقلال وعلى التأكيد على البعد الوطني، وذلك باستعمال العديد من الوسائل كالصحافة الحزبية والمناشير والدعاية في الأوساط الشعبية مستغلا ترأسه لجهازه الحزبي على أمل تحقيق القاعدة اللازمة واستجابة الجماهير للوصول للهدف الذي سطر من قبل.

لقد كانت من بين القضايا التي دافع عنها الاتجاه الاستقلالي مسألة الهوية الوطنية، ردا على هرطقات الخطاب الاستعماري الذي شكك في مكوناتها وعناصرها بل وسعى لنسف وجود الأمة الجزائرية أصلا، لذلك فقد فكان الدفاع عن الأمة الجزائرية ومقوماتها الشخصية الوطنية والتأكيد على أن العربية والإسلام عناصر أساسية في خصوصية المجتمع الجزائري وحضارته ضرورة حتمية، وبذلك فيُعد هذا بمثابة رد فعل طبيعي على سياسة المسخ والتشكيك التي عمدت إدارة الاحتلال الفرنسي إلى إتباعها منذ أن فرضت وجودها كواقع استعماري بالبلاد.

لقد شكّلت الإيديولوجيا في المنظومات الاستعمارية الفرنسية أحد الثوابت الأساسية في المشروع التغريبي الفرنسي، وذلك لما لها من أثر في توجيه الفئات الاجتماعية وفق ما يتماشى ومقتضيات السلطات القائمة آنذاك، فعمدت إلى كسر الكثير من الثوابت والمبادئ وذلك لإنتاج جيل يقوم على التشكيك من جهة والتفكيك من جهة أخرى، ومرتميا في أحضان الآخر دون اعتبار للأصول من ناحية

ثالثة.

لقد وجد الاحتلال الفرنسي في النخبة المفرنسة المتخرجة من المدارس الفرنسية أفضل من يتبنى أفكاره ويروج لها في الأوساط الشعبية، فهم كانوا يستمدون أفكارهم وتوجيهاتهم ومبادئهم من ما تلقوه في المدرسة الفرنسية بنوعها المدنية والعسكرية، هذا بالإضافة إلى مؤلفات المفكرين الفرنسيين سواء تلك التي تصدر بالجزائر أو في فرنسا، والحدثة والحضارة بالنسبة للكثير منهم تعني الثقافة الفرنسية في المقام الأول والأوروبية تأتي بعدها، فيما العروبة والإسلام هي الماضي، وهنا كان موطن الاختلاف فكانت هذه القضية سبباً في انشقاق هذا الاتجاه إلى عدة تيارات.

إن الدارس للنخب المفرنسة الجزائرية عبر مراحل تطورها، يلاحظ مدى عجزها عن بلورة رؤية وطنية واحدة إزاء الكثير من القضايا والمسائل الوطنية بأبعادها السياسية والثقافية وإذا كان الاختلاف غير مطروح بالنسبة لمرجعياتها الفكرية الغربية، إلا أن مواقفها من الإسلام وقيمه وحضارته هو الذي جعلها

تنقسم إلى عدة تيارات، وهذا راجع في الأساس لكونهم قادمون من آفاق فكرية شديدة التنوع، فمنهم من كانوا أتباع الإيجابية، ومنهم من كانوا لا يقرّون إلا بما يقبله العقل، ومنهم من كانت تحدوهم روحانية غامضة وحماس حائر، ومنهم من كانوا ملحدين ماسونيين، ومنهم من كانوا لا يكثرثون بالعقيدة الإسلامية بل كانت عقيدتهم اشتراكية، لكن وما يمكن التنويه به أنه وبالرغم من اختلاف منطلقاتهم الفكرية، فإنهم يشتركون في مرجعيتهم إلى الثقافة الفرنسية والفكر الليبرالي الذي به الثورة الفرنسية، ويعود ذلك إلى كون النخبة في الجزائر هي نتاج المدرسة الفرنسية من أساتذتها أخذت حرية الفكر، والعديد من القيم السياسية الفرنسية.

لقد تباينت المواقف داخل الاتجاه الليبرالي من قضية الهوية الوطنية الجزائرية، وعرفت نوعا من الغموض والهلالية، ويرجع هذا في الأساس إلى مؤثرات الثقافة الفرنسية ومشروعها التغريبي على عقول هؤلاء ومن ثمة الزيف والتشويه الذي صبغت به فرنسا ماضي الجزائر، وهو ما جعل بعض أفراد هذا الاتجاه ينساقون وراء هذه الخزعبلات ويقرون بعدم وجود أمة جزائرية، بل والأخطر من هذا تنكروا لأصلهم ودينهم وبلدهم.

إنّ ما حمله العلماء بعد عودتهم إلى أرض الوطن من مبادئ وأهداف كمنهج للإصلاح عملوا على المحافظة عليه والمكابدة من أجل ترسيخه ونشره؛ من خلال وسائلهم التي خضعت للظروف المحيطة بهم، وكلها وسائل ساهمت في تطوير الحياة الفكرية والسياسية بالجزائر، كما لم يكونوا بمعزل عما يحدث بالبلدان العربية في ظل الارتباط الوثيق، الذي كانت تغذيه رحلات العلماء وبعثات الطلبة الجزائريين نحو مختلف المواطن والحواضر، ومن ناحية أخرى خصوصية منهجهم الإصلاحي في المجال الثقافي والسياسي؛ الذي كان يتعلق أساسا بطبيعة سياسة الاحتلال، لذلك نجد بأن نشاط العلماء كان خاضعا للظروف والعوامل السياسية التي كانت تمر بها البلاد آنذاك، وعليه لم يعلنوا ارتباطهم بالسياسة لكنهم عملوا في سياقها.

إنّ ما يمكن أن نخلص إليه هو تميّز الفكر الديني والفكر السياسي عند جمعية العلماء المسلمين بالتنظيم العملي والنزوع المستقبلي في آن واحد، فالعلماء الجزائريين لم يكتفوا بنشر دعوتهم الإصلاحية بين طلابهم وفي مدارسهم الشعبية الحرّة وحسب، وإنما كان لهم برنامج عمل شامل في تكوين الإنسان المسلم وإخراجه من التخلف حتى يكون نواة للدولة المتحرّرة في المستقبل.

يمكن القول بأن النشاط السياسي للجمعية مورس بمرونة وفقًا للظروف وبطريقتهم الخاصة وفي حدود وسائلهم، لذلك فوضع الجزائر العام كبلد محتل، حتم عليهم أن يتبعوا إستراتيجية خاصة لتحقيق أهدافهم، فكان عليهم ولأجل تحقيق هدفهم القريب ارتكاز مشروعهم على إصلاح الفرد لتغيير ذهنيته، ومن ثم تكوين جيل يقوم تحت سقف الإسلام النقي والعروبة والوطنية، الذي يحقق الهدف البعيد الذي كانت تصبوا إليه الجمعية وتعمل لأجله ألا وهو تحقيق الاستقلال.

اتسمت الحركة الإصلاحية في الجزائر برفعها لراية الإصلاح داخل المجتمع، كما أكدت على عروبة وإسلام الجزائر، وعملت على الحفاظ على المقومات الوطنية وثوابتها، لذلك فقد تولى رجال جمعية العلماء المسلمين مهمة التعريف بالأمة الجزائرية وتصوير هويتها، وكانوا قد لخصوا عناصرها في مقومين أساسيين تمثلتا في الدين الإسلامي في مواجهة النموذج الثقافي الغربي؛ فالاستعمار قبل كل شيء اعتداء على الدين بل ومساس بعزة الإسلام، واللغة العربية في مواجهة اللغة الفرنسية.

لقد شكّل التاريخ بالنسبة لرجال جمعية العلماء المسلمين تراثا حيا يرجع إليه من أجل إحياء أجداد ماضي الجزائر الإسلامي، باعتباره وسيلة فعالة في مقاومة الاستعمار والمحافظة على الشخصية الإسلامية الجزائرية، فنظروا إلى التاريخ من منظور العقيدة واللغة، واستوعبوا حوادثه برؤية تراثية تكرر انتساب الجزائر إلى الفضاء الحضاري العربي الإسلامي.

في الأخير يحتاج موضوع خطاب الحركة الوطنية الجزائرية 1919م-1954م لمزيد من البحث والتنقيب والإثراء، لكونه من المواضيع الفكرية والثقافية الخصبية، خاصة في ظل مرحلة هامة من مراحل الحركة الوطنية الجزائرية التي تباينت خلالها الرؤى والمواقف.

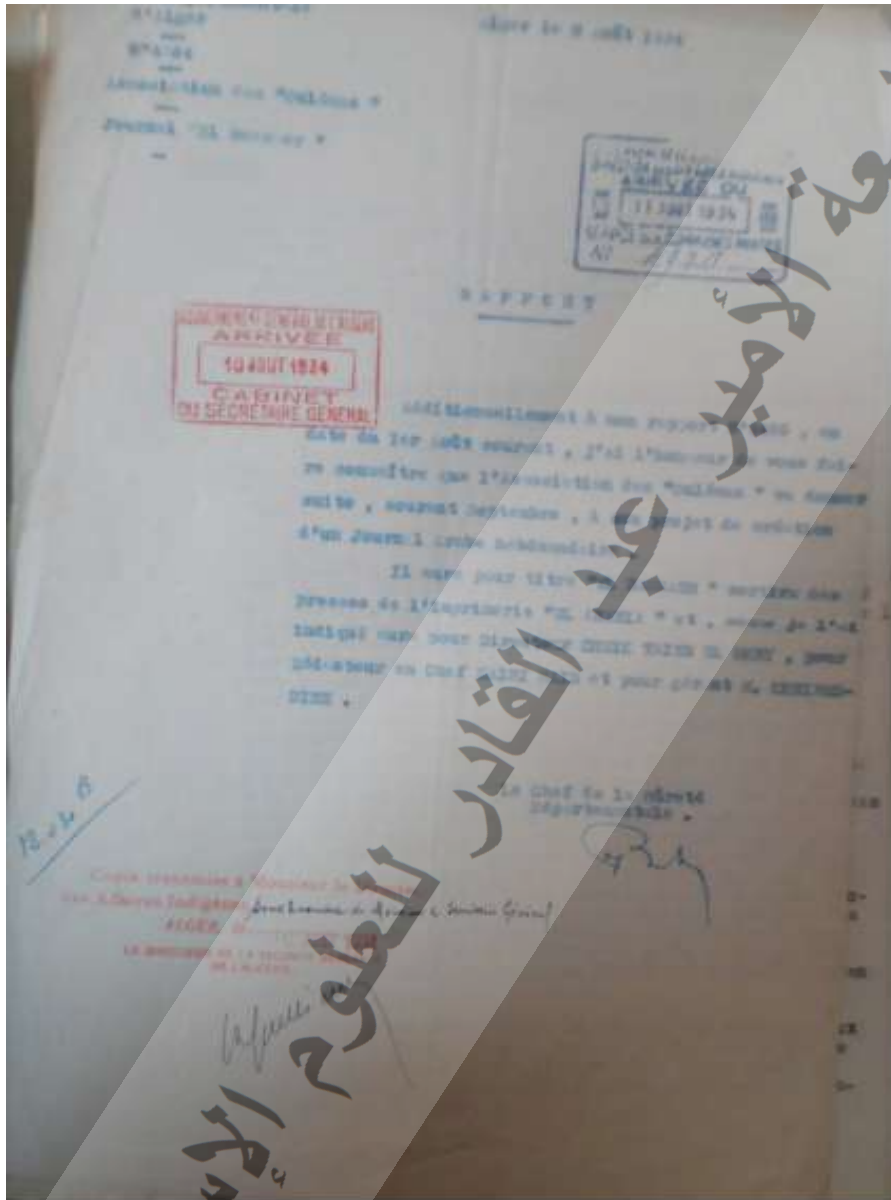


# الملاحق

جامعة الأمير  
عبد القادر للعلوم الإسلامية



الملحق رقم 2: تقرير الإدارة الفرنسية حول صدور جريدة البصائر (السلسلة الأولى)



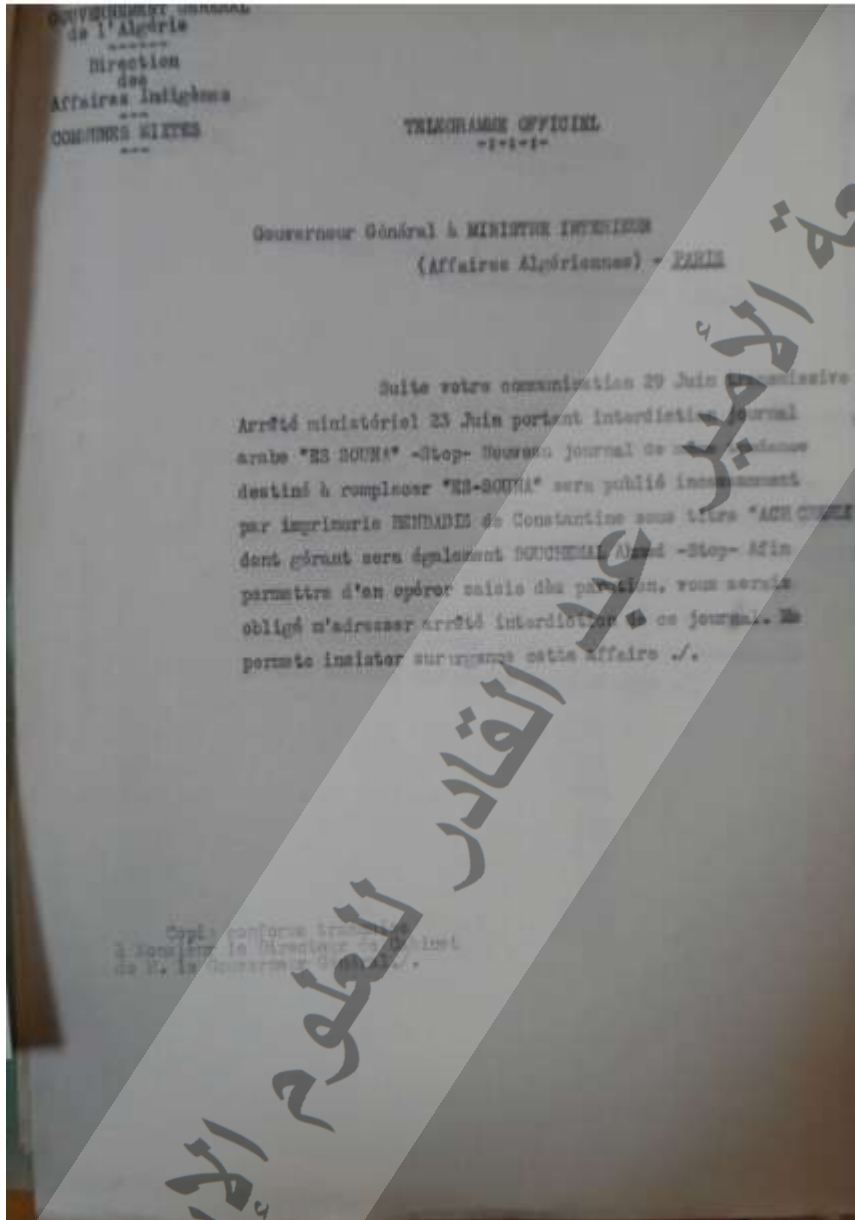
- A.N.O.M: G.G.A, Affaires indigène (dossier de presse), Association des oulémas journal El Bassair, Alger.

الملحق رقم 3: شعار جريدة البصائر والعدد الأول من ذات الجريدة.





الملحق رقم 04: برقية رسمية حول حجز جريدة السنة وتأسيس جريدة الشريعة.



- A.N.O.M: G.G.A, Affaires indigène (dossier de presse ), télégramme officiel, paris.



الملحق رقم 5: رسالة من شكيب أرسلان لمصالي الحاج بتاريخ 26 أكتوبر 1963.

C O P I E

GENÈVE, Le 26 Octobre 1936

Bien aimé MESSALI,

Je reçois maintenant votre aimable lettre qui m'a réjoui énormément. Il y a quelques jours j'ai répondu à la lettre que vous m'avez écrite en bon arabe que j'ai reçue de la Section de l'Etoile Nord-Africaine de Tlemcen et les ai priés de vous dire beaucoup de choses de ma part. Craignant que ma lettre ne soit pas parvenue, j'ai écrit une seconde fois à la section. En effet, vous ne manquez énormément, mon très cher MESSALI, pour lequel j'ai une affection paternelle et une estime immense. Je vous félicite pour les témoignages de sympathie que vous recevez de presque tout le monde. Oui, mon Dieu ne vous aime et ne vous estime pas? Pour les Béni-Oui-Oui, ceux-ci n'ont pas de vous détestent pas au fond, mais ils sont poltrons. Vos vrais ennemis sont cette triste fraction qui se dit musulmans français "qui combat l'islamisme et la culture arabe, tout en portant le nom de Musulmans", et il n'y a pas de plus dangereux à l'islam que cette fraction. Il n'est pas nécessaire, pour prouver sa loyauté à la France, de combattre sa propre culture. La France n'a rien à gagner à recruter des amis parmi ces renégats compromettants pour elle. Les amis de la France ne peuvent lui être précieux que s'ils sont des "musulmans musulmans".

Je suis si heureux que l'Etoile Nord-Africaine compte déjà, grâce à vous, trente sections. Elle se ramifiera davantage pour la confusion des faux prophètes. A votre rentrée à Paris, ne tardez pas à venir vous reposer chez nous, à Genève, et si Ali est avec vous, tant mieux. Dès que vous recevrez cette lettre, ayez l'amabilité de m'écrire deux lignes, au moins, pour me dire si elle vous est parvenue. Car je reste toujours inquiet pour mes lettres. J'ai reçu le dernier numéro d'El Oum et merci pour les notes aimables qu'il y a pour moi.

Toute ma famille se rappelle de vous et tout mon entourage et avec une grande admiration. Mon collègue est depuis une semaine à Paris, à sa rentrée je lui transmettrai vos salutations.

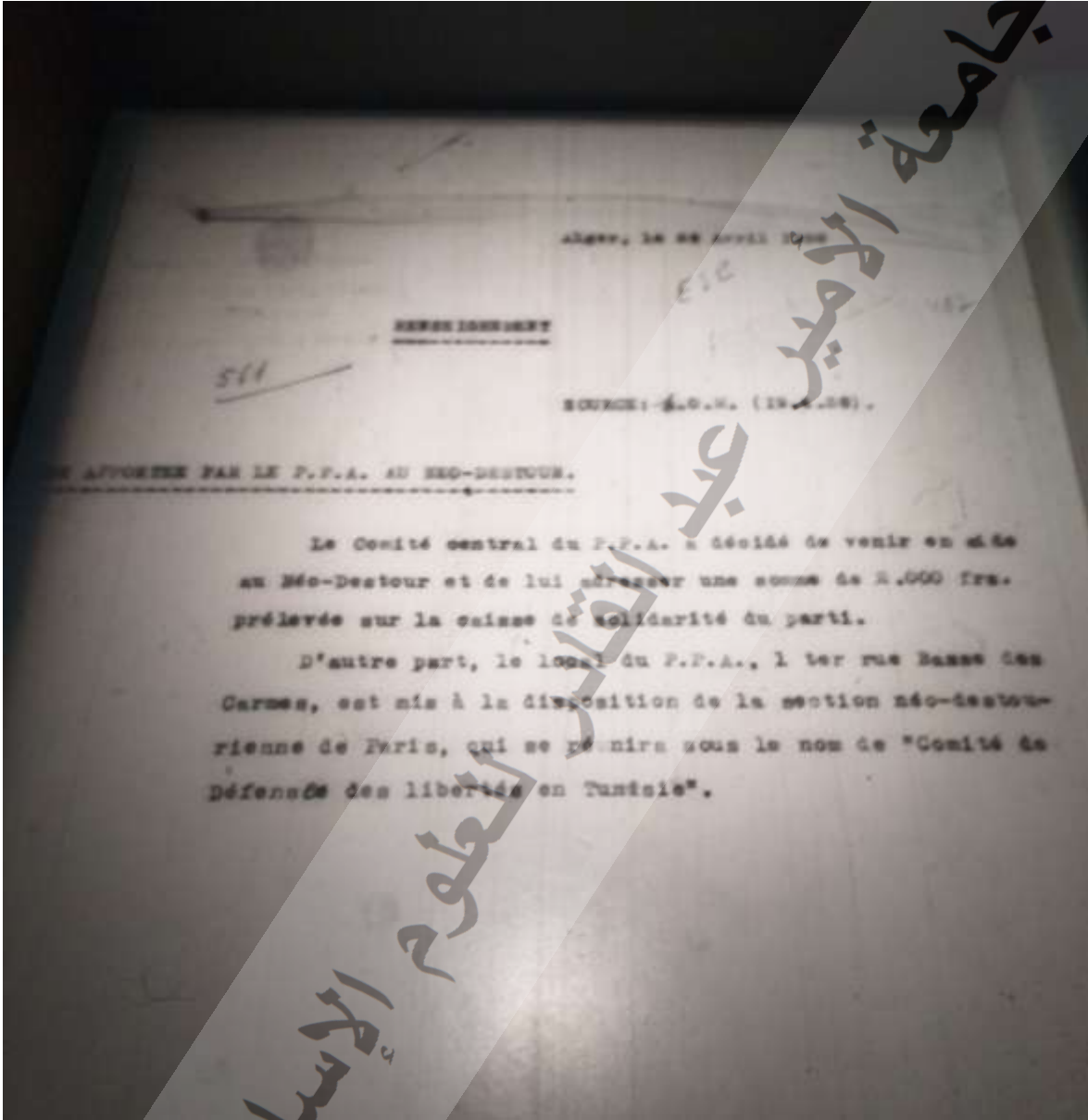
J'ai des raisons de croire qu'avant ma mort je verrai une colonne arabe musulmane s'installer en Espagne. C'est un rêve pour lequel j'ai bien souvent prié Allah.

Et recevez, bien affectueux de MESSALI, l'expression de mes sentiments éternels et de ma très haute estime pour vous.

ARSLAN  
11 - rue Marignac

- A.N.O.M. Boite N° 9 H 47, Lettre de Arslan à messali le 26 octobre 1936.

الملحق رقم 06: وثيقة أرشيفية توضح التضامن القائم بين حزب الشعب الجزائري والحزب الدستوري الجديد التونسي.



- A.N.O.M: Boite N°25 H 3, dossier 3,(nationalisme.greves et manifestations), apporter par le p.p.a au néo-destour, 1937.

الملحق رقم 7: رسالة مصالي الحاج لعصبة الأمم المتحدة سنة 1930.

رسالة نجم شمال إفريقيا إلى عصبة الأمم المتحدة. 1930  
وجه نجم شمال إفريقيا، سنة 1930 رسالة إلى عصبة الأمم المتحدة،  
عرض فيها وضعية الجزائريين الذين يقعون تحت هيمنة الاستعمار الفرنسي.

باريس، جانفي 1930  
إلى السيد الأمين العام لعصبة الأمم المتحدة،  
جنيف،

نحن أعضاء اللجنة المركزية لنجم شمال إفريقيا، حزب من التيار السوطي،  
يشرفنا أن نخاطبكم بالرسالة الحالية من أجل نعلمكم بالوضعية الراهنة للجزائر  
ومن أجل الاحتجاج بحدة لديكم ضد الاحتفاء بمثوية الاستيلاء على الجزائر.

سنة 1797، أقرضت بلادنا فرنسا كميات كبيرة من القمح ومبلغ خمسة  
ملايين فضية. في كل مرة كانت إبالة الجزائر تطلب سداد هذا القرض كانت  
فرنسا تواجه ذلك بالرفض، تحت ذرائع متعددة، إلى حد أنه في إحدى المرات،

مثل فرنسا، دوقال، قام بسلوك فض بقوله للداي حسين أن الملك شارل العاشر لا وقت لديه ليرد على كلب مثلكم. هنا وقعت حادثة المروحة. بدلا عن التشديد، أرسلت فرنسا جيشا قوامه 80.000 رجل بغرض احتلال بلادنا. بعد رسوقواتها في شبه جزيرة سيدي فرج، أعمال النهب، والسرققة، والقتل، تضاعفت. لم تستثن النساء ولا الأطفال ولا كبار السن، بوحشية لا مثيل، كان المحتلون يتلذذون بتعذيب سكان غير عدائين.

مثال عن ذلك: المارشال بيليسي قتل بالاختناق آلاف العرب، غاليتهم من الأطفال والنساء والمسنيين في مغارة بناحي مستغام. قام بذلك بالكيفية التالية: هربا من المهازرة، لجأ بعض العرب إلى إحدى المغارات، فواجه المارشال بيليسي ذلك بإحراق القش في مدخل المغارة من أجل أن يختنق أولئك الفارون.

تمكنت فرنسا من الاستوطان في هذه البلاد بالقوة والسلاح والمهازرة. تحت شعار التمدين، كان المحتلون يتفاوضون عن أية أعمال بربرية. كان المارشال بيحو يقول: "السيف و المحراث هما ما يتعين أن يسودا هذه البلاد".

أباؤنا بعد أن عانوا بشكل مفرغ، ومروع من الاحتلال، سيصبحون في الوقت الحالي عبيدا حقيقيين بفعل الاستيلاء على أراضيهم. في الواقع، يدمر الفقر، وتوسع الطبقة الكادحة بلادنا التي كانت مزدهرة فيما مضى. استملاك الأراضي قاد الشعب الجزائري إلى وضعية مزرية جدا. فيما مضى، كنا الملاك في هذه البلاد، أما الآن فقد صرنا المنبوذين فيها. من على منصة البرلمان الفرنسي، قال أحد النواب لدى التناقش حول ميزانية الجزائر:

"الأهالي الجزائريون يرزحون في وضعية مؤسفة. 67% من الثروة الإجمالية للجزائر، يمتلكها 800.000 فرنسي، فيما 33% يمتلكها 5 ملايين و 800.000 عربي".



هذا التوضيح البليغ يمكنكم من معاينة أن المستعمرين يجنون الكثير باسم التمدين. ستعابون أن 800.000 فرنسي وحدهم يمتلكون 800.000 هكتار من الأراضي، الأجدود، الأكثر صلاحية للزراعة، حيث تكثر الثروات الطبيعية. أما فيما يخص العرب، بالكاد يمتلك 5 ملايين و 800.000 ساكن 4 ملايين و 500.000 هكتار. وبالتأكيد، فإنها ليست أراضي، بل جبال، ومناطق منخفضة، وصخور، أراضي غير مزروعة فقيرة، لا تنتج سوى القليل.

لهذه الأسباب يغادر العرب تلك الأراضي غير المزروعة، ليعملوا بسواعدهم لدى المستوطنين الذين يدفعون لهم 10 و 20 فرنكا يوم العمل. لا تتوفر أية وقاية صحية بهذا البلد، والمجاعة تتكرر بشكل دوري، آلاف من إخواننا يموتون جوعا سنويا. وهكذا ماتت أعداد هائلة من العرب خلال المجاعة ووباء التيفوس اللذين احتاحا البلاد بين 1921 و 1923. جميع مدن الساحل تم غزوها من المتسولين، بملابسهم الرثة، وأوجه هزيلة، بنظرات شاردة، بأبدان عبارة عن كتلة أشلاء بشرية، يفتشون عن الغذاء في علب القاذورات، أمام لا مبالاة تامة من المحتل. وقد أبلغ م. ربراي، ضابط فرنسي، البرلمان في تقرير مطول بوضعية أولئك اليوساء.

عندما، في سنة 1922، قام السيد ميرون، رئيس الجمهورية، بجولته الرئاسية في شمال إفريقيا، حرصت الحكومة العامة بالجزائر على إبعاد إلى الجنوب، الصحراء، كامل هؤلاء المتسولين، بغية تفادي تولد انطباع سيء لدى السيد رئيس الجمهورية. الحكومة ترى كل شيء، وتعلم كل شيء، ولكن الشعب الجزائري لا يهمها. ما يهمها بالخصوص هي الأراضي، وثروات البلاد، المناجم واليد العاملة غير المكلفة.

في المجال الثقافي، وضعتنا أكثر فداحة، هنا نلقت عنايتكم بالخصوص، لأن الموضوع مهم جدا. نعاين أن فرنسا لم تقم بأي شيء في مجال التعليم. قبل احتلال بلادنا، كان التعليم منتشرا على مستو واسع. كانت المدارس القرآنية،

المقموعة في الوقت الحالي بشكل كبير، تضم 300.000 تلميذ، يعرف كل واحد فيها التحدث بلغته الأصلية. في الزوايا كان يتم تدريس النحو العربي، الفقه الديني، الفلسفة والقرآن. في زمننا الراهن، اللغة العربية ضائعة، ما نتحدثه اليوم عبارة عن نوع من اللهجة المحلية المشككة من العربية، المالطية، الإسبانية والفرنسية. بعد 100 سنة من الاستعمار، ينحصر مستوى التعليم فيما يلي: لـ 5 ملايين و 800.000 عربي، توجد 520 مدرسة، تضم 38.000 تلميذ، ولأن هذا الرقم صادر عن جهات رسمية، فلا بد أنه مبالغ كثيرا، لأن الآباء الذين يعيشون في فقر يرسلون أبناءهم للعمل منذ سن ست إلى ثمان سنوات. في المقابل، يحظى 800.000 فرنسي، بسـ 1000 مدرسة، تضم 110.000 تلميذ. الفرق شاسع ومغير جدا. يوجد في الوقت الحالي 600.000 طفل ينسكعون في الشوارع بسبب عدم وجود مدارس: هؤلاء الفقراء الصغار، منذ صغرهم، يستخدمون للتلميع أحذية الكولون، وللتحميل في الشوارع، إنهم يواجهون إلى حد ما المغامرة والمجهول. وضعية المدرسين العرب مزرية، فالغالبية منهم تقطن في أكواخ. لا ينالون نفس أجور زملائهم الفرنسيين ويتعرضون لنظام خاص نكائي.

التعليم الخاص محظور تماما؛ في مدينة تلمسان الصغيرة، سنة 1923، أسس بعض المدرسين الشباب مدرسة صغيرة كانوا يقدمون فيها مجانا دروسا لفتيات صغيرات، وللكتاب أيضا؛ بعد بضعة أشهر من التواجد، منعتها الحكومة العامة بغتة بذريعة أنها تشكل خطرا على الاستعمار. يبين لكم هذا بوضوح أن فرنسا لا تريد أن تعلمنا. من أجل أن تستغلنا بأفضل السبل، وأن تستعبدنا بشكل أحسن، تتركنا وتبقينا في الجهل التام.

ستعارض بالقول أنه توجد مدارس للتعليم العالي بالعاصمة ووهران وفستينية، ولكن العربي لا يمكنه أن يرتاد هذه المدارس، فوضعيته لا تسمح له بهذا الرفاه المخصص لأبناء الكولون. لا تقدم المنح سوى لأبناء الزعماء العرب (القضاة والقياد) وللموظفين.



في الجيش، وضعيتنا ليست مختلفة. فرغم أن فرنسا وقعت في 5 جويلية 1830 اتفاقية، تعهدت فيها باحترام دين، عادات، تجارة وحرية العرب، ولكن هذا لم يمنعها، عندما استدعت الضرورة ذلك، من انتهاكها، وهكذا منذ الفترة الأولى للاحتلال، جندت إخوتنا في جيوشها، ووصلت حتى إلى تأسيس سلك خاص من السباهيين والزواوة الذين استخدمتهم لتوسع احتلالها.

في وقت لاحق، أرسلت كتائب الجزائريين في حملة عسكرية إلى جنوب الجزائر، ثم شاركت بشكل واسع في الاستيلاء على المغرب، تونس، مدغشقر وتونكان (بالفيتنام). أهذا هو احترام الدين الإسلامي؟ أجبر الجزائريون المسلمون على الذهاب لمقاتلة المغاربة والتونسيين والسوريين، إخوتهم في العرق والدين.

إلى غاية وقت قريب، لم تكن فرنسا تستخدم سوى ما أطلق عليه "التطوع الإرادي" عن طريق استدعاءات للرجال، ولكن منذ 1912، شاعرة باقتراب حرب 1914-1918، شرعت فجأة الخدمة الإجبارية على كافة العرب الجزائريين وهذا في انتهاك صريح للاتفاقية المذكورة آنفا التي تنص على احترام دين، عادات، وحرية العرب.

خلال الحرب العالمية، سقط 100.000 من إخوتنا في مختلف ميادين القتال، من أجل قضية لا تعيننا. كانت فرنسا تعدنا بالكثير خلال هذه الحرب، ولكن فور انتهائها، تعرضنا عرضا عن ذلك لتشديد النظام الخاص، وتم تمديد آجال قوانين الاستثناء. نحن الرعايا، أي العبيد، نجبر على قضاء ستة أشهر إضافية مقارنة مع الفرنسيين بالجيش. هنا أيضا تخضع لقانون خاص، فقضاء الجنود سيء، وبدلهم كذلك، ويستخدمون دوما في الأعمال الشاقة، ويكونون الأوائل في مواجهة النيران خلال التمارين، ويتعرضون للضرب بالأيدي والرفس بالأرجل كالبهائم. لا يحترمون مطلقا، وعلاوة على شتمهم،

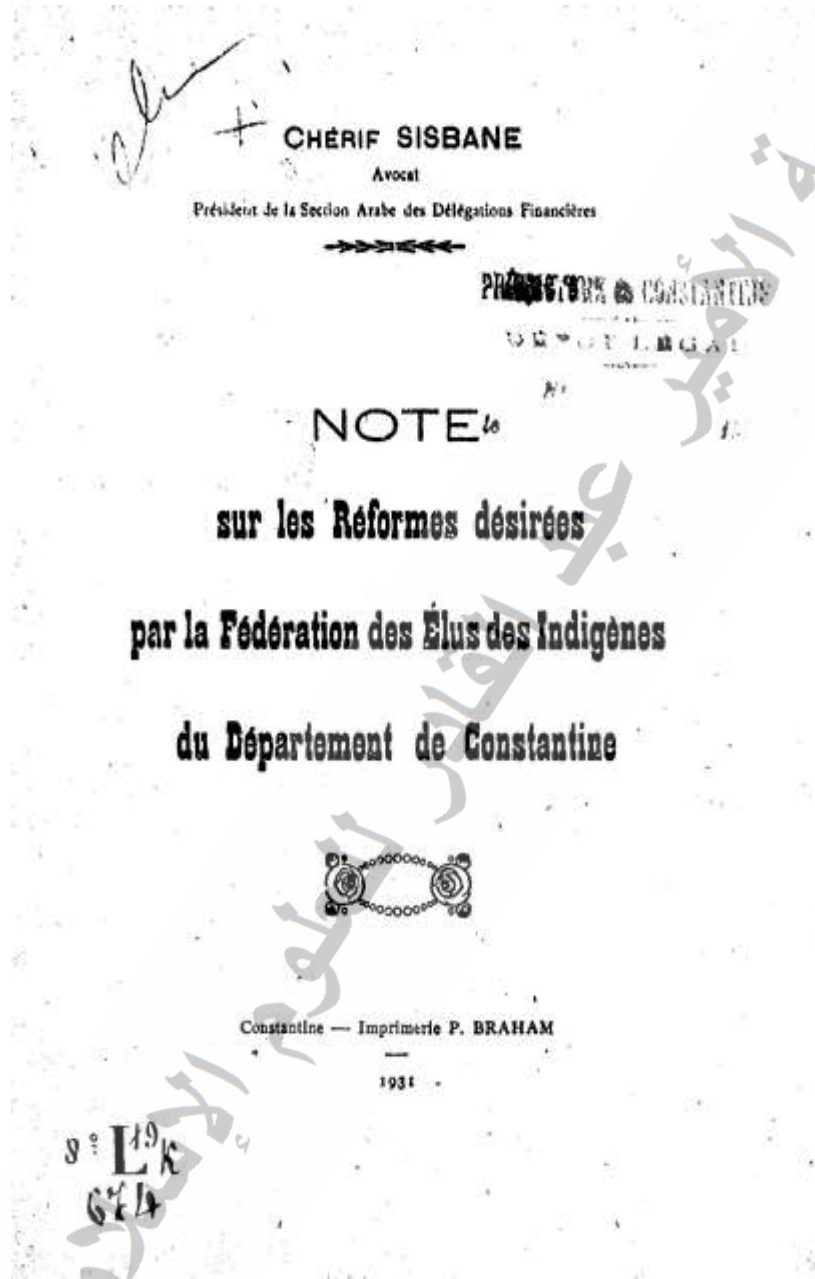
وامتهانهم، يتعرضون أيضا للإهانة بنكايات قادتهم. سواء في الجيش أو الحياة المدنية، يخضع العربي لنظام خاص. بنفس الرتب، ينال العربي أجرة أقل من الفرنسي، مع إجباره على العمل أكثر من الفرنسي. وكظلم إضافي، يستعين أن يبقى الجنود الجزائريون تحت تصرف وزير الحربية حتى بعد إتمام فترتهم. كما في كل مكان، العربي يخضع للضرائب ويمكن تسخيره دون رحمة من طرف الكولون الذين هم سبب شقائنا، جهلنا، وتحقيرنا.

من الناحية السياسية، لا تزال وضعيتنا على حالها. إلى غاية الوقت الحالي، يمكن أن نقول أننا لا نتمتع بأي حق. نجر على أداء كافة الواجبات، ولكن في المقابل لا ننال أي امتياز. فنحن ندفع الضرائب تماما كالفرنسيين، وبالإضافة إلى ذلك الضريبة العربية؛ ضريبة الدم فرضت علينا منذ 1912. ليس لدينا أية حرية سياسية، ولا حرية للتعبير عن رأينا لا عن طريق الصحافة ولا في الاجتماعات العامة. وكدليل: بعد قرابة قرن من تواجد فرنسا بالجزائر، ليس لدينا الحق في أن تكون لدينا صحيفة للدفاع عن مصالحنا. لا تمثيل في البرلمان: 5 ملايين و800.000 عربي ليس لديهم أي نائب ولا سيناتور.

بالجزائر ذاتها، في المجالس البلدية والعامية، لا يزال منتخبونا يشكلون الأقلية، رغم أنهم يمثلون عددا من السكان أكبر بثمان مرات، كما أن الفساد منتشر بين ممثلينا. فيما وبل لأولئك الذين يجتهدون لخدمة السكان، يتعرضون للمراقبة، للمطاردة، للإيقاف، وفي الغالب يهجرون للجنوب الجزائري. أسست فرنسا نظاما سياسيا يدمر الأنماط القديمة للديمقراطية الإسلامية التي كانت متواجدة قبل الاحتلال (الدواوير، العشائر، الأقاليم) تاركة منها فقط هيكلها الشكلي، مقصية العرب عن تسيير شؤون البلاد واضعة كافة السلطات بين يدي حاكم عام يسير سلكا كاملا من الموظفين الإداريين المكلفين بتنفيذ مراسيم الحاكم (تحصيل الضرائب، تطبيق القوانين القمعية، ... إلخ).  
أرشيف آكس أون بروفانس، 15 H 25

- محمد قنانش ومحفوظ قداش: نجم شمال إفريقيا 1926-1937، مرجع سابق، ص ص

الملحق رقم 8: تقرير شريف سيسبان بتاريخ 17 أفريل 1931.





NOTE

sur les Réformes désirées  
par la Fédération des Élus des Indigènes

DU

DÉPARTEMENT DE CONSTANTINE

Présentée à la Commission Sénatoriale de l'Algérie

présidée par M. Maurice VIOLETTE,

lors de son passage à Constantine, le 17 Avril 1931,

par le Bureau de la Fédération

8-1K 19  
674

- 8 -

**NOTE SUR LES REFORMES DESIREES  
PAR LA FEDERATION DES ELUS DES INDIGENES  
DU DEPARTEMENT DE CONSTANTINE**

Présentée à la Commission Sénatoriale  
présidée par M. Maurice Viollette  
lors de son passage à Constantine, le 17 Avril 1931,  
par le Bureau de la Fédération

Les élus des Indigènes du Département de Constantine considèrent que l'ère des vicissitudes qu'a subies, au cours de l'histoire, l'administration de ce pays est maintenant définitivement close et que l'Algérie demeurera à jamais française, de par la volonté de tous ses habitants.

La France, qui a d'abord conquis le pays, a fini, à force de bienfaits, par conquérir aussi et pour toujours les cœurs.

Les Indigènes ont souvent proclamé par la voix de leurs élus combien ils étaient reconnaissants à la France de leur avoir donné la paix et la sécurité, d'avoir organisé pour eux des œuvres d'assistance et de prévoyance et d'avoir entrepris résolument de les instruire et de les élever au niveau intellectuel et moral de ses propres enfants.

Aussi, partant de cette idée que les Indigènes sont français, tant par la volonté expresse du législateur que conformément à leur propre désir, leurs élus considèrent de leur devoir d'appeler, chaque fois qu'ils en ont l'occasion, l'attention des Pouvoirs Publics et notamment celle du Parlement sur toutes les réformes qui leur paraissent de nature à améliorer le sort de leurs mandants au sein d'une société dont ils doivent être les premiers à défendre les assises. Ils estiment que la France a intérêt à ce que les Indigènes soient heureux sous son égide protectrice comme les Indigènes doivent être intéressés à ce que chaque jour la France soit plus aimée et plus respectée.



— 4 —

## LA SOCIÉTÉ INDIGÈNE

A cet effet, il paraît indispensable d'indiquer tout d'abord, que la population indigène d'Algérie peut être classée en deux catégories: une élite dont le nombre, actuellement peu élevé, tend cependant à augmenter sous l'influence de l'école française. Cette élite comprend:

a) des individus qui, sans avoir reçu d'instruction française, sont cependant en relations constantes, soit en raison de leurs fonctions, soit pour les besoins de leurs affaires, avec la population européenne. Entrent dans cette catégorie notamment certains fonctionnaires et anciens fonctionnaires, certains commerçants et certains agriculteurs indigènes.

b) les anciens élèves des écoles françaises à qui un corps de maîtres admirables a inculqué des idées françaises; qui pensent et sentent comme les Français et dont beaucoup même un genre de vie soit identique soit très voisin de la façon de vivre des Français.

A côté de cette élite, vit la masse des indigènes, qui, bien qu'ayant moins de rapports avec la population européenne, commencent cependant à se rendre compte, par l'exemple de l'élite, des bienfaits de la civilisation française vers laquelle ils se laissent maintenant conduire d'un pas moins hésitant.

Sans méconnaître le principe de l'égalité de tous devant la loi, il n'est pas possible de soumettre aux mêmes textes des individus dont les conceptions respectives de l'existence sont aussi éloignées. Et c'est ainsi que l'on arrive à comprendre la nécessité, non pas de légiférer pour une minorité, mais d'admettre au bénéfice des lois françaises — si libérales — les indigènes, au fur et à mesure qu'ils auront été jugés suffisamment francisés.

Mais cela ne veut nullement dire qu'il faille se désintéresser de la masse et attendre simplement qu'elle se soit

— 5 —

élevée au niveau de l'élite. On peut, au contraire, estimer qu'en raison de son état social c'est d'abord la masse qui doit bénéficier de la sollicitude des pouvoirs publics et que si l'élite souhaite également des améliorations, il est juste qu'ayant déjà profité d'une première étape dans la voie du progrès, elle pense d'abord aux plus déshérités.



— 11 —

## L'ELITE

Quant à l'élite, elle souhaite que la politique indigène soit fondée sur ce principe que l'indigène, qui est français, en vertu du Sénatus consulte de 1895, bénéficie, en principe, de la législation française, sauf lorsqu'il s'en trouve exclu par un texte formel. Elle souhaite aussi que l'on tende, non pas à étendre les exceptions, mais, au contraire, à les réduire de plus en plus, pour arriver à l'unification législative, qui doit être le but à atteindre.

C'est ainsi qu'elle considère comme étant de stricte justice que l'indigène soit, en toutes circonstances, traité exactement comme l'européen, dès l'instant qu'il justifie des mêmes aptitudes que lui.

Par application de ce principe,

1° Les fonctionnaires indigènes, qui sont recrutés dans les mêmes conditions d'aptitudes que les fonctionnaires européens et qui remplissent les mêmes fonctions, devraient être rétribués de la même façon et percevoir toutes les indemnités *sans exception aucune*, qui sont allouées à ces derniers.

2° Les recrues indigènes, qui justifient d'une connaissance suffisante de la langue française, devraient être soumises à la même durée de service militaire que les recrues françaises et servir au titre français.

3° Le code de l'indigénat, d'ailleurs tombé en désuétude, et la mise en surveillance spéciale, qui constitue un véritable défi au droit commun et dont l'utilité est, au surplus, contestable, devraient être abrogés.

4° Enfin l'élite devrait être admise à concourir avec les citoyens français, à la nomination des Députés et des Sénateurs qui représentent l'Algérie.

L'importance de ce dernier problème mérite d'être soulignée d'une façon particulière.

Il est certain que l'Algérie, colonie de peuplement, prolongement de la France, où le climat et les conditions de la vie tendent à se rapprocher de plus en plus du climat et des conditions de la vie dans la Métropole, ne peut être traitée, à cet égard, comme les autres colonies ni comme les pays de protectorat voisins.

Ici, le français d'origine se sent chez lui, comme l'indigène est fier d'affirmer sa nationalité française.

Pourquoi, dès lors, ne pas rechercher le moyen de résoudre une question qui intéresse à un si haut degré l'avenir du pays?

Il semble que les indigènes évolués et francisés devraient avoir la possibilité, tout comme les autres citoyens et dès l'instant qu'ils en sont jugés aptes, de participer à la confection des lois auxquelles ils obéissent.

Ils participent bien, par une représentation (d'ailleurs insuffisante) dans les assemblées locales, au vote de l'impôt fiscal. Mais, en ce qui concerne l'impôt du sang, en ce qui concerne toute la législation civile (les questions de statut personnel exceptées) et toute la législation pénale, ils sont soumis à la loi française.

Quo' de plus naturel qu'ils demandent à faire connaître, eux aussi, leur point de vue sur ces importantes matières?

Et puis, la France dont le coefficient de natalité est faible, ne doit-elle pas songer à contrebalancer l'influence de certains éléments qui, pour avoir acquis le droit de cité, ne sont pas toujours plus francisés que l'élite indigène?



Sans vouloir entrer dans les détails de la question, nous indiquerons brièvement notre opinion et les motifs sur lesquels elle se fonde.

Entre une représentation spéciale, à laquelle on a songé à un moment donné — et qui serait l'émanation d'un collège électoral spécial — et l'admission au collège électoral

français d'un certain nombre d'électeurs indigènes, nous n'hésitons pas à préconiser cette dernière solution. Nous estimons, en effet, que la représentation spéciale serait une espèce de consécration définitive de la séparation des deux éléments ethniques qui peuplent ce pays; séparation qu'il conviendrait, à notre avis, d'éviter avec soin, dans l'intérêt supérieur de l'avenir français. La seconde solution présente, au contraire, l'avantage de conduire lentement, progressivement et sans heurt vers la fusion, éminemment désirable, dans une colonie de peuplement comme l'Algérie. Cette solution constituerait, d'autre part, une véritable expérience dont les résultats pourraient être observés et étudiés à loisir, ménageant ainsi entièrement l'avenir.

Enfin, les individus, dont le chiffre actuel est minime, qui seraient ainsi élevés à la dignité de citoyens, constitueraient pour la masse, dont ils auraient été détachés, un exemple et un encouragement à travailler, elle aussi, et à accepter la civilisation française. L'attribution du droit de cité serait ainsi la récompense d'un effort constaté vers la francisation.

Mais, ici surgit une difficulté: c'est la question du statut personnel.

Il convient de la ramener à ses justes proportions.

En fait, la polygamie est inexistante chez l'élite; et il est certain que les indigènes sortis des écoles françaises ont, sur le rôle de la femme, une conception très voisine de la conception européenne. L'instruction des filles indigènes, désirée par les élus et poursuivie activement depuis quelques années par l'Administration et les Assemblées Algériennes, amènera à bref délai l'abolition totale de la polygamie et élèvera la femme au rang qu'elle doit avoir dans une société policée.

— 14 —

Son instruction amènera aussi l'amélioration de ses droits dans sa famille et au sein de son foyer.

Ainsi donc, sur le point du statut musulman qui choque le plus les conceptions françaises, dès maintenant on peut constater une évolution qui n'est pas niable et qui amènera, avant longtemps, chez un nombre de plus en plus grand d'indigènes la disparition de coutumes qui ne répondent plus à leurs propres conceptions.

Pourquoi alors ne pas faire confiance au temps et à l'œuvre civilisatrice que poursuit la France?

Pourquoi imposer aux indigènes, qui aspirent à l'égalité des droits politiques et qui acceptent toutes les obligations inhérentes à la qualité de citoyen, l'uniformité des droits civiques que le temps est en train de réaliser? Y a-t-il donc dans la législation française une corrélation nécessaire entre les uns et les autres? — Nous ne le pensons pas.

\*.

En tous cas, français de cœur et de loyauté, désireux de consolider à jamais, pour le bien même des populations indigènes, l'installation de la France sur ces bords, nous demandons l'incorporation progressive et sans heurt dans la famille française de l'élite indigène au fur et à mesure qu'elle se forme. Nous voulons arriver dans un temps plus ou moins éloigné à ce qu'il n'y ait plus en Algérie que des français ayant les mêmes obligations et bénéficiant des mêmes droits, également intéressés au maintien de la souveraineté française, également attachés à la France; en un mot, à ce que l'Algérie ne soit plus seulement une colonie, mais, au sens réel du terme, une vraie province française.



Sisbane Cherif : note sur les reformes désirées par la fédération des élue des indigènes du département de Constantine, imprimerie p. braham, Constantine, .1931



الملحق رقم 9: مقال لفرحات عباس منشور بجريدة الوفاق بتاريخ 27 فيفري 1963.



- l'entente: N°24, 27 Février 1936.



الملحق رقم 10: مقال لعبد الحميد بن باديس منشور بجريدة البصائر يفضح فيه ممارسات الطريقة المنحرفة ويهاجم تصرفاتهم.



- عبد الحميد ابن باديس: " الزوايا وغاياتها"، جريدة البصائر، ع148، 13/01/1939.

الملحق رقم 11: شعار الجمعية على غلاف كتاب أحمد توفيق المدني.



# السيرة النبوية

## المصادر:

### القرآن الكريم:

سورة الأنعام.

سورة الرعد.

### 1- الوثائق الأرشيفية:

#### -الأرشيف الوطني لما وراء البحار:

- 1- archives nationales d'outre-mer: BMPIA, l'entente, 13avril 1939.
- 2- archives nationales d'outre-mer: note individuel des renseignements (ben jaloul), 25 septembre 1942.
- 3- archives nationales d'outre-mer, 9H47, lettre de arslan à messali, le26/10/1936.
- 4- archives nationales d'outre-mer: G.G.A, Affaires indigène (dossier de presse), Association des oulémas journal El Bassair, Alger.
- 5- archives nationales d'outre-mer: G.G.A, Affaires indigène (dossier de presse ), télégramme officiel, paris.
- 6- archives nationales d'outre-mer: Boite N°25 H 3, dossier 3,(nationalisme. greves et manifestations), apporter par le P.P.A au Néo-destour, 1937.

#### -أرشيف ولاية قسنطينة:

- 1- Bulletin de renseignements N13 concernant l'état d'esprit des indigènes nord-africains pendant la période du 15 octobre au 15 décembre 1936, Archives historiques W de Constantine.

### 2- التقارير والنشرات:

#### -باللغة العربية:

- 1-عباس فرحات: نظرات في حاضر الجزائر ومستقبلها، كفاحنا ضد الاستعمار، تقرير المؤتمر الوطني الأول لحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري المنعقد في سطيف 25-26-27 سبتمبر 1948، منشورات شركة التحرير.

-باللغة الفرنسية.

- 1- Sisbane Cherif : note sur les reformes désirées par la fédération des élue des indigènes du département de Constantine, imprimerie p. braham, Constantine, 1931.
- 2- MTLD : le problème algérien, considérations générales.

-3 الكتب المصدرية:

-باللغة العربية:

- 1- الإبراهيمي محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1997.
- 2- الإبراهيمي محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1997.
- 3- الإبراهيمي محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1997.
- 4- الإبراهيمي محمد البشير: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، (د ت).
- 5- الإبراهيمي محمد بشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، ج5، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1997.
- 6- ابن باديس عبد الحميد: آثار ابن باديس: ج3، تص: عمار الطالبي: الشركة الجزائرية، ط3، الجزائر، 1997.
- 7- ابن باديس عبد الحميد: آثار ابن باديس، ج2، مج2، تص: عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، ط3، الجزائر، 1997.
- 8- ابن باديس عبد الحميد: آثار ابن باديس، ج4، تص: عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، ط3، الجزائر، 1997.

- 9- ابن باديس عبد الحميد: آثار ابن باديس، مج1، ج1، تص: عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، ط3، الجزائر، 1997.
- 10- ابن عاشور محمد العزيز: جامع الزيتونة المعلم ورجاله، دار سراس للنشر، تونس، 1991.
- 11- الأفغاني جمال الدين ومحمد عبده: العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى، تح: صلاح الدين البستاني، دار العرب، ط3، القاهرة، مصر، 1993.
- 12- أوزقان عمار: الجهاد الأفضل، تر: ميشال سطوف وآخرون، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2005.
- 13- بن بريهمات عمر بن حسن: النهج السوي في الفقه الفرنسي، المطبعة الشرقية ببيير فونتانا، الجزائر، 1908.
- 14- بن حبيلس شريف: الجزائر فرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر: عبد الله حمادي وآخرون، دار المسك، الجزائر، 2012.
- 15- التبسي العربي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، تع: شرقي أحمد الراجعي، دار البعث، ط1، قسنطينة، الجزائر، 1981.
- 16- الحداد الطاهر: التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة، تح: محمد أنور بوسنيّة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1981.
- 17- حربي محمد: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: صالح المثلوثي ونجيب عياد، موفم للنشر، الجزائر، 1994.
- 18- حربي محمد: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، تر: كميل قيصر داغر، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1983.
- 19- خير الدين محمد: مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985.
- 20- دبوذ محمد علي: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، (د ت).
- 21- عباس فرحات: الشباب الجزائري، تر: أحمد منور، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.



- 22- عباس فرحات: غدا سيطلع النهار، تر: حسين لبراش، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2012.
- 23- عباس فرحات: ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المهديّة، المغرب، (د ت). 1948.
- 24- الفاسي علال: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مطبعة الرسالة، ط1، القاهرة، مصر، 1948.
- 25- فضلاء محمد الطاهر: دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1984.
- 26- قنانش محمد وقداش محفوظ: نجم الشمال الإفريقي (1926-1937)، د م ج، الجزائر، (د ت). 2009.
- 27- قنانش محمد ومحفوظ قداش: حزب الشعب الجزائري (1937-1939)، د م ج، الجزائر، 2009.
- 28- قنانش محمد ومحفوظ قداش: نجم الشمال الإفريقي (1926-1937)، وثائق وشهادات لدراسة الحركات الوطنية، د.م.ج، الجزائر، 2002.
- 29- قنانش محمد: الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحزبين (1919-1939)، ش و ن ت، الجزائر، 1982.
- 30- قنانش محمد: المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945، منشورات دحلب، الجزائر، (د ت).
- 31- قنانش محمد: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصبّة، الجزائر، 2007.
- 32- المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، م و ك، الجزائر، 1987.
- 33- مصالي الحاج: مذكرات مصالي الحاج (1898-1938)، تر: محمد المعراجي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2009.
- 34- نايث بلقاسم مولود قاسم: أنية وأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1975.

35- القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومبادئها الإصلاحية: المطبعة الجزائرية الإسلامية، (د.ت).

#### باللغة الفرنسية.

- 1- Esquer gabriel: histoire de l'algérie (1830-1960), presses universitaires de France, paris, 1960.
- 2- faci Said: L'Algérie Sous L'égide de La France contre la féodalité algérienne, pref. M.Violette, Toulouse, 1936.
- 3- Lavisser Ernest : Les Récits de Pierre Leloi : Lecture Courante, Morale Civique, Cours Élémentaire et Cours Moyen, Paris, 1925.
- 4- Memmi Albert: Portrait du Colonisé Précédé des Portraits de Colonisateur, ed Buchet-Chastel Corréea, Paris, 1957.
- 5- naron amaer: ferhat abbas ,ou le chemins de souveraineté, ed donoel, France, 1961.
- 6- Poulard Maurice : L'enseignement pour les Indigènes en Algérie, imprimerie administrative Gojosso, Alger, 1910.

#### 4- المجلات والجرائد المصدرية:

#### باللغة العربية:

- 1- عيون البصائر، ج2.
- 2- مجلة الشهاب، ج 12، مج 12، فيفري 1937.
- 3- مجلة الشهاب، ج 1، مج 14، مارس 1938.
- 4- جريدة البصائر، جانفي 1937.
- 5- مجلة شهاب، ج 3، مج 14، جوان 1938.
- 6- مجلة الشهاب، ج 12، مج 12، فيفري 1937.
- 7- مجلة الشهاب، ج 5، مج 13، 10 جويلية 1937.
- 8- مجلة الشهاب، ج 2، مج 14، ماي 1938.
- 9- جريدة البصائر، ع 148، 13/01/1939.
- 10- مجلة الشهاب، ج 4، م 14، جوان، جويلية 1938.

- 11- جريدة البصائر، س2، أبريل 1939.
- 12- مجلة الشهاب، ج10، مج12، جانفي 1937.
- 13- مجلة الشهاب، مج12، ج1، أبريل 1936.
- 14- جريدة البصائر، ع3، جانفي 1936.
- 15- مجلة الشهاب، ج3، مج12، جوان 1936.
- 16- جريدة الصباح، ع128، 29 جوان 1951.
- 17- جريدة البصائر، س3، ع107، 8 أبريل 1938.
- 18- جريدة الإقدام: ع10، س1، 12 نوفمبر 1920.
- 19- جريدة البصائر: ع84، ج4، س2، 29 أكتوبر 1937.
- 20- جريدة البصائر: ع78، 2 ماي 1949.
- 21- جريدة البصائر: ع94، 7 جانفي 1938.
- 22- جريدة البصائر، ع26، 8 مارس 1948.
- 23- جريدة المنتقد: ع1، 2 جويلية 1925.
- 24- جريدة السنة النبوية المحمدية: ع1، 3 أبريل 1933.
- 25- جريدة الشريعة النبوية المحمدية: ع1، 17 جويلية 1933.
- 26- جريدة المنار: ع6، س1، 30 جويلية 1951.

#### –باللغة الفرنسية:

- 1- L'entente : N 24 , 27 fev 1936.
- 2- La voix des humbles : n°= 61, juin 1928.
- 3- La voix des humbles : n°= 70, janvier 1929.
- 4- La Voix des Humbles ; n 104.
- 5- La Voix des Humbles, n° 54, novembre 1927 .
- 6- La Voix des Humbles, n° 68, novembre 1927.
- 7- La voix indigène: n 174, novembre 1932.
- 8- El Ouma: n 36, decembre 1935.
- 9- La Voix des Humbles, Nov 1925.
- 10- L'entente, 23/02/1936.

- 11- L'entente: N°24, 27 Février 1936.
- 12- El Ouma, septembre, octobre 1936.
- 13- La voix Indigène: n 386, 28 octobre 1936.
- 14- El Ouma, 10 Avril 1937.
- 15- El Ouma: n 41, juillet-Aout 1936.
- 16- Le jeune musulman, N20, le 24 avril 1953.

## -5- المراجع:

### -باللغة العربية:

- 1- أجيرون شارل روبير: المجتمع الجزائري في مخبر الايدولوجيا الكولونيالية، تر: محمد العربي ولد خليفة، منشورات ثالة، ط2، الجزائر، 2013.
- 2- أجيرون شارل روبير: المسلمون الجزائريون وفرنسا، ج 1، تر: حاج مسعود، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
- 3- أجيرون شارل روبير: تاريخ الجزائر المعاصرة، ج 2، تر: محمد حمداوي وآخرون، دار الأمة، الجزائر، 2013.
- 4- إحدادن زهير: شخصيات ومواقف تاريخيه، منشورات دحلب، الجزائر، 2012.
- 5- إحدادن زهير: مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، د م ج، الجزائر، 2002.
- 6- أحمد بن نعمان: مولود قاسم نايث بلقاسم رمز كفاح الأمة، دار الأمة، الجزائر، 1993.
- 7- إدريس حضير: البحث في تاريخ الجزائر الحديث (1830-1962)، ج 1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت).
- 8- برينيلي غي: النخبة الجزائرية الفرنكفونية (1880-1962)، تر: حاج مسعود وآخرون، دار القصة، الجزائر، 2007.
- 9- البستاني بطرس: دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب، مج 10، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، لبنان، 1998.
- 10- بغورة الزواوي: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2000.

- 11- بلحاج صالح: الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1910-1939)، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2015.
- 12- بن عمر باعزيز: من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسيين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، منشورات وزارة المجاهدين، ط2، الجزائر، 2008.
- 13- بن مرسللي أحمد: ثورة أول نوفمبر في صحافة حزب الأتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري: جريدة الجزائر الجمهورية نموذجاً، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007.
- 14- بن نبي مالك: شروط النهضة، تر: عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، دمشق، سوريا، 1986.
- 15- بن نبي مالك: وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2002.
- 16- بن نعمان أحمد: التعريب بين المبدأ والتطبيق في الجزائر والعالم العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 17- بودريالة علي: إشكالية الدين والدولة في الخطاب الإسلامي المعاصر بين الثوابت والمتغيرات، منتدى المعارف، ط1، بيروت، لبنان، 2021.
- 18- بوصفصاف عبد الكريم: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1945)، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1996.
- 19- بوعزيز يحيى: الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1998)، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- 20- بوعزيز يحيى: الأيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاث وثائق جزائرية، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- 21- بوعزيز يحيى: الإتهامات المتبادلة بين مصالي الحاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني 1942-1946، دار هومة، الجزائر، 2001.

- 22- بوقصة كمال: مصادر الوطنية الجزائرية إلى منابع الوطنية الجزائرية الشعبية، دار القصة، الجزائر، 2005.
- 23- بوهند خالد: النخب الجزائرية: دراسة تاريخية اجتماعية (1892-1942)، دار القدس العربي، وهران، الجزائر، (د ت).
- 24- تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ط5، الجزائر، 2001.
- 25- تيران إيفون: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، تر: محمد بن عبد الكريم أوزغلة، دار القصة، 2005.
- 26- ثنيو نور الدين: إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، الدوحة، قطر، بيروت، لبنان، 2015.
- 27- ثنيو نور الدين: الحركة الإصلاحية الجزائرية بحوث ووثائق، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2018.
- 28- الجابري محمد صالح: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962)، ش و ن ت، الجزائر، 1983.
- 29- الجابري محمد عابد: إشكالية الفكر العربي المعاصر، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط2، لبنان، بيروت، 1990.
- 30- الجابري محمد عابد: المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان، 1999.
- 31- جاندر و شوميليه وكورفوا زيه: مدخل إلى علم الاجتماع السياسي، تر: إسماعيل الغزال، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 2005.
- 32- جعيط هشام: الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، تر: المنجي الصيادي، دار الطليعة، ط3، بيروت، لبنان، 2008.



- 33- جغلول عبد القادر: الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، تر: سليم قسطون، دار  
الحدائث، بيروت، لبنان، 1984.
- 34- جغلول عبد القادر: تاريخ الجزائر الحديث: دراسة سوسيوولوجية، تر: فيصل عباس، دار  
الحدائث، بيروت، لبنان، 1983.
- 35- الجندي أنور: الاستعمار والإسلام، دار الأنصار، القاهرة، مصر، (د.ت).
- 36- الجندي أنور: الثقافة العربية المعاصرة في معارك التعريب والشعبوية، دار الرسالة، مصر،  
(د.ت).
- 37- جوليان شارل أندري: إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، تر:  
المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، تونس،  
الجزائر، 1976.
- 38- حدّاد سالم: صراع الهوية بين الأنا والآخر، دار الأطلس للنشر، ط1، تونس، 2000.
- 39- الحصري ساطع: آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2،  
بيروت، لبنان، 1985.
- 40- الحصري ساطع: ما هي القومية، أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات،  
1959.
- 41- حلوش عبد القادر: سياسة فرنسا التعليمية، دار الأمة، ط1، الجزائر، 1999.
- 42- حمادي عبد الله: الحركة الطلابية في الجزائر (1871-1962)، منشورات المتحف الوطني  
للمجاهد، الجزائر، (د.ت).
- 43- حمدي أحمد: جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، دار القصب، الجزائر، 2001.
- 44- حميد عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، (د.ت).
- 45- حميدي أبو بكر الصديق: قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية  
(1920-1954)، دار الهدى، الجزائر، 2021.

- 46- حميطوش يوسف: منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس، دار الأمة، الجزائر، 2013.
- 47- حنفي حسن: قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار التنوير، ط2، بيروت، لبنان، 1983.
- 48- حيمر عبد السلام: في سوسيولوجيا الخطاب، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، (د ت).
- 49- خثير عبد التور وآخرون: منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007.
- 50- الخطيب أحمد: جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، م و ك، الجزائر، 1985.
- 51- الخطيب أحمد: حزب الشعب الجزائري، ج1، م و ك، الجزائر، 1986.
- 52- دويذة نفيسة: النخبة الجزائرية مسار وأفكار، دار ثالة، الجزائر، 2014.
- 53- ريسليير كميل: السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1830-1962)، تر: نذير طيار، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، ط1، 2016.
- 54- الزيري محمد العربي: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.
- 55- زروقة عبد الرشيد: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1940)، دار الشهاب، بيروت، لبنان، 1999.
- 56- زنير محمد: صفحات مطوية من الوطنية المغربية من الثورة الريفية إلى الحركة الوطنية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1990.
- 57- زوزو عبد الحميد: الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914-1939)، د م ج، الجزائر، 2010.
- 58- سالم محمد عزيز نظيمي: الفكر السياسي في الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1996، ص 21.

- 59- سباين جورج: تطور الفكر السياسي، ج7، تر: راشد البراوي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1974.
- 60- سعد الله أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1996.
- 61- سعد الله أبو القاسم: أفكار جامحة، م و ك، الجزائر، 1988.
- 62- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط4، بيروت، لبنان، 1992.
- 63- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- 64- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، عالم المعرفة، دار الرائد، الجزائر، 2009.
- 65- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1998.
- 66- سعد الله أبو القاسم: تأملات وأفكار، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 2005.
- 67- سعيدوني ناصر الدين: المسألة الثقافية في الجزائر: النخب- الهوية- اللغة- دراسة تاريخية نقدية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2021.
- 68- السكر عادل: نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1999.
- 69- السويدي محمد: مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، الدار التونسية للنشر، م و ك، ط1، تونس، الجزائر، 1991.
- 70- شريط عبد الله: مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر، م و ك، الجزائر، 1986.
- 71- شريط عبد الله: من واقع الثقافة الجزائرية، ش و ن ت، ط2، الجزائر، (د.ت).

- 72- شمال حسن محمود: خطاب الأزمة ومحنة الآخر، دار الآفاق العربي، ط1، 2006.
- 73- شيبان عبد الرحمان: من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2008.
- 74- صاري أحمد: شخصيات وقضايا تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2004.
- 75- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، طبعة المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء، 1998.
- 76- طهاري محمد: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الأمة، الجزائر، 2010.
- 77- طهاري محمد: مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، م و ك، ط2، الجزائر، 1992.
- 78- عبدون محمد: شهادة مناضل من الحركة الوطنية، منشورات دحلب، الجزائر، 2013.
- 79- عبيد أحمد: التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية (الجزائر، تونس، المغرب)، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- 80- عشراقي سليمان: الشخصية الجزائرية، د.م.ج، بن عكنون، الجزائر، 2002.
- 81- علوش سعد: مُعجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدار البيضاء، 1985.
- 82- العمري مومن: الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني (1926-1954)، دار الطليعة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت).
- 83- عميراوي أمحيدة، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، ط2، الجزائر، 2004.
- 84- عميراوي أمحيدة: الأمير خالد وخطاب الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1919)، دار الهدى، الجزائر، 2007.
- 85- عميراوي أمحيدة: دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، ط2، الجزائر، 2004.
- 86- عميراوي أمحيدة: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827-1840، دار البعث، ط1، قسنطينة، الجزائر، 1987.
- 87- عميراوي أمحيدة: من الملتقيات التاريخية الجزائرية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 2000.

- 88- عميرواي أمحميدة: من تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، ط2، عين مليلة، الجزائر، 2004.
- 89- عميرواي أمحميدة: مواقف نضالية وإصلاحية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.
- 90- عواطف عبد الرّحمان: الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية (1954-1962)، معهد البحوث والدراسات، القاهرة، مصر، 1978.
- 91- غازي عبد السلام وآخرون: الوحدة المغاربية في ذاكرة الحركات الوطنية والتحريرية، تن: محمد الدرويش، منشورات فكر، تونس، (د ت).
- 92- فريد حاجي: السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر (1837-1937)، دار الخلدونية، الجزائر، 2013.
- 93- فضيل عبد القادر ومحمد الصالح رمضان: إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة، الجزائر، 1998.
- 94- فيلاي عبد العزيز: الشيخ عبد الحميد بن باديس وعيه بالاستعمار و بالثقافة الفرنسية من خلال أرشيف الاستخبارات الفرنسية، دار الهدى، الجزائر، 2016.
- 95- قداش محفوظ والجيلالي صاري: الجزائر في تاريخ المقاومة السياسية (1900-1954)، تر: عبد القادر حراث، م و ك، الجزائر، 1987.
- 96- قداش محفوظ: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، تر: أحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2011.
- 97- قداش محفوظ: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، تر: أحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2011.
- 98- قربان ملحم: المنهجية والسياسة، منشورات دار الطليعة، لبنان، بيروت، 1963.
- 99- قنّان جمال: قضايا ودراسات في التاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1994.
- 100- الكوخي محمد: سؤال الهوية في شمال إفريقيا، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014.

- 101- كيجل مصطفى: جدل الهوية في الخطاب الجزائري المعاصر، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر، 2022.
- 102- لوني رابح: تفكيك الخطاب التاريخي حول الثورة الجزائرية، دار المعرفة، الجزائر، 2012.
- 103- لوني رابح: التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954)، دار كوكب العلوم، ط 1، الجزائر، 2009.
- 104- لوني رابح: دعاة البربرية في مواجهة السلطة، دار المعرفة، الجزائر، 2002.
- 105- ماكسيمينكو فلاديمير: الأنتلجنسيا المغاربية: المثقفون، أفكار ونزاعات، تر: عبد العزيز بوباكير، دار ميم للنشر، ط 1، الجزائر، 2019.
- 106- مالكي أحمد: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، لبنان، 1994.
- 107- مزاد علي: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر: بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940، تر: محمد يجياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
- 108- مرتاض عبد المالك: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954)، ش و ن ت، ط2، الجزائر، 1983.
- 109- معوض نازلي أحمد: التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1986.
- 110- مناصرية يوسف: الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)، م و ك، الجزائر، 1988.
- 111- مهديد إبراهيم: الفكر السياسي النهضوي في الغرب الجزائري مع نهاية القرن 19 وبداية القرن 20، منشورات دار الأديب، الجزائر، 2006.
- 112- مهديد إبراهيم: القطاع الوهراني ما بين 1850-1919 دراسة حول المجتمع الجزائري: الثقافة والهوية الوطنية، منشورات دار الأديب، الجزائر، 2006.
- 113- مهديد إبراهيم: نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري (1926-1939)، منشورات دار الأديب، الجزائر، 2007.



- 114- مياسى إبراهيم: مقاربات في تاريخ الجزائر 1830 1962، دار هومة، الجزائر، 2007.
- 115- الميلى مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 3.2.1، تق: محمد الميلى، م و ك، الجزائر، (د ت).
- 116- الميلى محمد: ابن باديس وعروبة الجزائر، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- 117- ناصر محمد: أبو يقظان وجهاد الكلمة، م و ك، الجزائر، 1983.
- 118- الهرماسى عبد اللطيف: المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر: دراسة مقارنة من منظور علم الاجتماع التاريخي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط 1، بيروت، لبنان، 2018.
- 119- الهرماسى محمد صالح: مقارنة في إشكالية الهوية المغرب العربي المعاصر، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 2001.

- باللغة الأجنبية

- بالفرنسية:

- 1- Agereron Charles Robert : Le Mouvement Jeune Algérien de 1900 à 1923, études Maghrébine, Mélanges Charles André Julien, T 11, Paris, 1994.
- 2- Ageron Charles Robert: Les Algériens musulmans et la France (1871-1919), T2, P4, Paris, France, 1968.
- 3- ageron Charles\_Robert: étoile Nord-Africaine et le mouvement national algérien, ANEP, Alger, 2000.
- 4- Bouveresse Jacques: Un Parlement Colonial des Délégations Financières Algériennes (1898-1945), Le Déséquilibre des Réalisations, Publications des Universités de Rouan et de Havre, 2010.
- 5- Collot Claude et Jean-Robert Henry: Le mouvement national Algérien textes 1912-1939, office des publications universitaires, 2ème édition, Alger, 1981.
- 6- Colonna Fanny : Instituteurs Algériens (1883-1939), office de O. P. U, Alger, 1975.
- 7- dejeaux Jean : Situation de la littérature magribine de la langue française(1920-1978), O.P.U.Hydra, Alger, 1982.

- 8- gollwitzer Heinz: l'impérialisme de 1880 à 1918, traduit de l'anglais par Anne Joha, Paris, 1970.
- 9- haddad Malek: l'élève et la leçon, éditions médai-plus, Constantine, 2008.
- 10- Haddad Mostafa: l'émergence de l'Algérie moderne, T1, 1er Ed I. Guerfi, Batna, 2001.
- 11- la Couture Jean: Cinquonnes et la France, éd senil, Paris, 1961 .
- 12- lardjane Omar: Autour de la nation d'algérianité dans la pensée politique algérienne, la pensée politique algérienne (1830-1960), Ed ANEP, 2010.
- 13- meynier Gilbar : histoire intérieure de FLN 1954-1962, Casbah éditions, Alger, 2003.
- 14- Meynier Gilbert : L'Algérie Révélée, édition El Maarifa, Alger, 2010.
- 15- Nouschi André: l'Algérie amère ( 1914-1994), édition de la maison des sciences de l'homme, Paris, France, 1995.
- 16- Omar Carlier: entre nation et jehad: histoire social des radicalismes algériens, France, presse de la Fondation nationale de sciences politiques, 1995.
- 17- Parville Guy : Les Étudiants Algériens de l'Université Française (1880-1962), éd du centre national de la recherche scientifique, Paris, France, 1984.
- 18- Réflexions: Massali hadj (1898-1998), parcours et témoignages, Casbah, Alger, 2006.
- 19- simon Jaques : le PPA, le parti de peuple algérien 1937-1947, publié avec le concours de FASILD, l'harmattan, 2005.
- 20- stora Benjamin: messali hadj pionnier du nationalisme Algérien (1898-1974), Ed l'harmattan, Paris, France, 1982.
- 21- Triki Fathi : la stratégie de l'identité, essai, arcantères, Paris, France, 1998.
- 22- Yahiaoui Merabet Messaouda: Société Musulmans et Communautés Européennes dans l'Algérie du 20ème Siècle, T 01, édition Homa, Alger, 2005.

- بالإنجليزية.

- 1- sakur Amanda and tony chafer: promoting the colonial idea propaganda and visions of empire in France, new york polgrave, 2002.

## 6- الرسائل الأكاديمية:

### - باللغة العربية:

- 1- بن عدة عبد المجيد: الخطاب النهضوي في الجزائر، أطروحة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ، جامعه الجزائر، 2005/2004.
- 2- جناوي عبد العزيز: جدل الهوية في الصحف الجزائرية: دراسة مقارنة بين الصحف الصادرة بالعربية والصادرة بالفرنسية، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، إشراف د جمال لعبيدي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر2، 2012/2011.
- 3- شرف الدين أحمد رضوان: مشروع الدولة - الأمة العروبة عند النخب الجزائرية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف د ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005/2004.
- 4- عطلاوي عبد الرزاق: الأبعاد الفكرية في النضال الوطني الجزائري (1930-1954)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د قادة الأحمر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2020-2019.
- 5- عمري الطاهر: النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (1900-1940)، شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د أحمد صاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعه الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2004/2003.
- 6- لهلاي سلوى: المسألة الثقافية في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1954)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د بوعزة بوضرساية، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2، 2017/2016.
- 7- مسعودي مجيد: مسألة الهوية في برامج الحركة الوطنية الجزائرية (1926-1954)، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، إشراف د يوسف حميطوش، كلية العلوم

- السياسية والعلاقات الدولية، قسم التنظيم السياسي والإداري، جامعة الجزائر 3، 2017-2018.
- 8- عميرة لطيفه: خطاب النهضة عند زعماء الإصلاح في الفكر الجزائري الحديث (1830-1954)، أطروحة دكتوراه تخصص دعوة وأعلام، إشراف د محمد زرمان، كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة باتنة 1، 2018/2017.
- 9- أغضابنة الطّاوس: الخطاب الديني عند محمد أركون من خلال مشروعه الفكري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، إشراف د عبد الحفيظ عصام، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011/2010.
- 10- عميرات محمد أمين: أزمة الهوية لدى للنخبة المثقفة الجزائرية، ابن باديس-مالك بن نبي- محمد أركون، رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا، إشراف د بشير محمد، معهد الثقافة الشعبية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2008/2007.
- 11- بوزيد زين الدين: الأصول الاجتماعية والمرجعيات الفكرية للنخبة المثقفة الجزائرية (1900-1930)، رسالة ماجستير في علم الاجتماع والتنمية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2000-2001.
- 12- بوعبد الله عبد الحفيظ: فرحات عباس بين الإدماج والوطنية (1919-1962)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د يوسف مناصرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006/2005.
- 13- تاحي إسماعيل: مولود قاسم نAIT بلقاسم نضاله السياسي نظرتة للهوية الجزائرية، رسالة ماجستير في تاريخ الحركة الوطنية، إشراف د الجمعي خمري، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007/2006.
- 14- خمري الجمعي: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1900-1930)، ج 1، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003-2002.

15- خمري الجمعي: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1900-1930)، ج 2، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002-2003.

16- بوجليدة يمينة: الحركة الوطنية الجزائرية (1950-1954) مسار وتصور، رسالة ماجستير في تاريخ الثورة، إشراف د محمد العربي الزبيري، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008.

17- دويذة نفيسة: تطور فكرة الوطنية عند فرحات عباس (1927-1955)، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف د عمار بن سلطان، المدرسة العليا للأساتذة، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2005

18- السماقي منى: الهوية في فكر محمد لجعايي من خلال جريدة الصواب من سنة 1920 إلى سنة 1938، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف أ محمد لطفي الشابي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مدرسة الدكتوراه البنات والنظم والنماذج والممارسات في الآداب والعلوم، جامعة تونس، مارس 2011.

- باللغة الأجنبية:

1- بالفرنسية:

1- Charlotte Correy: l'association des Oulémas musulmans Algériens et la construction de l'éta algérien indépendant: fondation héritages, appropriât et antagonismes (1931-1991), Thèse de doctorat en littératures et civilisation, école doctorale langues, littératures et sociétés du monde, institut national des langues et civilisation orientales, université sorbonne, Paris, 2016.

2- بالإنجليزية:

1- Dirlik Andre: Abd al-hamid ben badis (1889-1940) ideologist of Islamic reformism and leader of Algerian nationalism, a thesis submitted to the Faculty of graduate studies and research in partial fulfillment of the requirements for degree of Doctor of Philosophy, Institute of Islamic studies, Mc Gill University, Montreal, March 1971.

## 7- المجلات والجرائد المرجعية:

### -باللغة العربية:

- 1- إبراهيم عبد المومن: "الكتابات التاريخية في الحركة الوطنية الجزائرية"، مجلة كان التاريخية، ع45، سبتمبر 2019.
- 2- بغورة الزواوي: "الهوية والعنف في الخطاب الثقافي الجزائري"، مجلة العربي، ع599، الكويت، أكتوبر 2008.
- 3- بن أزواو فتح الدين: "جذور الفكر الإصلاحي في الجزائر و مؤثراته (1830-1931)"، المجلة التاريخية الجزائرية، ع4، سبتمبر 2017.
- 4- بن زفور مراد ، عميراوي أمحمد: "الشيخ بن مهنا: حياته ومواقفه الإصلاحية (1840-1910)"، مجلة البحوث التاريخية، ع02، مج05، ديسمبر 2021.
- 5- بون غانم: "النشاط الثقافي والسياسي للطلبة الجزائريين بتونس خلال النصف الأول من القرن العشرين"، مجلة دفاتر البحوث العلمية، مج9، ديسمبر 2021.
- 6- بورغدة رمضان: " قضية تجنيس الأهالي المسلمين في الجزائر المستعمرة (1865-1969) الأبعاد والتداعيات"، سلسلة منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة ، 2018.
- 7- بوصفصاف عبد الكريم: "إبن باديس بين الأصالة و المعاصرة"، مجلة سيرتا، ع11، س7، ماي 1998.
- 8- بوصفصاف عبد الكريم: "التحولات الأساسية في الحركة الوطنية الجزائرية (1945-1954)"، مجلة سيرتا، ع5، ماي 1981.
- 9- البوعبدلي المهدي: "جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده للجزائر عام 1903م/1322هـ"، مجلة الأصالة، ع54-55، س7، فيفري-مارس 1978.
- 10- تركي رابح: "التربية والشخصية الجزائرية"، مجلة الأصالة، ع4، أكتوبر 1971.



- 11- حربي محمد: "الأسس الثقافية الأمة الجزائرية"، تر: بلقاسم بن زنين، مجلة إنسانيات، ع 47  
48، جانفي/جوان 2010.
- 12- الحسيني محمد الهادي: "تحرير التاريخ"، الشروق أونلاين، 2010/03/10.
- 13- حنفي حسن: "تأثير جمال الدين الأفغاني على الفكر الجزائري المعاصر"، مجلة الثقافة،  
ع 38، 1977.
- 14- الرؤية: ع 1، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م،  
جانفي/فيفري 1996.
- 15- رئيس حسين: "الهجرة من المغرب العربي إلى فرنسا ماضيها وحاضرها"، المستقبل العربي،  
ع 51، بيروت، لبنان، ماي 1983.
- 16- الزايدي علي: "الوضع العام بالتعليم الزيتوني عن إصلاح سنة 1951"، المجلة التاريخية  
المغربية، ع 33-43، س 11، جوان 1984، تونس.
- 17- زمام نور الدين: "حول سوسولوجية المثقف الجزائري"، مجلة إضافات، المجلة العربية لعلم  
الاجتماع، ع 1، منشورات الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة  
العربية، 2008.
- 18- سعد الله أبو القاسم: "منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة، ع 14-  
15، جويلية 1973.
- 19- سعد الله أبو القاسم: "العلماء الجزائريون (1919-1931)"، المجلة التاريخية المغربية، ع 2،  
مطبعة الإتحاد التونسي للشغل، تونس.
- 20- سعيدوني ناصر الدين: "المسألة البربرية في الجزائر دراسة للحدود الإثنية للمسألة المغاربية"،  
مجلة عالم الفكر، ع 4، أفريل 2004.
- 21- سلاماني عبد القادر: "دور مولود قاسم نایت بلقاسم في تدويل القضية الجزائرية بالمحافل  
الدولية"، مجلة قضايا تاريخية، ع 08، 2017.

- 22- شافو رضوان: "إشكالية مفهوم الهوية الجزائرية عند الجزائريين"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع2، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2011.
- 23- صاري أحمد: "إبن باديس ومسألة إلغاء الخلافة"، مجلة الآداب والعلوم الإسلامية، ع1، أبريل 2002.
- 24- صافر فتيحة وصفاف هواري: "النخبة الليبرالية الاندماجية وموقفها من مسألة الهوية"، مجلة عصور جديدة، ع 2، مج 11، وهران، مارس 2021.
- 25- طالبي عمار: "النزعة الإنسانية و الجمالية عند ابن باديس"، مجلة الأصالة، ع7، س 2، أبريل 1972.
- 26- عبد اللطيف عماد: "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي التاريخ والمناهج والآفاق"، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع6، 2015.
- 27- عسوس عمر: "أزمة الهوية لدى البربر في الجزائر"، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع4، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، 2010.
- 28- فزاد أرزقي: "مصالي أقصى الأمازيغية تأثرًا بشكيب أرسلان"، جريدة الشروق اليومي، ع 4354، الجزائر 2014/04/22.
- 29- قناش أحمد: "الأيدولوجية الثورية في الحركة الوطنية الجزائرية"، مجلة الأصالة، ع11، س2، نوفمبر - ديسمبر 1972.
- 30- كركوش فتيحة: "إشكالية بناء الهوية النفسية الاجتماعية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع16، جامعة ورقلة، الجزائر، 2014.
- 31- مرتاض عبد المالك: "أصالة الشخصية الجزائرية"، مجلة الأصالة، ع8، ماي-جوان 1972.
- 32- الميللي محمد إبراهيم: "البعث الريفي في الثورة الجزائرية"، مجلة الأصالة، ع22، س 3، أكتوبر -نوفمبر 1974.
- 33- الميللي محمد: "فرحات عباس بين باريس والقاهرة"، مجلة الحدث العربي والمحلي، ع 24، نوفمبر 2002.

34- نايت بلقاسم مولود قاسم: "مفاهيم وصيغ خاطئة عن تاريخنا"، مجلة التاريخ، ع 22، منشورات المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر 1986.

35- هلال عمار: "الطلبة الجزائريون في الأزهر عام 1916"، مجلة الثقافة، ع 79، جانفي- فيفري 1984.

36- رابح لونيسي: تداعيات اغتيال المفتي كحول بن دالي على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والمؤتمر الإسلامي 1939-1939، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، مج 5، ع 10، الجزائر، 2019.

- باللغة الأجنبية:

- بالفرنسية:

- 1- ben fradj chokri: "nationaliste algeriens et communistes francais dans la France du front populaire 1934-1938", RV rawafid, n 07, 2002.
- 2- Dessvages Hubert: "L'enseignement de Musulmans en Algérie sous le Rectorat de Jeanmaire : Le Role de l'école", Mouvement Social, n° 70, Jan-mars 1970.
- 3- Merad Ali: "Regards sur l'Enseignement des Musulmans en Algérie (1880-1960)", RV confluent, n° 32-33, juin et juillet 1963.
- 4- Meynier Gilbar : "les algeriens en france 1914-1918 ", RV D'histoire maghebine, n 05, janvier, 1976.
- 5- Ramanne Hassen: "les historiens algériene issus du mouvement national", insaniyat, n 25-26, juillet - décembre 2004.

- بالإنجليزية:

- 1- Howard Michael: "War and the nationalist", Deadalus, N108, Automne 1978.

-8 الندوات والمؤتمرات:

- 1- مالكي أحمد: "الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي مقارنة لعلاقة " الأنا " ب " الآخر " في وعي الجيل الأول من الوطنيين المغاربيين (1926-1946)", أعمال المؤتمر الأول لمنتدى التاريخ المعاصر حول منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية في المغرب العربي، تق: عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي، تونس، 1998.

2- عمارة البشير: الاستبداد، الوطن، الهوية في المجال والهوية في بلاد المغرب، أعمال الندوة الدولية الرابعة بتونس، 2004، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، تونس، 2007.

## 9- المعاجم والموسوعات:

### - باللغة العربية:

- 1- القاموس السياسي ومصطلحات المؤتمرات الدولية: دار الكُتُب العلمية، بيروت، لبنان، (د ت)
- 2- الكيالي عبد الوهاب وآخرون: الموسوعة السياسية، المؤسسة العمومية للدراسات، ج5، دار الهدى، لبنان، 1994.
- 3- الكيالي عبد الوهاب وآخرون: موسوعة السياسة، المؤسسة العمومية للدراسات، ج2، دار الهدى، لبنان، 1994.
- 4- الكيالي عبد الوهاب وآخرون: موسوعة السياسة، المؤسسة العمومية للدراسات، ج4، دار الهدى، لبنان، 1994.
- 5- المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 2000.
- 6- المنجد في اللُّغة العربية : دار المشرق، بيروت، لبنان، 2000.

### - باللغة الفرنسية:

- 1- Dictionnaire de Français : direction : Philippe Amiel : Assiste de Hervé Dubourjal et Brigitte Vienne : Ed : Hachette, nouvelle édition, 1987.

# فهرس أسماء الأعلام والأماكن.

## فهرس أسماء الأعلام.

أ

- ابراهيم أبو اليقضان: ص 37 ، 182.  
ابن الحاج أولحاج: ص 129.  
ابن القيم الجوزية: ص 189، 223.  
إبن الموهوب: ص 132.  
أبو إسحاق: ص 19.  
أبو القاسم بن التهامي: ص 27، 133، 134، 139، 143.  
أبو القاسم سعد الله: ص 37، 48، 50، 62، 63، 74، 97، 116، 131، 184، 191.  
أبو عبد الله: ص 131.  
أحمد ابن تيمية: ص 189، 223.  
أحمد بجلول: ص 58.  
أحمد بودة: ص 94، 95.  
أحمد بوشمال: ص 38.  
أحمد توفيق المدني: ص 177، 220، 221، 222.  
أحمد صاري: ص 68، 184.  
أحميدة عميراوي: ص 22، 50، 70.  
إدوارد تايلور: ص 123.  
أرنست رينان: ص 157، 167.  
أرنست لافيس: ص 122، 142.  
إسعاد الجابري: ص 67.  
إسماعيل حامد: ص 120.  
أغسطين: ص 152.  
ألبيز ميمي: ص 150.  
ألفرد بل: ص 126.  
أحمد مالكي: ص 103، 210.  
الأمير خالد: ص 31، 45، 46، 54، 61، 62، 103، 120، 130، 139.  
الأمير عبد القادر: ص 50، 192، 220.  
أندري نوشي: ص 107.



ب

- باستور: ص 137.  
باسكال: ص 137.  
بريهامات: ص 134.  
البشير صفر: ص 179، 180، 185.  
بطرس البستاني: ص 71.  
بلقاسم ابزبان: ص 152.  
بن بريهمات: ص 120، 134.  
بن رحال: ص 120، 134.  
بن سديرة: ص 120.  
بن يامين سطورا: ص 67، 86.  
بوسكي: ص 46.  
بوقرية: ص 134.  
بوقيرط علي: ص 58.  
بويسون: ص 121.

ت

- تالكوت بارسونز: ص 117.  
تامزالي: ص 134.

ج

- جاك سيمون: ص 88.  
جان لاکوتر: ص 141.  
جمال الدين الأفغاني: ص 24، 25، 130، 173، 174، 175، 186، 176، 188، 223.  
الجمعي خمري: ص 118، 133.  
جون ديچو: ص 164.  
جون سوردون: ص 46.  
جيلبار ميني: ص 57، 95، 133.

ح

- الحاج حمو أوعمران: ص 129.  
الحاج علي عبد القادر: ص 58، 61، 62، 63، 102، 103.

حسان رمّان: ص 222.

حسان متار: ص 103.

حسني لحمق: ص 129، 151.

حسين آيت أحمد: ص 91.

حمدان الونيسي القسنطيني: ص 179، 184.

حمدان خوجه: ص 48، 50، 192.

حنفي بن عيسى: ص 68، 174.

خ

خالد بوهند: ص 175.

د

دانتون: ص 137.

دو فوكو: ص 126.

الدوق دومال: ص 120.

ر

رابح زناي: ص 34، 120، 129، 147، 148، 149، 160، 162.

رابح لونيسي: ص 138، 219، 220، 222.

رشيد رضا: ص 25، 174، 189، 223.

رشيد يحي: ص 94.

رفاعة رافع الطهطاوي: ص 25.

ز

الزواوي بغورة: ص 84، 94، 168.

س

سارو: ص 132.

سانت أوغست: ص 137.

ش

الشاذلي خير الله التونسي: ص 103.

شارل أندري جوليان: ص 46، 59، 63، 98، 137.

شارل جونار: ص 132.

شارل ديغول: ص 208.

شارل روبر أجيرون: ص 46، 64، 112، 116، 151، 203.

شارل موراييس: ص 140.

شاطو بريون: ص 131.

شبيلة الجيلالي: ص 58.

شريف بن حيلس: ص 117، 124، 149.

الشريف سيسبان: ص 27، 164.

شكيب أرسلان: ص 25، 54، 63، 67، 68، 69، 92، 109، 163.

الشوكاني: ص 189، 223.

ص

صالح بن مهنا القسنطيني: ص 184.

ط

الطاهر الحداد: ص 179.

الطاهر بن عاشور: ص 179، 185.

الطاهر عمري: ص 88.

طاهرات: ص 137، 148.

طه عبد الرحمان: ص 19.

الطيب العقبي: ص 39، 40، 177، 183.

ع

عبد الحميد الثاني: ص 131، 174.

عبد الحميد بن باديس: ص 18، 25، 38، 39، 40، 110، 168، 177، 178، 179، 180،

181، 182، 184، 186، 188، 189، 190، 193، 194، 195، 196، 197، 198،

199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 207، 211، 212، 213، 214،

215، 217، 218، 219، 220، 222، 223، 224.

عبد الحميد زوزو: ص 55، 58، 62.

عبد الرحمان الكواكي: ص 176.

عبد السلام غازي: ص 67.

عبد العزيز الثعالبي: ص 178، 179، 180.

عبد العزيز المنور: ص 62.

عبد القادر المجاوي: ص 184.

عبد الكريم الخطابي: ص 59، 64، 130.  
عبد الكريم بوصفصاف: ص 104، 106، 111، 143.  
عبد الله حمادي: ص 125، 140، 146، 150، 153.  
عبد الله شريط: ص 73، 76، 77، 90، 192.  
العربي التبسي: ص 177، 183.  
العربي طاهرات: ص 120، 129.  
علي الحامي المراكشي: ص 62، 169.  
علي الغاياتي: ص 67.  
علي بودريالة: ص 173.  
علي بوشوشة: ص 178.  
علي مرّاد: ص 146، 187، 200، 203.  
علي يوسف: ص 176.  
عمار أوزقان: ص 216.  
عمار عيماش: ص 32، 91.  
عمار نارون: ص 66، 88.  
عمر كاريلي: ص 109.  
عميرات محمد الأمين: ص 89.

غ

غابريال إسكور: ص 211.  
غني بروفيلي: ص 149، 158، 163.

ف

فاسي السعيد: ص 148، 149، 164.  
فاني كولونا: ص 126.  
فرحات عباس: ص 18، 27، 34، 35، 36، 37، 46، 47، 110، 112، 123، 124، 127،  
128، 130، 131، 134، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 144،  
145، 146، 158، 161، 162، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 205، 209.  
فريد حاجي: ص 160، 163.  
فلادمير ماكسمينكو: ص 117.  
فولتير: ص 151.

فيليكس غوتيه: ص 125.

ق

قندوز: ص 148.

ك

كامبي شوطان: ص 39.

كحول بن دالي: ص 140.

كلود كولو: ص 45، 46.

كمال أتاتورك: ص 32، 64، 131، 162.

كمال بن سراج: ص 131.

كورونيل: ص 137.

كوري شارلوت: ص 207.

كومباس: ص 126.

ل

لامورسير: ص 65.

لخداري: ص 137.

لمين دباغين: ص 95.

لوري بارتران: ص 221.

لوسوفسكي: ص 61.

لويس برتراند: ص 142.

لينين: ص 88.

م

مارسيل كاشان: ص 128.

ماسينيسا: ص 220.

مالك ابن نبي: ص 156، 159.

مالك حداد: ص 58.

مانتشين: ص 42.

مبارك المليبي: ص 38، 39، 40، 177، 220، 221.

محفوظ قداش: ص 49، 50، 55، 77، 78، 130.

محمد البشير الإبراهيمي: ص 39، 40، 177، 181، 183، 185، 189، 204، 208، 209،  
212، 214، 217، 219، 220.  
محمد الخروبي: ص 29، 32.  
محمد السعيد الزاهري: ص 33، 39، 40، 181.  
محمد السعيد سي لجيلالي: ص 32.  
محمد الشريف ساحلي: ص 98، 99.  
محمد الصالح بن جلول: ص 27، 34، 35، 87، 110، 137، 139، 140، 143.  
محمد الطاهر بن عاشور: ص 185.  
محمد الطاهر فضلاء: ص 185.  
محمد العربي الزبيري: ص 48.  
محمد العيد آل خليفة: ص 177.  
محمد الكوخجي: ص 155.  
محمد النخلي: ص 179، 185.  
محمد باش حمبة: ص 178.  
محمد حربي: ص 60، 86، 94، 102.  
محمد عابد الجابري: ص 165.  
محمد عبده: ص 24، 25، 130، 173، 174، 175، 176، 178، 179، 184، 185، 186،  
187.  
محمد عبدون: ص 91.  
محمد علي دبوز: ص 182.  
محمد علي يحي: ص 92.  
محمد قنانش: ص 67، 110، 111.  
محمد ليشاني: ص 124، 129، 137.  
محمد مسطول: ص 33.  
محمود شمال: ص 20.  
مصالي الحاج: ص 18، 32، 54، 58، 60، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 71، 72،  
75، 80، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 94، 97، 101، 102، 103، 104، 105،  
106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114.  
مصطفى كامل: ص 176.



معروف محمد: ص 58.  
مفدي زكريا: ص 33.  
المقراي: ص 220.  
المنصف وناس: ص 125.  
موريس بولارد: ص 131.  
المولود بن الموهوب: ص 184.  
مولود قاسم نايث قاسم: ص 99.  
ميشال فوكو: ص 21.

ن

ناصر الدسوقي: ص 85.  
ناصر الدين سعيدوني: ص 92، 194، 207، 219.  
نفيصة دويذة: ص 158، 168.  
نور الدين ثنيو: ص 88، 107، 142، 167، 175.

هـ

هاينز غولوتز: ص 43.  
هوارد ميشال: ص 86.  
هوجو: ص 137.

و

واعلي بناي: ص 95.  
ولسن: ص 23، 45.

ي

يحي بوعزيز: ص 145.  
يوسف حميطوش: ص 102، 109، 114، 123.  
يوغرتا: ص 220.

## فهرس الأماكن

أ  
-

الأربعاء ايراثن: ص 91، 93.  
آسيا: ص 75.

إفريقيا: ص 75.

ألمانيا: ص 56، 75، 112.

الأناضول: ص 131.

إنجلترا: ص 188.

أوروبا: ص 23، 130، 136، 160، 174، 185.

إيطاليا: ص 75، 112.

ب

باريس: ص 60، 61، 74، 128، 136، 155.

البحر الأبيض المتوسط: ص 47، 111.

بروكسل: ص 103.

بوزريعة: ص 91، 120.

بولونيا: ص 130.

ت

تركيا: ص 89، 130، 131، 161.

تشيكوسلوفاكيا: ص 130.

تلمسان: ص 133.

تور: ص 59.

تونس: ص 56، 63، 81، 87، 105، 170، 178، 179، 181، 182، 183، 184، 185،

186.

تيغنيف: ص 133.

ج

جامع الأزهر: ص 174، 177، 183.

جامع الزيتونة: ص 174، 177، 178، 180، 181، 182، 189، 223.

جامع القرويين: ص 174، 177.

جرجرة: ص 93.

الجزائر: ص 22، 23، 24، 25، 28، 30، 32، 33، 35، 36، 37، 40، 41، 46، 47، 54،

55، 56، 57، 63، 68، 75، 77، 79، 80، 81، 85، 87، 89، 90، 91، 92، 94، 96،

97، 102، 105، 106، 109، 110، 111، 113، 116، 118، 119، 122، 125، 126،

127، 128، 129، 130، 131، 132، 133، 136، 137، 138، 139، 140، 142.

،160 ،158 ،157 ،156 ،155 ،154 ،153 ،152 ،151 ،149 ،148 ،145 ،144 ،164 ،165 ،170 ،171 ،172 ،173 ،176 ،177 ،178 ،180 ،181 ،182 ،184 ،185 ،186 ،187 ،188 ،189 ،190 ،191 ،193 ،194 ،199 ،200 ،201 ،202 ،204 ،205 ،206 ،207 ،208 ،209 ،210 ،211 ،212 ،215 ،216 ،218 ،219 ،220 ،221 ،222 ،224 .  
جنيف: ص 67 ،68 .

ح

الحجاز: ص 24 ،189 ،223 .

خ

خنشلة: ص 133 .

د

دمشق: ص 23 .

ر

روسيا: ص 23 ،128 ،130 .

س

سكيكدا: ص 113 ،178 .

سيدي بلعباس: ص 129 .

ش

شمال إفريقيا: ص 31 ،57 ،59 ،60 ،62 ،103 ،104 ،112 ،154 ،185 .

ع

عناية: ص 133 ،178 .

عين الحمام: ص 93 .

ف

فرنسا: ص 23 ،24 ،27 ،28 ،33 ،35 ،41 ،46 ،47 ،55 ،56 ،57 ،58 ،59 ،62 ،65 ،74 ،75 ،77 ،80 ،81 ،87 ،88 ،90 ،93 ،94 ،97 ،101 ،102 ،109 ،110 ،112 ،113 ،118 ،119 ،120 ،123 ،124 ،125 ،126 ،127 ،128 ،129 ،130 ،132 ،134 ،136 ،137 ،138 ،141 ،145 ،146 ،148 ،149 ،150 ،151 ،152 ،160 ،164 ،165 ،166 ،168 ،169 ،172 ،181 ،185 ،188 ،191 ،205 ،206 ،224 .

فیرسای: ص 23، 45، 128.

ق

القاهرة: ص 155، 220.

القدس: ص 205.

قرطاجنة: ص 221.

القسطنطينية: ص 32.

قسطنطينة: ص 38، 39، 40، 113، 129، 132، 134، 139، 140، 178، 181.

م

المدينة المنورة: ص 183.

المشرق العربي: ص 23، 91، 173، 178، 223.

مصر: ص 63، 178، 183، 188،

معسكر: ص 133.

المغرب العربي: ص 24، 81، 95، 105، 111، 166، 170، 212.

المغرب: ص 56، 62، 63، 81، 87، 170

مقلع: ص 133

ميزاب: ص 182.

ن

نيور: ص 113.

هـ

هولندا: ص 47.

و

الولايات المتحدة الأمريكية: ص 47.

وهران: ص 113، 139.

## فهرس المحتويات:

7	مقدمة.....
	الفصل الأول: دراسة تفصيلية لمفاهيم الدراسة.
18	المبحث الأول: الخطاب المفهوم والتطور: .....
18	1- مفهوم الخطاب:.....
18	1.1- الخطاب لغةً: .....
19	1.2- الخطاب اصطلاحاً:.....
23	2- أنواع الخطاب الأيديولوجي الجزائري: .....
23	1.2- واقع الجزائر مطلع القرن العشرين: .....
25	الخطاب الإصلاحى: .....
26	الخطاب الاندماجى: .....
27	الخطاب الاستقلالى الثورى:.....
29	المبحث الثانى: وسائل الخطاب عند اتجاهات الحركة الوطنية:.....
29	1- الصحافة ودورها فى إبراز خطاب الحركة الوطنية الجزائرية:.....
31	2- وسائل الخطاب عند الاتجاه الاستقلالى: .....
34	3- وسائل الخطاب عند الاتجاه الليبرالى: .....
38	4- وسائل الخطاب عند الاتجاه الإصلاحى:.....
42	المبحث الثالث: مفهوم الحركة الوطنية الجزائرية (قراءة فى جدلية المفهوم).....
52	خاتمة الفصل.....
	الفصل الثانى: خطاب الاتجاه الاستقلالى.
54	المبحث الأول: المرجعية الثقافية والسياسية للاتجاه الاستقلالى: .....
	1- الحزب الشيوعى الفرنسى والمؤسسات النقابية ودورها فى التكوين الأيديولوجى وتأطير العمال الجزائريين.....
54	.....
64	2- النزعة الوطنية لشخصيه مصالى الحاج وتأثيرها فى الأوساط العمالية:.....

70	المبحث الثاني: ملامح الفكر السياسي عند الاتجاه الاستقلالي:
82	المبحث الثالث: الهوية في خطاب الإتجاه الاستقلالي.
85	1- ثنائية العروبة والإسلام في خطاب الإتجاه الاستقلالي:
96	2- التاريخ المشترك وتوظيفه:
101	المبحث الرابع: تطور النزعة الاستقلالية في خطاب الإتجاه الاستقلالي:
103	1- الاستقلال لدى نجم شمال إفريقيا:
111	2- الاستقلال لدى حزب الشعب/حركة انتصار الحريات الديمقراطية:
115	خاتمة الفصل
	الفصل الثالث: الفكر الليبرالي في خطاب النخب الجزائرية المفرنسة.
116	المبحث الأول: المرجعيات الثقافية والفكرية والسياسية لدى التيار الليبرالي.
117	1- تأثير المدرسة الفرنسية:
128	2- تأثير البيئة السياسية والثقافية:
132	3- دور النوادي والجمعيات الثقافية:
134	4- دور الانتماء الاجتماعي:
137	المبحث الثاني: الفكر الأيديولوجي لدى تيارات الاتجاه الليبرالي.
140	1- التيار الفرنكوا إسلامي (التيار المعتدل):
147	2- التيار الفرنكوفيلي الإدماجي (المتطرف):
151	3- التيار الفرنكولائكو بربري (الانفصالي):
155	المبحث الثالث: مسألة الهوية في خطاب التيار الليبرالي.
155	1- صدمة الاحتلال ونشأة سؤال الهوية لدى النخبة الجزائرية المفرنسة:
157	2- أسس الهوية ومقوماتها عند الاتجاه الليبرالي:
166	3- إنزياحات الهوية في خطاب فرحات عباس:
172	خاتمة الفصل



الفصل الرابع: أفكار وجهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

173	المبحث الأول: المرجعيات الثقافية والفكرية للاتجاه الإصلاحية.....
173	1- المصادر الخارجية وتأثير الإصلاحية الحديثة في المشرق.....
177	2- المحاضرات الإسلامية الخارجية ودورها في التكوين الثقافي والفكري لرواد الإصلاح الجزائريين.....
183	3- البيئة الداخلية وتحولاتها بالجزائر المستعمرة.....
190	المبحث الثاني: الفكر الإصلاحية في خطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.....
193	1- الفكر الإصلاحية عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس.....
199	2- النزعة الإنسانية في خطاب الإصلاحية الجزائرية:.....
202	3- البعد السياسي في خطاب الحركة الإصلاحية الجزائرية.....
209	المبحث الثالث: الهوية في خطاب الإصلاحية الجزائرية (جمعية العلماء المسلمين):.....
223	خاتمة الفصل.....
227	خاتمة:.....
232	الملاحق.....
258	البيبلوغرافيا.....
284	فهرس اسماء الأعلام والأماكن.....

## ملخص:

تعالج هذه الدراسة أحد أهم المواضيع في مجال تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، والتي حاولنا من خلالها الوقوف عن مدى مساهمة الأفكار والأيديولوجيا التي تضمنتها برامج ومشاريع التنظيمات السياسية والنخب والعلماء خلال فترة بين 1919م - 1945م، وإبراز المجهود الفكري الذي بذله هؤلاء في إثراء الساحة الفكرية وتجديد التجارب النضالية خاصة في ظل فشل التجارب السابقة، التي عدت بمثابة الأرضية التي أسس عليها النضال الوطني، وعليه فالتطور التي حُضِيَتْ به الحركة الوطنية الجزائرية في الفترة الممتدة بين 1919-1954 في الجانب الفكري ومدلولات القيم الوطنية ومكانة الهوية يُعد امتداد لنضال الجزائريين في مجابهة المشاريع الاستعمارية خلال مرحلة الاحتلال.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، الحركة الوطنية، الجزائر، الأفكار، الإيديولوجيا، الهوية.

## ABSTRACT:

This study examines one of the most significant topics in the history of the Algerian National Movement, through which we attempted to determine the extent to which the ideas and ideology included in the programs and projects of political organizations, elites and scientists during the period of the National Movement and we also highlighted the intellectual effort these individuals made in enriching the intellectual arena and renewing the struggle experiences especially after the failure of the previous ones, which served as the basis for the national work. The development of the Algerian National Movement between 1919 and 1954 in the intellectual aspect, the connotations of national values and the status of identity is an extension of the Algerians' struggle to confront colonial projects during the occupation phase.

**Key words: Discourse, national Movement, Algeria, Ideas, Ideology, Identity.**

## Résumé:

Cette étude s'évertue de traiter l'un des sujets les plus sensibles dans le domaine de l'histoire du mouvement national algérien, à travers ce travail de recherche, nous avons tenté d'appréhender l'apport et la contribution d'idées et d'idéologies que portaient les programmes et les projets des organisations politiques, des élites et des savants pendant la période du mouvement nationale de souligner l'effort intellectuel fait par ces derniers afin d'enrichir la scène intellectuelle. Il a été question également de d'approcher le renouvellement des expériences de lutte, surtout à la lumière de l'échec des expériences précédentes, qui étaient considérées comme le base sur laquelle l'action nationale était fondée.

Ainsi, le développement qu'a connu le mouvement national algérien au cours de la période 1919-1954 en termes d'aspect intellectuel, de sens des valeurs nationales et de statut identitaire s'inscrit dans le prolongement de la lutte des Algériens face aux projets coloniaux sous l'occupation.

**Mots clés : discours, mouvement national, Algérie, idées, idéologie, identité.**

People's Democratic Republic of Algeria.  
Ministry of Higher Education and Scientific Research.  
Emir Abd Elkader University for Islamic Sciences -Constantine-



Faculty Arts and Islamic Civilization.

Departement of Histiry.

Serial Number : .....

Registration Number: .....

**The Discourse of the Algerian National Movement  
1919 - 1945.**

Thesis submitted for obtaining a Doctoral degree L M D in Human Sciences  
-History- Specialty: the modern and contemporary history of Algeria.

Supervision Professor:

Bachir Faid.

Presented by:

Mourad benzeffour.

Membre of the Discussion committee:

Name & Surname	Rank	Original University	Character
Ahmed abdelli.	Professor	Emir Abd Elkader University -Constantine-	President
Bachir Faid.	Professor	Mohamed lamine debaghin University - setif 2-	Supper & Rappt
Sabrina louaar.	Professor	Ecole normale supériere, assia djebar -Constantine -	Discussion member
Soufiane loucif.	Professor	Mohamed lamine debaghin University - setif 2-	Discussion member
Hanene latreche.	Lecture- A-	Emir Abd Elkader University -Constantine-	Discussion member
Mohamed oudjertni.	Lecture- A-	Emir Abd Elkader University -Constantine-	Discussion member

University year : 1443-1444H/2022-2023 AD.